الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون –تيارت–
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
مسار تاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر موسومة بـ:

طرق الحج المغاربية من خلال كتب الرحالة في الفترة الحديثة

إعداد الطالبتين:

–حطابي هاجر.

–هلة مليكة.

تحت إشراف الأستاذ: خنفار الحبيب .

أعضاء اللجنة المناقشة

أ.مداح عبد القادر..... رئيسا.

د.خنفار حبيب ..... مشرفا.

د.موساوي مجدوب.....مناقشا.

الموسم الجامعي:2016-2017/1437-1438

بسم الله الرحمن الرحيم

شکر وتقدیر

كلمة شكر وتقدير

كن عالما .....

فإن لم تستطع فكن متعلما فإن لم تستطع فأحب العلماء ،فإن لم تستطع فلا تبغضهم.

. نشكر الله ونحمده حمدا يليق بجلال عظمته ، ونصلي ونسلم على النبي الأعظم .لايسعنا ونحن على عتبات منعطف جديد في حياتنا،إلا أن نتوجه بالشكر الجزيل والامتنان الوفير إلى مشاعل النور التي كان لها الفضل في بلوغ مرادنا وقبل كل شيء.

كما لايسعنا ألا نخص بأسماء عبارات الشكر والتقدير للأستاذ المشرف الذي تشرف بإشرافه على هذا البحث وكانت لملاحظاته القيمة وتوجيهات السديدة وأخلاقه الطيبة ومعاملته الكريمة الأثر الكبير إلى وصول البحث إلى هذه الصورة ، فجزاه الله عنا كل خير.

كما نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة كيوس شهرزاد التي زرعت التفاؤل في دربنا وقدمت لنا التسهيلات في إثراء هذا البحث خاصة بما يتعلق بالجانب الجغرافي

كما نتقدم بالشكر الخالص للذين لم يبخلوا علينا بالعطاء ،وقاموا بواجبهم بكل صدق وأمانة ،الاستاذ حمادي الادريسي، بوخلفة صلاح ،لزغم فوزية ،الاصدقاء الذين ساعدونا من جامعة وهران ونخص بالذكر عبد النور وزميله مصطفي .

وعرفانا بالجميل والفضل نشكر رئيس اللجنة وأعضائها الذين شرفونا بإدارة مناقشة بحثنا المتواضع .

نتمنا أن تفي كلمة شكرا بما يجول في أنفسنا اتجاهكم ونقدم إليكم دعوة حب واحترام بمزيد من العطاء دعوة يفوح عبيرها فيغطي الارجاء.

© Ladie Lynn
http://ladielynn.com

الإهداء

الاهداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل اليه لولا فضل الله علينا اما بعد :

الى من نزلت في حقهم الآيتان الكريمتين ،الى ما لا يمكن للكلمات آن توفي حقهما، الى ما لا يمكن للأرقام ان تحصي فضائلهما، اداهما الله لي والديا العزيزان ،الى اخوتي محمد ،رابح،مصطفى،وأخواتي ربيعة ،زهرة ،سامية ،حليمة ،وازواجهم احمد ،بوسيف ،والحاج ،واولادهم يوسف ،منال،منار،مراد ،عبد الرحيم ،ادم ،عبد الرحمان ،فاطمة امة الرحمان ،وكل أقاربي

والى صاحبة القلب الانيق ، الى التي كانت بمثابة الاخت الكبرى لي الأستاذة كيوس شهرزاد ،وكل عائلتها خاصة نزيه ،نورهان ، والبنوته رؤيا ، اهديك ثمرة هذا العمل المتواضع ،،

والى أختي التي أنجبتها لي الحياة ،وكانت سندي في هذه المذكرة حطابي هاجر ،وكل من يحمل قطرة دم من دمها.

والى كل أصدقائي بدون استثناء نصيرة ،حنان،ليندة ،منى،مليكة، عشيش لخضر ،وسليماني محمد ،زروقي مهدي،فلاح محمد ،عيادي محمد علي ،بوقلمونة ناصر ،عبد النور ،امين ،مصطفى ،واهدي هذا العمل المتواضع الى كل أساتذة التاريخ الحديث والمعاصر ،وخاصة أستاذي المشرفي خنفار الحبيب ،

هلة مليكة

الإهداء

إلى الذي تاهت الكلمات في وصفه وعجز اللسان في ذكر مآثره ، إلى سندي وعوني وقدوتي، ألالنور الوضاء مصدر فخري وذخري ، إلى ذلك الينبوع الذي أغترفت منه حب العلم ، إلى من جعل نفسه شمعة تحترق من أجل أن ينير دربي إلى الذي تعب وشقى من أجل راحتي وسعادتي إليك **أبي العزيز محمد**

إلى القلب الذي يفيض بالحنان وشفاه لا تمل الدعاء ،إلى البلسم الشافي و القلب الدافئ و الحنان الكافي إلى التي أحاطتني بسياج حبها الى أروع أم في الوجود **أمي الحبيبة**

إلى الورود البهية و القلوب الرقيقة والنفوس البريئة إلى **إخوتي** رياحين حياتي : سارة ، و إلى من تقاسمت معي رحم أمي توأمي العزيزة **أسماء ، نورالهدى** ، إلى برعومتي البيت **آية الرحمان ،هبة الله .**

إلى جدتاي مريم وشريفة ، وإلى كل أعمامي وعماتي وأولادهم ، وكل أخوالي وخالاتي و أولادهم .

إلى من قاسمتني أعباء هذا الانجاز صديقتي و توأم روحي التي لم تنجبها أمي و لكن أنجبتها لي الأيام **مليكة** .

إلى من تحلو بالإخاء و تميزوا بالصدق و الوفاء ، إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم صديقاتي : نصيرة،بدرة، حنان،هاجر،منى،لندة، إيمان...

إلى كل من وسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي ، إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي أهديكم ثمرة جهدي أصدقائي: **محمد حاشم ،محمد سليماني ،نور الدين، محمد فلاح ،عشيش ،عيادي....**

هاجر .

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات:

أ-بالعربية:

الرمز	كلمة
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
ج	جزء
د ت	دون تاريخ
د ط	دون طبع
در	دراسة
ص	صفحة
ص ص	صفحات متلاحقة
ص.ص	صفحات متباعدة
ظ	ظهر
ع	عدد
ق	قرن
م	ميلادي
مج	مجلد
مر	مراجعة
و	وجه

ب: باللغة الأجنبية:

Op-cit	Opéré citate
p	page

مقدمة

مقدمة:

الحج إلى البقاع المقدسة شعيرة دينية تشتاق إليها كل نفس آمنة بقدسيتها وقدسية الرسائل السماوية ،و من ثمة حذا شعوب المغرب العربي حذو جميع شعوب المعمورة في التوجه إلى أرض الوحي بنفس خاشعة ومؤمنة ،فلبى المسلمون من المغرب العربي النداء كإخوانهم من بقية أقطار العالم ،لبت وفود الحجيج منذ العصور القديمة من فجاجها ونجادها ونفوسهم تفيض شوقا إلى مكة، لكن شتانا بين الأمس واليوم ،بين الفترة الحديثة والفترة المعاصرة، حيث كان للرحلة من رحلات الحج طابعها الخاص ،وحظها من الأمن والخوف وعناء السفر فكل رحلة مثلت تجربة حية.

ولا شك أن الذهاب إلى المشرق بالنسبة للرحالة المغاربة ،كان يطرح مشكلة الطريق التي يتوجب عليهم إتباعها ،فمن المؤكد أن اختيار الطريق لم يكن عشوائيا وإنما يخضع لبعض الشروط الأساسية ،كالوجهة المقصودة والدافع والطريق الأكثر استعمالا والأقل خطرا ،وهذه الإشكالية لم تكن فقط خلال القرنين السابع والثامن عشر ميلادي (17م و 18م) و إنما قبل ذلك بكثير ،فمن كان عليه التوجه إلى المشرق بغرض أداء الركن الخامس من أركان الإسلام يتوجب عليه سلوك طريقين لا غيرهما :الطريق البري التقليدي وبوسائل بسيطة كالإبل والبغال ،والطريق البحري عبر المتوسط بواسطة السفن الشراعية.

ويعود الفضل في معرفة الطرق الموصلة إلى الشرق بالدرجة الأولى إلى الرحلات الحجازية نظرا لإمارة ركب الحج التي أنشأها المغاربة بغرض تيسير الحج.

وعليه يندرج موضوع دراستنا الموسوم ب:طرق الحج المغاربية في الفترة الحديثة من خلال كتب الرحالة.

عرفت طرق الحج من المغرب العربي إلى الحجاز في الفترة الحديثة من النصف الأول للقرن السادس عشر(16م)، حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر (19م)تحولا بسيطا مقارنة بالعصور الوسيطة ،وذلك بإضفاء بعض التنظيمات عليها بفضل القاصدين لأداء مناسك الحج ،توسعت إمارة ركب الحج عبر الزمن حتى شملت عدة ركائب على مستوى قطر المغرب العربي ،حيث كانت رحلة الحج رحلة مضينة تتطلب جهودا كبيرة في سبيل الإعداد والتجهيز للحج منذ بداية السنة من أجل أداء فريضة الحج ،غير آبهين بما يواجههم في رحلاتهم

الحجية والتي تستمر لمدة عام تقريبا ،وجاءت هذه الرحلات في الفترة الحديثة التي دونها أصحابها في صفحات كتبهم غنية بالمعلومات المتعلقة بالطريق وأحوالها ،ويشكل هذا الموضوع قيمة وأهمية من مختلف الجوانب الدينية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية ،وحتى الثقافية والسياسية ،كما تبلغ أهميتها في إثبات وجود الجانب الجغرافي والذي كان حاضرا بقوة في كل الرحلات ،التي قدمت لنا وصفا واضحا للطرق والمحطات والمدن بمختلف الأبعاد ،و إن لم تكن دقيقة فهي تعكس نظرة الرحالة الذين عرفوا وتعرفوا على الأماكن في المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر وصولا إلى البقاع المقدسة ،فكانت آثارهم واضحة المعالم وتعتبر مصدرا صادقا لما شاهدوه وعايشوه .

ثم إننا راعينا في موضوعنا التسلسل الزماني والمكاني والموضوعي ،وجزء من الذاتي، حيث الجزء الأخير إنما كان لغرض روحي ينبع من أي إنسان مسلم يتشوق لرؤية بيت الله الحرام ،أما الجزء الأول-الموضوعي- فهو الرغبة في التطرق إلى جانب آخر من جوانب التاريخ ألا وهو الجانب الجغرافي التاريخي الذي يتعلق بالمكان و الزمان حيث كل واحد منهما يأثر ويتأثر بالآخر،لذلك تطرقنا لهذا الموضوع الذي تم اقتراحه من طرف أستاذنا المشرف ، رغم تخوفنا من شح المادة التاريخية فيه ،لكن إعجابنا بعنوان الموضوع كان السباق في كل شيء وأصبح تحدي بالنسبة لنا.

وعليه طرحنا الإشكالية التي تتمحور حول سبل و طرق الحج و تاريخه في الفترة الحديثة ، وكل ما يتعلق بجوانبه الجغرافية، الاقتصادية ،الاجتماعية و الثقافية ، وما كان يعانونه الحجاج في هذه الطرق المحفوفة بالمخاطر من خلال كتابات الرحالة .

ومن هذه الإشكالية تتفرع عدة تساؤلات وهي كالتالي:

-فيما تمثلت أهم المميزات الجغرافية (الموقع، التضاريس، المناخ) لمسالك الحج ؟

-كيف كانت طرق الحج قبيل الفترة الحديثة ؟

- ما هي أهم الطرق الصحراوية المؤدية إلى البقاع المقدسة ؟ و ما أبرز محطاتها ؟

- ما هي أبرز الطرق الداخلية الساحلية و البحرية للحج ؟

-كيف كان استعداد المغاربة للخروج من مصر عبر الطريق المشترك ؟ وما ترتب عنها من احتفالات؟

-كيف وصفت كتب الرحالة الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لبلدان المغرب العربي خاصة والحجاز عامة؟

-ما هي أهم الصعوبات التي واجهت الحجاج في طريقهم إلى مكة و المدينة المنورة ؟

تلكم الإشكاليات وأخرى نحاول الإجابة عنها في المتن ،وفيما يتعلق بالإطار الزماني والمكاني لهذه الدراسة ارتأينا تحديد الفترة الحديثة لتزامنها مع كتب الرحالة كالعياشي والورتلاني والحضيكي والسجلماسي ،أما الإطار المكاني فقد حددنا من المغرب الأقصى غربا حتى الحجاز شرقا ،والتي شملت بلدان المغرب العربي (المغرب ،تونس ،الجزائر،وليبيا) وجزء مصر التابعة للمشرق والحجاز.

وللإجابة عن الإشكالية التي طرحنها آنفا ،وبالنظر إلى ما استطعنا تحصيله من مادة علمية وضعنا موضوع بحثنا المتواضع في حجمه القيم في متنه وفق خطة مكونة من ، مقدمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة ،وتبعنا البحث بمجموعة من الملاحق بالإضافة إلى القائمة البيبليوغرافية وفهرسة الموضوعات.

ففي المدخل تطرقنا إلى الجانب الجغرافي و التضاريسي لطرق الحج ، ثم حاولنا إعطاء نظرة موجزه عن طريق الحج قبيل الفترة الحديثة حتى نضع القارئ في الصورة.

أما الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان :الطرق البرية الصحراوية ،هو دراسة وصفية للمسالك التي يختارها الحجاج، والتي تكون في الصحراء والتي تضمنتها الرحلات ،واستعرضنا الجوانب الجغرافية للمحطات والمدن التي يمر بها الحجاج ،وهذا الفصل عالجنا فيه الطريق الصحراوي المنطلق من سجلماسة ، والطريق الصحراوي المنطلق من مراكش ،ثم حاولنا تقديم نبذة مختصرة عن نقاط انطلاق الركاب ووصف الطريق بما فيها القرى والمدن والجبال والوديان والتحدث عن طريق العودة.

والفصل الثاني الذي كان بعنوان: الطرق الساحلية البرية والبحرية ،ففيه تطرقنا إلى الطريق التي سلكها الحجاج عبر البحر، والطريق الذي اختار فيه الحجاج سلوك طريق البر الداخلي الساحلي المنطلق من فاس ، ثم حاولنا الوقوف عند أهم المحطات والتعرف بها.

والفصل الثالث الذي كان بعنوان: الطريق المشترك البحري والبري المنطلق من مصر، حيث وقفنا عند أهم الاحتفالات بخروج المحمل، والذهاب عبر الطريق المشترك الذي اتبعه المغاربة المنطلق من القاهرة نحو الحجاز.

أما الفصل الرابع الذي جاء بعنوان: تداعيات طرق الحج و أهم صعوباتها ،حيث تعرفنا على الواقع الاقتصادي و الاجتماعي الثقافي لمسالك الحج ، و ذكرنا مشاكلها الأمنية والطبيعية والصحية والسياسية وتأمينها.

وختمنا موضوع البحث بأهم النتائج المتحصل عليها من هذه الدراسة المتواضعة .

أما المنهج المتبع في دراسة الموضوع ،فهو المنهج التاريخي الوصفي التحليلي الاستنتاجي حيث قمنا برصد المادة الوصفية الواردة في المصادر وتصنيفها و مقارنتها ،ثم عمدنا إلى تحليلها على ضوء معطيات كتب الرحالة وأهم الدراسات التاريخية والجغرافية المتعلقة ببلدان المغرب العربي والحجاز لنصل في النهاية إلى جملة من الاستنتاجات.

ولإثراء هذا الموضوع اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع من أهمها:

-الرحلة العياشية "ماء الموائد "لأبي سالم العياشي :(1090هـ/1679م) حيث تعتبر هذه الرحلة من أهم الرحلات الحجازية ،ولا يخفى عن أحد منا أهمية الرحلة ،فالإنسان يرى من خلالها عجائب الأمصار ومحاسن الآثار فهي تزود الإنسان بالمعلومات المهمة والتجارب المختلفة ،كما زودتنا نحن بمعلومات عن طريق الحج المنطلق من سجلماسة،ووصفه لأهم المحطات ،فاستحضر جميع المدن التي مر بها وكتب أسمائها وصفاتها وجغرافيتها وعاداتها وتقاليدها ومكانتها التي أفادتنا في الفصل الأول.

-الرحلة الورتلانية"نزهة الأنظار بفضل علماء التاريخ والأخبار" للحسين الورتلاني (ت:1193هـ/1779م) وهي تعد من المصادر المهمة للتعريف بالبلدان التي زارها الورتلاني في رحلته إلى بيت الله الحرام ،والتي أفادتنا في الفصل الأول والفصل الثالث.

-رحلة جوزيف بتس :الحاج يوسف (ت:1680م) رغم أنه من جنسية إنجليزية غير عربية إلا أنه أفادنا كثيرا في بحثنا ونعتبره من المصادر المهمة ،حيث أنه أول رحالة في التاريخ الحديث يصف طريق الحج (البري والبحري) من بلاد المغرب ،وما كان علينا إلا الاستعانة بهذا المصدر في التعرف على الطريق البحري والذي أفادنا في الفصل الثاني.

-رحلة أبو عبدا لله الطيب نور الله ،وهذا المخطوط استعنا به في بحثنا،و كان مصدر هذا المخطوط عبد الله حمادي الإدريسي (أستاذ بجامعة وهران) و هذا المصدر مهم في التعريف بالبلدان والمسالك المؤدية إلى الحجاز ،وأفادنا في الفصل الثاني والثالث.

-معجم البلدان لياقوت الحموي بأجزائه الخمسة الغنية عن التعريف حيث يحمل العديد من البلدان ومعانيها وجغرافيتها ،وهذا ما لا يمكن أن يحيط به أي شخص مهما كان واسع الإطلاع ،وفي بحثنا هذا أفادنا كثيرا في التعرف على الأماكن باعتباره يضم مختلف الجغرافيا الفلكية والوصفية والرحلات أيضا.

-وصف إفريقيا لمحمد حسن الوازن، حيث يعد من المصادر الجغرافية الذي يصف العديد من الأماكن بالمغرب الأقصى والجزائر وتونس وطرابلس ومصر وكان وصفه لهذه المناطق بإعطائه لمحة تاريخية عنها.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من المصادر تم الاعتماد على مجموعة من المراجع:

-كتاب "من حديث ركب الحج المغربي" لصاحبه ومؤلفه محمد المنوني ،ويعتبر هذا الكتاب من المراجع الأساسية الذي تناول فيه صاحبه، الركاب المغربية التاريخية ،حيث أفادنا هذا الكتاب بشكل كبير في الفصلين الأول والثاني، بحيث عن طريقه تعرفنا على طريقة تنظيم ركب الحج لدى المغرب و التي كانت نقاط انطلاق الركاب و ينظم إليهم بعد ذلك بقية الركاب من أقطار المغرب العربي.

-كتاب "رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة " من تأليف عبد الهادي التازي بحيث اعتمدتاه في التعرف على أهم الرحلات التي تناولت طرق الحج وساعدنا كثيرا في التعرف على الرحلات التي كانت في الفترة الحديثة.

-كتاب "كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (11هـ-12هـ) "لعواطف بنت محمد يوسف نواب والذي فيه شيئا من موضوعنا كالطريق المؤدي إلى البقاع المقدسة والذي يبدأ من مصر.

-كتاب "أطلس الحج والعمرة :تاريخا وفقها "لسامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث حيث يعد مرجعا مهما ويحتوي خرائط متعلقة بمسالك الحج وعلى مختلف الحقب التاريخية ،فمثلا استفدنا منه نحن في التعرف على المسالك في الفترة الحديثة.

أما محاولات الدراسات السابقة التي لها صلة بموضوعنا فهي كثيرة في حدود علمنا ولكنها تحدثت بالخصوص عن ركب الحج ،حيث هذا الموضوع نجده في مقالات ودراسات متفرقة عبر المواقع والمجلات والمذكرات.

وعلى سيرة المذكرات نذكر على سبيل المثال لا الحصر :"التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية لليلى غويني ،حيث ساعدنا قليلا في الفصل الأخير وتحديدا التداعيات الثقافية لطرق الحج ،وهي أطروحة لنيل شهادة الماجيستر.

كما استخدمنا جملة من المقالات المنشورة في المجلات التاريخية منها:

-أمن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني بقلم حفيان رشيد المنشور في مجلة كان التاريخية ،وهي دورة عربية الكترونية.

-الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية بقلم بوسليم صالح،المنشور في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية الصادر في الجزائر .

و في الأخير إذا كان لابد من الحديث عن الصعوبات والعوائق التي واجهتنا أثناء إعدادنا لهذا البحث ،ولو أننا نراها طبيعية تواجه كل باحث في مجال دراسته لبحثه فيمكن إجمالها في مايلي:

-قلة الرحلات الحجازية الجزائرية، وندرة التونسية والليبية جعلت البحث ينحصر في حدود الرحلات المتوفرة لدينا.

-افتقار مكتبة كليتنا للكثير من المصادر والمراجع المتعلقة بالفترة الحديثة وانعدام توفرها على كتب الرحلات الحجية.

-ضيق الفترة الزمنية لإنجاز هذه المذكرة بحيث أنه موضوع واسع المجال و يحتاج مدة لا بأس بها للإلمام بكل جوانبه.

مدخـــــــل

الوصف الجغرافي لمسالك الحج وأهم الطرق قبيل الفترة الحديثة

مدخل:

لا تكاد تخلو نصوص الرحلة[1] بشتى أنواعها،من إشارات جغرافية بمناطق الانطلاق والعبور، بما أنا الرحلة نقلت في الزمان والمكان فهذه الشاكلة تحضر في الرحلة الدينية معطيات جغرافية مهمة عن أوصاف يسوقها الكاتب بين الفينة والأخرى.

1-الجانب الطبيعي لطريق الحج الساحلي:

مما لا شك أن رحلة الحج خدمت الجانب الجغرافي وأتاحت الفرصة للإطلاع على كل طريق في الاتجاه الجغرافي[2]،وبما أن الرحالة العرب والمسلمين جابوا العالم القديم فإنهم سجلوا ملاحظاتهم حول التضاريس الجغرافية ،من جبال وسهول ومواقع المدن الكبرى ،ودرسوا الأنهار والخلجان وحدود البلدان [3].

يتميز الجانب الساحلي والداخلي بوجود سلاسل الريف ،وبالتحديد جبال الأطلس الأوسط،الممتدة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي،حيث يمثل أعلى ارتفاع فيها 3340متر ،مرورا بواد ملوية ومنها متوجهين نحو الجزائر مارين بمناطق سهبية مثل العريشة، وهي ضمن السهوب الجنوبية لتلمسان غرب الجزائر، مرورا بسهوب مشرية والبيض (توسمولين) وصولا إلى جبال العمور، التي هي من ضمن سلسلة جبال الأطلس الصحراوي بالجزائر، متواجدة بالأغواط وهي امتداد لجبال الأطلس بالمغرب مرورا بشمال الأغواط وخاصة بعين ماضي، متجهين إلى بسكرة .

---

[1]-الرحلة :لفظ الرحلة يعني الانتقال من مكان إلى آخر وتعني الترحال ،والارتحال هو الانتقال والانتقال هو الرحلة ،وهي المسير وجاءت أيضا بمعنى الوجهة أو المقصد ،وهو الانتقال من مكان إلى مكان آخر.ينظر:**ابن منظور**، لسان العرب ،ج1،دار صادر ،ط3، 1994، بيروت ،ص ص274- 279.

[2]-**صلاح الدين علي الشامي**، الرحلة عين الجغرافية المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، ط2، منشاة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص177.

[3]-**ازهر حسين زروقي** ،الرحلة في التراث الغربي الإسلامي ودورها في رصد المعرفة الجغرافية ،مج19،جامعة تكريت كلية التربية،قسم الجغرافية ،2010م،ص170.

ثم الخروج منها نحو تونس مرورا بوادي حميدات التي مصبها شط ملغيغ[1]،الذي هو أهم الشطوط الشرقية الجزائرية والذي يقع جنوب بسكرة ، يبعد عن وادي سوف بحوالي 95كلم ،وعن ورقلة بـ160 كلم ،يكون جاف في فصل الصيف تقريبا ،ثم الدخول إلى تونس عبر شط الفجاج الذي يقع في صحراء تونس ،والتي من بينها الحامة حتى قابس ،التي هي منطقة تتواجد في السواحل الشرقية الجنوبية على الخليج الذي يحمل اسمها ،وبعدها متوجهين إلى طرابلس مرورا ببحيرة (البيبان) في الطريق الساحلي للجنوب الشرقي، وتليها منطقة (زوارا)وهي قرية كبيرة ،ثم التوجه إلى طرابلس وهي مدينة ساحلية في الشمال الغربي لليبيا دخولا على نفس الطريق الساحلي المار بمصراتة ،ثم سرت وهذه الأخيرة هي عبارة عن صحراء مطلة على البحر الأبيض المتوسط التي تقع في المنتصف الساحلي، ثم إلى أجدابيا المطلة على خليج سرت ،ومنها المرور بالجبل الأخضر الذي يبلغ ارتفاعه 882 م.

المناخ:

يتميز هذا الطريق بمناخ متوسطي مطري شتوي ،في السهول الساحلية المطلة على البحر الأبيض المتوسط خاصة في إقليم التل في المملكة المغربية وإقليم الجبل الأخضر في ليبيا ،أما في مرتفعات الأطلس الريف تغزر أمطارها ،وتتميز بدرجة حرارة منخفضة ،أما بالجزائر فيمتاز مناخها بأمطار قليلة ومناخ شبه جاف بارد شتاء ،وحار صيفا تتراوح أمطاره ما بين 200 و300ملم ،أما في تونس في منطقة الشطوط تتميز بقلة الأمطار بحوالي 200الى 400ملم ،ذات درجة حرارة مرتفعة صيفا وباردة شتاء ،وذلك عكس المناطق الساحلية كقابس التي تتميز بمناخ البحر الأبيض المتوسط ،أما ليبيا يتميز مناخها بارتفاع درجة الحرارة صيفا ،إذ تفوق 40 درجة وتقترب من هذه الدرجة بأجزاء منخفضة ،بالقرب من الساحل من خليج سرت وطرابلس ،وتصل درجة الحرارة شتاء إلى 14درجة ،أما الأمطار فهي ضئيلة إلا في إقليم برقة ومدينة طرابلس بحيث تتراوح ما بين 300 إلى 350 ملم .

نستنتج من خلال وصفنا لتضاريس ومناخ هذا المسلك ما يلي:

[1]-شط ملغيغ :هو عبارة عن حوض مغلق على إرتفاع تحت الصفر بحوالي (35-) وهي بحيرة مالحة مساحتها 551500 ،الممتدة على طول 130 كلم ،من الشرق إلى الغرب. ينظر:**لاروس،أطلس بلدان العالم** ،عويدات للنشر و الطباعة ،2013 ،بيروت ،ص ص120.

-صعوبته المتمثلة في شدة التضرس من المغرب الأقصى إلى الجزائر حيث تتواجد السلاسل الجبلية.

-خفة التضرس من تونس إلى ليبيا وهو ما يقلل من صعوبة الطريق.

-الحرارة الشديدة خاصة في ليبيا ،وهو ما شكل صعوبة أخرى من صعوبات الطريق.

2-الجانب الطبيعي والجغرافي للطرق الصحراوية :

تتواجد نقاط انطلاق سجلماسة ومراكش ضمن سلاسل جبال الأطلس الممتدة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ،نحو الساحل المغربي الأطلسي ويمثل أعلى ارتفاع بها 4000م ،وهي موازية لسلاسل الأطلس الصغير جنوبا ،حيث يفصل بين هاتين السلسلتين الجبليتين وادي سوس ،مرورا بوادي درعة متجهين إلى الجزائر نحو الجنوب ،مرورا بمناطق سهبية تزارين ثم زاكورا وعبور منطقة صحراوية متواجدة ضمن سلسلة الأطلس الصحراوي ،وتحديدا العرق الغربي الكبير ،والتي تتكون من تراكمات رملية ناعمة وتتخللها نسبة كبيرة من الحماد، التي تتشكل من مسطحات صغيرة ذات مواد حصوية بنسبة 70% من مساحة الصحراء الكلية ،تغطي الواحات والمنخفضات والجبال بقية النسبة لمساحة الصحراء[1].

ثم مرورا بمنطقة ابن عباس ،ثم جنوبا حتى وادي الساورة الذي يبلغ طوله 1200م ،ثم الانعطاف نحو الشمال مرورا بالواحات التي من أهمها عين صالح ،وهي مناطق خصبة ،وتكون المياه الجوفية قريبة بشكل كافي من السطح ،يتيح ظهور الينابيع ،ثم المرور بهضبة (تادميت)الذي يبلغ ارتفاعها 1000م ،والتي تمتد بين أطلس التل وأطلس الصحراء ،وهي سهل واسع مرتفع ، متجهين شمالا نحو القليعة ثم ورقلة ،وهاتين المنطقتين ضمن شمال العرق الشرقي الصغير ،والمرور بوادي سوف التي تقع شرق الصحراء الجزائري والحدود حتى توزر شمال شط الجديد الذي هو من أهم شطوط تونس ،حيث يقع في الصحراء هذه الأخيرة،ويبلغ عرضه 120كلم ،ثم الاتجاه نحو الساحل الجنوبي الشرقي مرورا ببحيرة (البيبان) حتى ليبيا ،والمرور بجبل نفوسة الذي يقع على ارتفاع 3000م شمال ليبيا.

[1]-**فليب رفلة ،احمد تامي مصطفى**،جغرافية الوطن العربي دراسة طبيعية اقتصادية سياسية مع دراسة شاملة للدول العربية ،مكتبة النهضة المصرية ،ط4 ،مصر ،1971، ص28.

أما من أراد تجنب المدن التونسية ،فيتوجه من الصحراء الجزائرية نحو ليبيا والدخول إلى فزان، قاطعين واحتها التي يقع في الصحراء الكبرى على ارتفاع ما بين 500م و1000م ،بعد المرور على منطقة مرزق وتراغن باتجاه الشمال ،أما المناطق المدارية حيث يبلغ عليها الجفاف نتيجة لعدة عوامل متعلقة بطبيعة الجو والسطح والموقع الجغرافي ،أما المناطق الشمالية وبعض البقع الجبلية الواقعة جنوبها ،فتسقط الأمطار بكميات ضئيلة تكفي لنمو غابات أو أحراش دائمة الخضرة ،كما هو الحال في الجبل الأخضر ومنها لا يكفي أمطارها إلا لنمو حشائش موسمية تختفي بسرعة.

وفي الأخير نستنتج من خلال هذه الدراسة التضاريسية والمناخية للطرق الصحراوية النقاط التالية:

-يسود الصحراء أقصى الظروف المناخية ،حيث تهب عليها رياح قوية وغالبا ما تكون محملة بالغبار والرمال.

-تتسم الأمطار بصحراء الجزائر بالعشوائية حسب تبيناتها الزمنية والمكانية حيث تقل الأمطار وترتفع درجة الحرارة.

-تتميز هذه الطرق بوجود أكوام من الرمال في أرض صحراوية، وقد ترتفع هذه الكثبان من منطقة إلى أخرى، وتتغير أشكالها بسبب الرياح العاتية.

-تناقص قسوة الظروف المناخية كلما اتجهنا شمالا من الصحراء نحو السواحل ، وتحديدا من صحراء الجزائر باتجاه السواحل التونسية والليبية شرقا[1].

[1]-تم الاعتماد على كتب جغرافية لتلخيص تضاريس كل منطقة لمناطق العبور ،.ينظر:عبد الفتاح لطفي عبد الله ،جغرافية الوطن "تحليل أبعاد الجغرافية للوطن العربي " دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ،ط1 ،2006،عمان ،ص ص 33 ، 45 /فليب رفلة ،المرجع السابق، ص 28-47/موسوعة أطلس العالم ،شبكة المهاجرون الاسلامية ،ص ص 50-54 ،لاروس ، المرجع السابق ،ص ص120 .

3-الحج قبيل الفترة الحديثة:

كانت لكتب الرحالة قيمة علمية وأدبية خاصة الرحلات الحجازية التي يقوم مؤلفها بوصف أهم الطرق والمحطات التي مروا بها بجميع جوانبها الاجتماعية والاقتصادية وحتى الجغرافية.

كان للحج فرصة لزيارة أقطار العالم الإسلامي ،ولقاء علمائه لقوله صلى الله عليه وسلم"سافروا تصحوا وتغنموا وتزدادوا رزقا" ،لاسيما أن الرحلة بين المغرب والمشرق كانت تستغرق شهورا عديدة [1]،بحيث عرفت رحلة [2]الحج في الفترة الوسيطة صعوبات كثيرة في الطريق التي دونها أصحاب الرحلة ،وهذه الأخيرة عرفت أهمية كبيرة في كونها تمثل مظهر من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية ،بحيث فتحت الأفاق المعرفية من خلال عادات وتقاليد تلك المناطق والمحطات من اقتصادها، وما حضرته من مجالسها العلمية ،كما ساهمت في رسم حدود الخرائط الجغرافية[3].

قد تحدث الرحالة عن تنظيم ركب الحج وهذا الأخير هو عبارة عن مدينة متنقلة بنظام يشرف على سيرها وراحتها أمير الركب [4]،وهذا الأخير لابد أن تتوفر فيه جملة من الشروط المناسبة تأهله لهذه المهمة من أجل ضمان حماية الحجاج[5].

لقد تعددت طرق الحج المغاربية واختلفت مساراتها في الفترة الوسيطة ،ومن أشهر هذه

---

[1]-**عبد العزيز بن عبد الله** ،الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ ،دار النشر للمعرفة ،ط1، الرباط ،2001،ص:48.

[2]-هي نوع من الحركة والمخالطة ،وهي من أجل هدف أو غاية ،وتكون إما رحلة برية أو بحرية أو جوية .ينظر:**أبي حامد الغزالي** ،إحياء علوم الدين ،ط1 ،دار إبن حزم ،لبنان ،2005.وينظر:**صالح الدين الشامي** ،رحلة عين الجغرافية المبصرة ،ط2 ،منشأ المعارف الاسكندرية، 1999،ص11.

[3]-**محمد فرخاس** ، نادية صلاح محمد الصديق،رحلات لمغاربة إلى المشرق ودورها في تعزيز الثقافة التواصل ،،ص29.

[4]-هو المشرف على ركب الحج منذ الخروج الى العودة .ينظر ،**أبي العباس الهلالي السجلماسي** ،تراث فجيج ،تح:محمد بن بوزيان بن علي ،ط 1،د ب ،2014،ص91.

[5]-**مولاي بلحميسي** ،الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ،ط2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1981 ،ص25.

الرحلات التي طغت في هذه الفترة هي رحلة إبن بطوطة[1] ،ورحلة إبن جبير[2] العبدري، [3]إبن رشد وغيرهم[4] ،حيث ساهم هؤلاء الرحالة وكتابتهم بتقديم لنا صورة واضحة ووصفا دقيقا للطريق التي مر بها ،وأهم المحطات التي نزلوا فيها ،وكذلك الصعوبات التي واجهتهم في طريقهم إلى الحجاز.

كانت بداية خروج إبن بطوطة إلى الحج ومدينة طنجة[5]، في اليوم الخميس الثاني من شهر رجب عام 1125م /725هـ مرورا بمدينة تلمسان ثم مدينة مليانة وإليه إلى الجزائر[6] ثم بجاية مرورا بقسنطينة حتى وصول الركب إلى تونس ،حيث أخذ إبن بطوطة الطريق الساحلي حتى مدينة سوسة التي هي مدينة صغيرة مبنية على شاطئ البحر وبعدها صفاقس وبعدها قابس ثم طرابلس ،فأقام الركب بها شهر محرم وبعدها الإسكندرية[7].

[1]-إبن بطوطة بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبدالرحمان ،إبن يوسف اللواتي الطنجي ،أبو عبد الله إبن بطوطة الملقب بشمس الدين ،رحالة مغربي يرجع نسبه الى لواتة أحد القبائل البربرية ولد سنة 803هـ/1303م بمدينة طنجة ،وتولى قضاء الركب الحجازي ،فقد كان كثير الزواج ،وأدى فريضة الحج 7مرات.ينظر:**عواطف بنت محمد بن يوسف النواب** ،الرحلات المغربية الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز القرنين 7و8هجريين دراسة تحليلية ومقارنة ،مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض،129،1992، 130.

[2]-ابن جبير ،هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكتاني الاندلسي ،أصل أسرته من بلدة شاطيا هناك ،ولد ببلنسيا سنة 540هـ/1145م ،كانت رحلته مكتوبة بشكل مذكرات يومية قد كتبها في أوراق منفصلة جمعها تلامذته بعد وفاته ،توفي بالإسكندرية ,ينظر:**شوقي الضيف** ،الرحلات ،ط4، دار المعارف ،القاهرة ،1119م ،ص ص 80، 81.

[3]-محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري الجيجي ،ويرجع نسبه إلى بني عبد دار من الرحالة ببلاد المغرب ،وهو عالم بجميع العلوم ،تلقى تعليمه بمراكش.ينظر: عواطف بنت محمد بن يوسف النواب ،المرجع السابق،ص 118.

-**جمال الدين فالح الكيلاني** ،الرحلات والرحالة في التاريخ الاسلامي ،دار الزنبقة ،القاهرة ،2014، ص20.[4]

[5]-هي بلدة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء ،وهي مدينة قديمة ،وهي على ظهر جبل ،وهي مدينة خصبة ذات مياه وفيرة تعتبر آخر حدود افريقيا .ينظر:**ياقوت الحموي** ،معجم البلدان ج5 دار صادر،بيروت، ص43.

[6]-مدينة عامرة عرفت في القديم بايكوزوم وهي مدينة رومانية معناها الجزر ،وسميت بذلك لأنها مجاورة لجزر ميورقة والمدينة القديمة من بناء قبيلة افريقية تدعى مزغنة .ينظر:**حسن الوزان** ،وصف إفريقيا ،ج2،تر :محمد حجي ،ط2،دار الغرب الإسلامي ،لبنان ،ص37.

[7]-**محمد عبد المنعم العريان** ،رحلة ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،ج1،ط 1،دار إحياء العلوم ،بيروت ،1987،ص39.

وأيضا كانت رحلة ابن رشد السبتي البرية فكانت الانطلاقة من سبتة[1] ثم الجزائر وصولا إلى تلمسان وبعدها بجاية دخولا إلى تونس ثم مصر والإسكندرية ،وقد كانت معظم أجزاء رحلته مفقودة [2]،بحيث كان كل مدينة يحل بها حريصا على الاتصال بعلمائها ومشايخها[3].

وما يخص رحلة إبن جبير الذي كان توجه إلى الحج في سن مبكرة فغادر إلى سردينيا بصقلية، ثم دخل ميناء الإسكندرية ،ثم غادر إلى صعيد مصر فوصل إلى مرفأ عيذاب على البحر الأحمر ،ثم ركب السفينة إلى جدة وبعدها إلى مكة والمدينة ،وهذا ما يتضح لنا أن رحلته كانت عن طريق البحر والتي استغرقت عامين.

كانت رحلة العبدري عن طريق تلمسان ثم الجزائر وبجاية وقسنطينة ،وتونس والإسكندرية ثم القاهرة [4]،فقد كانت هاته الرحلة متشابهة مع رحلة إبن بطوطة في محطات العبور.

وكان من المعتاد أيضا أن قوافل الحج المصرية تكون بانتظار قوافل الحج المغاربية (المغرب ،الجزائر ،تونس ،طرابلس)وكانت تمر طرق الحج في الفترة الوسيطة على المهدية وهي أراضي مصرية محاذاة للساحل حتى تصل إلى ميناء الإسكندرية ،وبعدها يصل جميعها إلى القاهرة حيث يلتقوا مع قافلة الحج المصرية ،كانوا يجتمعن ببركة الحاج ثم تواصل جميع القوافل مسيرها حتى تصل إلى ميناء قلزم حتى جدة والمدينة[5].

[1]-بلدة مشهورة بقواعد بلاد المغرب مرساها أحسن مرسى على البحر ،وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلسيين ينظر:معجم البلدان ،مج 3،ص182.

[2]-**أحمد الحدادي** ،رحلة ابن رشد السبتي ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ،1424هـ/2003 ،ص205.

[3]-**أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشد الفهري السبتي** ،مليء العيبة بما جمع بطون الغيبة في الوجهة والوجيهة ،ج2،الدرا التونسية للنشر،تونس 1932،ص57.

[4]-**محمد رشيد الفيل** ،أثر التجارة ولا رحلة في تطور المعرفة والجغرافيا عند العرب، مراسلات الجمعية الجغرافية الكويتية الخالدية ،1989، ص18.

[5]-**السامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث** ،أطلس الحج ولعمرة ،تاريخا وفقها ،مكتبة العبيدي ،الرياض ،1431هـ .،ص114.

تناولت رحالات الفترة الوسيطة أهم الصناعات والحرف المختلفة في أرجاء الدول الإسلامية أهمها صناعة الثياب وصباغتها والكتان والحرير [1]،وفي الجانب الاجتماعي حفلت هذه الرحلات بالأخبار الاجتماعية كعادات السكان وأخلاقهم وتقاليدهم ومستواهم الثقافي[2]كوصف العبدري لأهل مكة وأخلاقها وطباعها بقوله:"وفي أصحبها بعض الجفاء وهم في الغالب يؤذون الحجاج وهذا دليل على قساوة قلوبهم[3].

كما ذكر الرحالة في رحلاتهم عن الصعوبات التي واجهوها في الطريق كأهوال البحر التي مروا بها كابن جبير حيث لم يميز الشرق من الغرب حتى ظهور منار الإسكندرية على نحو 20ميل وهذا دليل على ضياعهم[4].

[1]-جمال الدين فالح الكيلاني ،المرجع السابق،ص22.

[2]-محمد فرخاس ،المرجع السابق،ص30.

[3]-**العبدري البلنسي**، الرحلة العبدرية،تق سعد بوفلاقة ،منشورات بونة ،الجزائر ،2007م ،ص08.

[4]-**إبن جبير** ،رحلة ابن جبير ،دار صادر ،بيروت ،د س،ص11.

الفصل الأول:

الطرق البرية والصحراوية

1-المبحث الأول:الطريق البري المنطلق من سجلماسة.

2-المبحث الثاني:الطريق البري المنطلق من مراكش.

في هذا الفصل حاولنا تقديم صورة توضيحية عن أهم الطرق البرية الصحراوية التي أعتمدها الرحالة في كتاباتهم وأهم المحطات التي توقفوا فيها وصف لطريق التي اعتمدوا عليها فصلا دقيقا،من نقطة الانطلاق حتى نقطة الوصول وكذا طريق عودتهم من رحلتهم من المكان المقصود لأداء الحج حتى مكان ذويهم.

المبحث الأول: الطريق البري المنطلق من سجلماسة.

مع تشييد سجلماسة في موقع محوري يربط بين مختلف أجزاء شمال إفريقيا وبين هذه ومناطق جنوب الصحراء فضلا عن المشرق الإسلامي، كان لهذا الموقع حافز لجعلها عاصمة الذهب والقوافل التجارية وحتى الدينية، وكانت هذه القوافل تجتاز بالمغرب إلى سجلماسة وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق، بإعتبارها منطقة تزخر بالكثير من الخيرات.

1-جوانب تاريخية من مدينة سجلماسة:

1-1الموقع:

اهتمت المصادر الجغرافية القديمة بسجلماسة تبعا للدور الذي لعبته في التجارة الصحراوية، وتم تحديد موقعها بناءً على المسافات الفاصلة بينها وبين المدن الكبرى بالمغرب الأقصى، وحدد "ابن سعيد المغربي" موقع مدينة سجلماسة حسب خطوط الطول ودوائر العرض وقال: " وفي غرب درعة مدينة سجلماسة وهي قاعدة ولايته مشهورة حيث الطول 13°، والعرض 26°"، وهذا التحديد لا يتناسب مع ما توصلت إليه الدراسات الحديثة لأن موقع خراب سجلماسة يقع بين خط طول 31° و7°غربا وخط عرض بين 34°و80° شمالاً.

بنيت هذه المدينة على موقع طبيعي ممتاز وهو عبارة عن هضبة مرتفعة عن مستوى غمر مياه فيضانات وادي زير، واختيار هذا المكان لبناء سجلماسة تبرره حاجة سكانها إلى الحماية اللازمة لتفادي غمر فيضانات هذا الوادي الفسيح المجال لممارسة النشاط الزراعي في الأراضي السهلة المجاورة[1].

[1]- **حسن حافظ علوي**، سجلماسة وأقاليمها في القرن 8هـ/ 14م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، 1997م، المغرب، ص85.

1-2-التسمية:

سجلماسة بكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون اللام وفتح الميم، ثم ألف وسين مهملة مفتوحة ،وهاء في الآخر[1].

يرى "كولين" أن كلمة سجلماسة مشتقة من "**Sigillum**"وهي كلمة لاتينية مأخوذة من الكلمة اليونانية "سيجيليوم"واستعملت في اللغة العربية للدلالة على صكوك المبايعات وذكر "ماك كوك" **Mak kook**، أن الكلمة مركبة من شقين "سجل" و"ماسة" وقال أن لفظ سجل جاء في القرآن بدون ياء، وجاء بالياء أيضا "سجيل "[2].

وقد اختلف أهل التفسير في معنى اللفظين وفي أصلهما أو تعريفهما، فقالوا في الأول "سجل" أن من معانيه الصك ،وكتاب العهد والكتاب والرجل باللغة الحبشية، وقالوا في الثاني "سجيل" أن معانيه الصلب الشديد وحجارة المدر وحجارة من طبع، وعلى هذا المعنى يكون عربيا أصيلا.

إن هذا التعليل القائل بأصالة كلمة سجيل في اللغة العربية يدفع إلى الاعتقاد في أن الشق الأول من الكلمة عربيا، فيكون بذلك وليد فترة الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا ،أما الشق الثاني فهو اسم لمدينة بالمناطق الجنوبية للمغرب الأقصى وهي ماسة ،وعليه تكون هذه الكلمة مركبة من "سجيل وماسة" حسب أصحاب هذا الرأي[3].

1-3-الموقع الجغرافي والطبيعي : هي مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان[4]،و مدينة سجلماسة على مقر يقال له زيرو ليسبها عين ولا بئر وبينها وبين البحر عدة مراحل[5]، تقع في وسط رمال كرمال زود، ويتصل بها حدد من الأرض يمر بها نهر كبير قد غرسوا عليه بساتين ونخيل ،وعلى أربعة فراسيخ منها رشاق يقال له (تيموتين) على نهر جاري من

---

[1]- **أبي العباس أحمد القلقشندي**، صبح الأعشى، ج5، دار الكتب الخديوية، د.ط، القاهرة، 1333هـ ، ص163.

[2]- حسن حافظي علوي، المرجع السابق ، ص86.

[3]-المرجع نفسه، ص87.

[4]- **زكريا بن محمد بن محمود القزويني**، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص42.

[5]-**أحمد بن أبي يعقوب إسحاق**، البلدان، دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، د.ت، بيروت، ص192.

الأعناب الشديدة الحلاوة ، مالا يحد فيه ستة عشر صنفا من التمر مابين عجوة ودقل، وأكثر أقوات سجلماسة من التمر وعلتهم قليلة[1]، كما أنها كثيرة الخضر والجنات[2].

1-3-الجانب السياسي:

توالت الروايات التاريخية وتنوعت حول بداية نشأة سجلماسة، ومن أشهرها روايتا الوزان والتي تقول بأن بناءها تم في الفترة الإسلامية و الأخرى تعود بتأسيسها إلى مرحلة حكم الرومان لبلاد المغرب ،ورغم تعدد هذه الروايات فإن تضارب أخبارها يجعل تأسيس هذه المدينة غير معروف بشكل دقيق خاصة، وأن أقدم الروايات الإسلامية التي هي رواية البكري تؤرخ بناء سجلماسة بتاريخين مختلفين[3].

أما تشييد مدينة سجلماسة،يعود إلى سنة 140 هـ/757م من طرف خوارج مكناسة[4]، بزعامة "أبي القاسم سمغوبن واسول المكناسي الصفري"[5]، الذي كان صاحب ماشية كثيرة واتخذ موضع سجلماسة الذي كان يتردد إليها وكان براحا، وعرف بأنه كان فسيحا وهناك التفت حوله قبائل البربر الذين اتخذوا من سجلماسة سوقا لهم فاستغل ذلك "أبو القاسم".

---

[1]- معجم البلدان، ج3، ص192.

[2]- **محمد بن عبد المنعم الحميري**، تح: إحسان عباس، الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، ط2، بيروت ،1984م، ، ص305

[3]- حسن بن محمد الوزان، المصدر السابق،ج1، ص449.

[4]- مكناسة: مدينة بالمغرب في بلاد البربر بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة ،قنحو المشرق ومنها إلى فاس مرحلة واحدة وقال أبو الإصبع سعد الخير الأندلسي :" بالمغرب بلدة أخرى مشهورة يقال لها مكناسة الزيتونة ،الحصينة المكينة في طريق المار إلى سلا على شاطئ البحر، ومكناسة هذه البلدة خصيبة ذات عيون وأنهار وثمار كثيرة وأشجار. ينظر: معجم البلدان،ج5، ص181/**محمد بن غازي العثماني**، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، ط1، 1988م، الرباط، ص09.

[5]- **لحسن تاوشيخت**، سجلماسة من المدينة الى القصور، مجلة كان التاريخية، ع28، دار ناشر للنشر الإلكتروني، الكويت، 2015م، ص53.

وقام بنشر المذهب الصفري[1] بينهم، فأقبلوا عليه بعدها نصبوا خيامهم بجوار خيمته وعندما أصبح عددهم أربعين رجلا أعلنوا عن قيام دولتهم وعاصمتهم سجلماسة، ثم قدموا "عيسى بن يزيد الأسود" رئيسالهم[2].

ثم عرفت بعد ذلك هذه المدينة نموا خلال ثلاث قرون الموالية، اتخذت في البداية شكل عاصمة دولة فتوفرت على المرافق الضرورية كصك العملة الذهبية، وفي المقابل جلبت لها هذه الحظوة أطماع كل القوى السياسية قبل أن يسيطر عليها المرابطون سنة 447هـ/1054م، ومع السيطرة المرابطية تحولت سجلماسة إلى عاصمة إقليم لدولة شاسعة، واندمجت في شبكة اقتصادية وسياسية أكبر وشهدت تغيرات من حاكم إلى آخر ومن دولة إلى أخرى، وكان من نتائج ذلك أن فقدت سجلماسة الكثير من بريقها بل أصبحت وضعيتها السياسية غامضة في نهاية العصر المريني إذ شهدت العديد من الصراعات انتهت بتخريبها وتفرق سكانها وتوقف سك العملة وتحولت مسالك تجارة القوافل إلى جهة أخرى[3].

[1]- المذهب الصفري: فرقة من الخوارج، قيل سميت بالصفرية أو ألأصفري نسبة إلى زياد بن الأصفر وقيل نسبة إلى عبد الله بن صفار، وقيل هم الصفرية لخلوهم من الدين ويقال أنهم صفر من الدين، وقيل سمي بالصفرية إشارة إلى صفرة وجوههم من أكثر ما =تكلفوه من السهر والعبادة. ينظر: **عبد المنعم الحفني**، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشاد للنشر، ط1، م1993، ص277.

[2]- **ابن عذارى المراكشي**، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، تح: كولان، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983م، ص156.

[3]- لحسن تاوشيخت، مجلة كان، ع28،ص54.

2-أهم محطات الطريق:

2-1-محطة الانطلاق:

لقد اعتمد على الطريق هذا المنطلق من سجلماسة عدد غير يسير من الرحالة المغاربة خلال القرنين 17م و18م، "كأبي سالم العياشي"[1] لأكثر من مرة والذي كان في سنوات 1649م/1653م/1658/1661م ، و "الهشوكي"[2] مرتين1684م/1707م والشيخ "أحمد بن ناصر الدرعي"[3] عام 1709م، و "الحضيكي"[4]عام 1799م وغيرهم من الرحالة...

وهذا الطريق يرجع الفضل فيه إلى ركب الحج السجلماسي، الذي هو أحد أقدم ركائب المغرب المتوجهة إلى الحجاز والذي يذهب فيه أهل تافيلات[5] بعد إنضاف إليهم، وقد عمر هذا الركب طويلا وكان يسير تحت إمرة رئيس ،ويسمى بأمير الركب، مثله مثل الفضلاء المرافقين للمجاجي في ركب الحج إذ يقول:

وفي ركبنا من الأفاضل جملة من العلماء العالمين الآجلة

---

[1]-العياشي: هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، لقب بشيخ إمام الرحالة ،ونسبه العياشي ترجع إلى آيت عياش ،ولد ليلة شعبان عام 1037هـ/1628م، في قرية تازوروفتو توفي شهيد بمرض الطاعون عن عمر 53 سنة . ينظر: **عواطف بنت محمد يوسف نواب**، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11هـ/12هـ،دارة الملك عبد العزيز د.ط، الرياض،2008م، ،ص45/ ،ص61

[2]- الهشوكي: هو أبي العباس أحمد بن داود بن يغري بن يوسف الجزولي ولقب بالأحزي، واشتهر بالهشوكي، وبالتملي نسبة إلى بلدة أنتملت ينظر: **عبد الهادي التازي**، رحلة الرحلات ،مكة في مائة رحلة مغربية و رحلة، **عباس صالح الأشكندي** ، مؤسسة لفرقان للتراث الإسلامي، ج1 ،الرياض،2005م،ص251

[3]- الدرعي: هو الشيخ أبي العباس أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي، ت.سنة1129هـ/1717م، في تمجروت ودفن مع أبيه.المرجع نفسه، ص253.

[4]- الحضيكي: هو محمد بن أحمد الحضيكي ولد عام 1118م، في مدشر ترسواط في قبيلة أمانوز بسوس جنوب المغرب. ينظر: **أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي(1189هـ)**، الرحلة الحجازية، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، تع: عبد العالي لمدبر، ط1، المغرب، 1432هـ/2011م، ص24.

[5]-تافيلات:كانت تطلق على مناطق سجلماسة،وتذكر الرواية المحلية بإقليم سجلماسة أن تاريخ ظهور تسمية تافيلالت يعود إلى العصر الوسيط وبالضبط إلى الفترة التي شهدت قدوم الشرفاء العلويين إلى هذه المناطق أواخر ق7هـ/13م، ولفظ تافيلالت حسب هذه الرواية تم إشتقاقه من كلمة "أوفيو" ومعناها أوفو بصيغة الأمر. ينظر: حسن حافظي علوي، المرجع السابق، ص89.

أبو الحسن[1] علي إذ قل مثله فيما قد مضى والآتي من كل جهة
نعم ونعم فحبذا به من فتى جميع الخصال قد حواها رفيعة
فجود وعلم ثم حلم وزانه مع هذا السخاء في المال جملة[2].

والذي يختاره أهل الركب من أمثال القوم وتذهب فيه خلائق كثيرة، من علماء ومرابطين ووجهاء وفقراء، والطريق التي كان يسلكها مبنية في عدة رحلات منها الرحلة العياشية والتي كانت تشكل بالنسبة للرحالة المغاربة مرجعا ودليلا أساسيين،حيث كانت الطريق المفضلة عنده فضلا عن وصفها وصفا دقيقا ومفصلا، وبهدف وصف هذه الطريق ومراحلها سنتبع المسلك الذي اعتمده "أبو سالم العياشي" و "أحمد بن ناصر الدرعي"[3].

يذكر العياشي في رحلته الحجية الكبرى[4]، أن خروجه كان من بلدة (آيت عياش)بسجلماسة، بتاريخ صبيحة يوم الخميس 01 ربيع الثاني 1072هـ الموافق ل نحو 24 نوفمبر 1661م متجها نحو الحجاز ،وعودته منها ودخوله لداره المذكورة يوم الأربعاء ظهراً 17 شوال 1074هـ الموافق ل13ماي1664م[5]،كما يفصل المؤلف أبو العباس أحمد بن ناصر

[1]- أبو الحسن: هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن أمحمد بن علي أبهلول المعروف ب"علي أبو حسون" ولد بمجاجة ،إمتاز بالشعر والحكمة، فقد شاع خبره وذاع صيته، ويقول الحفناوي عن أبو الحسن علي وإخوته في سياق كلامه عن محمد بن علي بهلول:" ولازالت ذريته تمتد لها الأعناق في النجدة والسماحة...ولأبي الحسن علي قصة مع ملك المغرب أحمد المنصور في حوالي سنة 1027هـ/1617م". ينظر: **المجاجي**، رحلة المجاجي1063هـ/1652م، درا ،وتح: سيد الشيخ سعاد، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008م، ص173.

[2]- المصدر نفسه، ص173.

[3]- **محمد المنوني**، من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، د.ط، 1953م، تطوان ،ص33.

[4]- تعد رحلة العياشي ماء الموائد من أهم الرحلات المغربية وأكثرها انتشارا لأنها أكثر مادة وتنوعا وأخذ الرحالة من اللاحقين ينقلون عنها من دون أن يرجعوا إلى مصادر أخرى أحيانا، ومن هنا نرى أن الاهتمام بها يعد اهتماما بجل الرحلات التي تليها.ينضر: عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات،المرجع السابق، ص201.

[5]- **مصطفى عبد الله الغاشي**، طرق الحج خلال القرن التاسع عشر 19م من الصحراء إلى بو غاز جبل طارق، تيطوان، ص07.

الدرعي في رحلته البرية إلى الأراضي المقدسة ،بعد أن خرج من مقره بالزاوية الناصرية[1]يوم 24 جمادى الأولى سنة 1121هـ أغسطس 1709م[2]، ومنها التوجه نحو سجلماسة.

2-2محطات العبور:

ويبدو من الواضح أن نقطة الانطلاقة لم تكن منظمة بشكل صحيح ،إذ يذكر العياشي أن الالتحاق بالركب السجلماسي كان بعد انطلاق هذا الأخير بنصف شهر لولا أن أمير الركب قد خلف واحدا من أصحابه في منتصف الطريق ليدل باقي الحجيج المتأخرين عن المنزل، حيث وصلوا إليهم بعد العشاء ووجدوا أن الركب قد نزل في عين عباس، وأقاموا معهم في اليوم الموالي لينتظروا لحاق بعض الأصحاب ممن خلفوا الطريق عنهم بسجلماسة وفي نفس اليوم كانوا قد لحقوا بهم، ثم بات الركب في موضع يقال له وادي البسط، ثم يواصل الركب طريقه إلى أن يصل إلى وادي جير[3]، وهو وادي كبير فسيح، ثم يسير الركب مع ذلك الوادي إلى أن يصل إلى منطقة (طاية الحمار) حتى منطقة (إجلي)[4]، ثم العبور عبر عدة قرى متصلة ببعضها البعض.

ثم يرتحل الركب مرورا بعدة قرى منها قرية يقال لها بني خلف، ونزل الركب بزاوية بالقرب منها وهي زاوية سيدي أحمد بن موسى، وزاروا قبر المذكور، ومنها السير حتى نزلوا

---

[1]- تقع الزاوية الناصرية جنوب الأطلس الكبير وسط ما يزيد عن 300 قصر من قصور واد درعة بتمكروت، وهو موقع كان يشكل ملتقى القوافل التجارية المتجهة من تافيلالت إلى سوس، والزاوية في تعريفها، تعتبر محطة للعابر والمقيم فالأول يتخذها مسكنا مؤقتا أو مبيتا ثم يتابع سيره والثاني لطلب العلم والذكر ،ولم تعرف الزاوية بالمغرب إلا بعد القرن 5هـ ،وكانت تسمى بدار الضيافة، ومؤسسها هو أبو حفص عمر الأنصاري بتمكروت سنة 983هـ/1575م .ينظر:**محمد بن عبد السلام بن عبد الله الناصري**، المزايا فيما أحدث من البدع بأمر الزوايا، الزاوية الناصرية، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2003، ص32.

[2]- **أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي**،الرحلة الناصرية،1709م،1710م،تح،عبد الحفيظ ملوكي،السويدي للنشر،ط1، أبو ضبي، 2011م ،ص90.

[3]- وادي جير: هو وادي كبير ملتف بالأشجار قليل الأحجار به مراعي كثيرة، تجتمع فيه السيول من المسافات البعيدة، وابتداءه من ناحية آيت عياش ويمتد إلى ناحية الصحراء إلى أن يصل إلى أطراف الحماد الكبير، المصدر نفسه، ص124.

[4]- أجلي هي أول قرى وادي الساورة، أبي سالم العياشي،مج1، المصدر السابق، ص76.

بآخر قرية منها يقال لها (الطويل)، ثم المرور مع الوادي على قرى يقال لها (القصبات)[1]،ومنهم من مر على يساره، وتفرق الركبين عن بعضهم ،ثم عادوا أثناء العشاء واجتمعوا في آخر الوادي بمضيق[2] من الجبل حيث ينعطف ذاهبا إلى الرمل، ثم الارتحال والذهاب في الحماد[3]الذي بين توات والوادي، ثم النزول بمحطة يقال لها الدميرنة[4]، وبعد رحلة شاقة بناءاً على وصف العياشي "...وسرنا يومنا وما وصلنا إلى المهوى إلا قريبا من ثلث الليل الأول، وهي ثنية في آخر الحماد المشرفة على أول بلاد توات[5]، وما سرنا قط مرحلة مثلها، كلالا وجوعا للإبل، وقاسينا يوما..."[6]، يصل الركب إلى أول بلاد توات وهي قرى تسابت، وزار الركب بأول قرية منها قبر الولي الصالح سيدي محمد بن صالح[7] المعروف بعريان الرأس، وتزودوا بما يحتاجون إليه من تمر وقد أقام بها الركب ستة أيام، وفي عامة هذه البلاد يلتحق بالركب السجلماسي ممن يريد الحج

[1]- **أبي سالم العياشي** ،الرحلة العياشية1661م،1663م،مج1،تح سعيد الفاضلي ،سليمان القرشي، السويدي للنشر ،ط2011،1م،أبو ضبي ،ص ص75،76.

[2]- مضيق: من ضيق ، و هو طريق ضيق بين جبلين، **أحمد مختار عمر، المكنز الكبير**، معجم شامل للمجالات والترادفات والمتضادات، سطور للنشر، ط1، 2000م، ص772.

[3] – الحماد:هي هضبة صخرية تغطيها صخور جيرية ممتدة في شكل صفائح طبيعية ،أنظر: **الصديق أحمد آل المغيلي**،التاريخ الثقافي لإقليم توات من ق11ه إلى 14ه ،منشورات الجسر ، الجزائر ،ط2011،2م،ص42

[4] – الدميرنة: هي تصغير لكلمة دمران، وهي اسم لشجرة تأكل منها الإبل كثيرا، وسمي بها المحل لوجودها فيه، أبي سالم العياشي، المصدر السابق،مج1، ص78.

[5]- إقليم توات: هو مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية تؤلف في مجموعها إقليم عبور مابين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان ، يحدها من الشمال العرق الغربي وهضبة تادميت، ومن الجنوب هضبة مويدير تقع المنطقة بين خطي طول 4° غربا إلى 1° شرقا وبين خطي عرض 26°-30° شمالا، يمتاز مناخها بشدة البرودة شتاءا وشدة الحرارة صيفا، ويعتبر مركز عبور الكثير من القوافل التجارية وهي كثيرة الرمال والرياح. أنظر: **محمد صالح حوتية**، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر هجريين، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج1، دار الكتاب الغربي، الجزائر، 2007، ص28. وأنظر: **عبد الله الكروم**، الرحلات بإقليم توات، دار النشر، 2007م، دحلب ،ص ص23-26.

[6]- أبي سالم العياشي، المصدر السابق، مج1، ص78.

[7]- سيدي محمد بن صالح: هو ولي صالح صاحب الضريح المشهور بالحومة المنسوبة إليه بمراكش، أنظر: **العباس بن إبراهيم السملالي، الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من البلاد،ج5**،مرا:عبد الوهاب ابن منصور، المكتبة الملكية ،ط2 ،الرباط ،1993م ، ص342.

من أهلها، وهذه البلدة هي مجمع القوافل الآتية من(تنبكت)[1]، ومن بلاد أكدز[2] من أطراف السودان.

ومن توات ينطلق الحجاج في السير مرورا بقرى الدغامشة[3] قرب زاوية عبد الله ابن طمطم، وزيارة هذا الأخير والتبرك به.

والدغامشة هذه هي آخر البلاد التي هي تحت طاعة الشريف صاحب سجلماسة، ثم الرحيل منها قاصدين إلى وركلا[4]، ومعهم جملة من أهل أوكرت القاصدين الحج.

الخروج من إقليم أوكرت:

كان الخروج من هذه البلاد المذكورة على حسب رحلة العياشي يوم 12 جمادى الأولى متوجهين إلى وركلا آخذين طريق وادي إيمكيدن، مرورا بقرى كثيرة الرمل منها قرية يقال لها (ولاّ)، ومنها إلى ضاحية بينها وبين القليعة، حيث التحق بهم حجاج من أهل تجوران، وواصلوا سيرهم إلى أن نزلوا بالقليعة وهي قرية بها آبار كثيرة طيبة الماء والنخيل وهي من طاعة سلطان

[1]- تنبكت: يقع اقليم تنبكتو في الشمال الغربي لدولة مالي حاليا على الحدود الجزائرية الجنوبية و موريتانيا الشرقية، كانت تعرف هذه المنطقة قديما باسم التكرور، ينظر **أبي عبد الله الطالب، محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي**، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1401هـ/1981م، بيروت، ص26.

[2]- أكدز: منطقة مغربية في الوسط الشرقي للبلاد تنتمي إلى اقليم زاكورة تقع في جبال الأطلس، وتمتد على طول نهر درعة ،وهذا الاسم أكدز يعني مكان للراحة على طريق القوافل القديمة التي تربط مدينة مراكش بتنبكتوا، www.almosafr.com/forum/t68269.html

[3]- الدغامشة: قال لها ابن مليح الدعامشة بالعين وهي قرى كثيرة بالقرب من بلاد توات، **إبن مليح السراج**، أنس السارس و السارب ،من أقطار المغارب إلى منتهى المآرب سيد الأعاجم والأعارب1040هـ-1042هـ/1630م-1633م،تق :محمد الفاسي،1968م،فاس، ص30.

[4]- وركلا: اختلفت المصادر والمراجع وكتب الرحالة وغيرها في أصل تسمية وركلا على النحو التالي: (ورجلان- وارجلة- واركلا- ورقلة...) جميع هذه الأسماء المختلفة في النطق وشكل الكتابة والجهة التي أطلقها حسب ما لاحظناه في الكتب التي تناولناها دالة على مكان واحد وهو ورقلة الحالية، أما ابن خلدون في الفترة الوسيطة وتحديدا ق15م، قد ذكر اسمها وركلا بالكاف المكسورة قائلا: "بنو وركلا هؤلاء أحد بطون زناتة كانت مواطنهم قبلة الزاب»، أما حسن الوزان الذي عاش في القرن 16م، فقد ذكر اسمها وركلة وقال عنها« مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا"، أما حاليا تعرف باسم ورقلة، تقع في الجنوب الشرقي الجزائري وتبعد عن العاصمة بحوالي 800 كلم، ينظر: **عبد الرحمان بن خلدون**، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج7، القسم 13، دار الكتائب اللبناني، لبنان، 1983م، ص ص 106، 107/ حسن الوزان، المصدر السابق،ج1، ص508.

وركلا، ومنها إلى ماء يقال له زيرارة، وهي بئر طويل جداً متواجد في بسط من الأرض بين جبلين أحدهما من الرمل وماؤه حلوة جدا، وصولا إلى ماء الدغاوي ثم مبيت الحجاج بواد معشوشب، ثم الرحيل عنه في اليوم الموالي حيث ساروا والرمال أمامهم إلى المدينة المسماة (باب السلطان) وهي عاصمة إقليم وركلا، بات الحجاج فيها ثلاث أيام بعدما اشتروا ما يحتاجون إليه من لحم وتمر وغنم، وقال العياشي أن السلع فيها تباع بأرخص الأثمان، وصلوا بجامع المالكية الموجود بها صلاة الجمعة ،كما وصفها بأنها مدينة لها سبعة أبواب وهي في وسط خط من النخيل، ومساحة المدينة نحو من نصف فرسخ، محيط بها خندق مملوء بماء من كل الجهات ولا يصل أحد إلى سورها إلا من ناحية الأبواب ،ومن هذه المدينة ينطلق الحجاج، والسير نصف مرحلة من هذه المدينة وصولا إلى بلدة (مكوسا) و هذه المدينة من طاعة وادي ريغ لا من طاعة وركلا.

الدخول إلى إقليم وادي ريغ:

وبعد السير يوم وليلة يمر الحجاج ببلدة يقال لها (أكرك)[1]، وهي أول بلاد وادي ريغ، وهي المنطقة التي إنتشر فيها بربر ريغة، وهي تقع جنوب الزاب بسكر وقد سمح لها موقعها الجغرافي بالتفتح التجاري إبتداءاً من ق.9م، واشتهرت في هذه المنطقة بعض زوايا التعليم الديني كالزاوية التيجانية[2]، والمساجد كالمسجد الكبير والأضرحة كضريح سيدي محمد السايح، وكانت طريقا للحجيج[3]،حيث سار على طريقها حجيج الركب السجلماسي ومن انضاف إليهم ثم الرحيل منها والنزول بتكرت التي هي عاصمة وادي ريغ ،وأمراء هذه البلدة أولاد الشيخ أحمد بن جلاب، وأسلافهم من بني مرين، ثم الرحيل من هذه البلدة قاصدين سوفا وهذه البلاد ذات رمال كثيرة يضرب بها المثل في كثرة الرمل ،ويقول العياشي أنهم قطعوا تلك الرمال في أربعة أيام،

---

[1]- أبي سالم العياشي، المصدر السابق،مج1، ص119.

[2]- الزاوية التيجانية:تقع الزاوية التيجانية بمنطقة عين ماضي و التي تبعد عن مدينة الأغواط بحوالي 75كلم ، تحدها من الناحية الشمالية مدينة آفلو ، و من الناحية الجنوبية الغربية الأغواط، أما من الناحية الشرقية فتحدها الجلفة ، و المنطقة في عمومها منبسطة الأرض و محاطة بجبال عاتية . أنظر:**بن لباد الغالي**، الزوايا في الغرب الجزائري "التيجانية والعلوية والقادرية ،دراسة أنثروبولوجية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا ،2009م ،ص34

[3]- **محمد الطاهر بن دومة**، أخبار وأيام وادي ريغ(1403-1336هـ) (1982-1918م)، تح: محمد الحاكم بن عون، مذكرة ماجستير في التاريخ، تخصص علم المخطوط، قسنطينة، 2011، ص1.

وبما أن الصحراء وسطها وأطرافها المترامية تحتوي على أطنان هائلة من الرمال، فمن المؤكد أن العواصف الرملية ستكون مزعجة، بالإضافة إلى ندرة الماء إن لم نقل عدمها فأبي سالم العياشي يصف لنا هذه المراحل وما بعدها ابتداءاً من سوفا وصولا إلى قرى نفزاوة[1]، حيث العطش والإرهاق ولا يجدون ماءاً للوضوء والشرب، فما كان عليهم إلا حفر الآبار حتى يرووا عطشهم ويزودون أنفسهم بما يحتاجون إليه في المراحل القادمة.

ومن قرى نفزاوة مرورا بعدة قرى تفوق الحصر، منها آخر قرية ينزل بها الحجاج يقال لها (جمنة)، وعند الخروج منها استدل الحجاج برجل يدلهم على الطريق ،إذ يذكر العياشي أن أمير الركب سأل أحد رجال زاوية جمنة على أن يدلهم على الطريق التي تأخذ إلى بلادهم فساروا معهم وهذا يدل على أن الركاب كانوا يخلطون الطريق أحياناً.

ثم يواصل الركب طريقة أين التقى الركب المنطلق من سجلماسة بركب أهل تونس القادمين من الحجاز واستقصوا الأخبار منهم[2].

وبعد سير لابأس به يصل الحجاج إلى مكان قريب من البحر وإلى جانبه يواصل الركب سيره بعد ذلك إلى أن يصل إلى بلاد (زواغة)،وهذه البلاد يتحدث عنها محمد بن أحمد التيجاني– الرحلة التيجانية– أنها أكبر منطقة في ذلك الموضع وأضخمها وبها نخل كثير وبينها وبين طرابلس نحو خمسين ميلاً، و يزيد على ذلك أن أهلها مكرمين للحجاج[3]، وبهذه المنطقة التقى الحجاج المغاربة من أهل مراكش[4]، ومن انظم إليهم بالركب المنطلق من سجلماسة، وبعد تلقف الأخبار بين الطرفين يواصل

---

[1]_ نفزاوة: بكسر النون ،هي مدينة من أعمال إفريقية ، قال البكري : و تسير ستة أيام نحو المغرب ، و لمدينة نفزاوة سور صخري وطوب ولها ستة أبواب ، وفيها جامع وحمام ، وهي كثيرة النخل والثمار و بينها وبين قابس ثلاثة أيام .ينظر: معجم البلدان ،ج5 ، ص296

[2]– أبو سالم العياشي، المصدر السابق،مج1، ص ص126، 127.

[3]– **أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني**، الرحلة التيجانية، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، د.ط، تونس، 1981م، ص211.

[4]– الركب المراكشي: كما سبقنا الذكر أن هذا الركب كان يخرج من مراكش ويذهب فيه أهل هذه البلدة ونواحيها وغيرهم، من أرادوا الحج، ينظر: محمد المنوني، المرجع السابق، ص36.

الحجاج سيرهم إلى أن يلتقوا بالركب الجزائري[1]، القادمين من الحجاز[2].

ثم يسيروا إلى أن يصلوا إلى قرية (زنزور) وهي قرية كثيرة الأشجار من كل الثمار منها الزيتون والتفاح والرمان والعنب والتين، وهي كثيرة القصور، ويقال أن طولها نحو خمسة أميال وعرضها اثنان ونصف[3]، وبينها وبين طرابلس نحو من 12 ميلا وهي أخر المحطات قبل الدخول إلى طرابلس[4].

الدخول إلى طرابلس[5]:

في هذه المدينة عادة ما ينزل بها الحجاج ، يشترون ما يحتاجون إليه من الإبل و يتخذون زاد نحو من ثلاثة أشهر منها إلى مصر إذا كان الوقت شتاء، وإذا كان صيفا فنحو من شهرين، وقد تميزت الركاب المغاربية بعدة ظواهر كان من بينها أن التقاء المحامل المغاربية في الحواضر المشرقية ذهابا و إيابا ،تتبع للرحالة الوقوف على أخبار بلدهم و نقلها إلى ذويهم بشكل منتظم من غير قلق لطول الرحلات[6]، مثلما التقى الركب السجلماسي بركب الحاج القادم من الديار المقدسة، يوم دخولهم إلى طرابلس الأربعاء 17رجب، كما دخلها الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، ومن معه من الحجاج المنطلقين من الزاوية الناصرية، نحو سجلماسة قصد

---

[1]- الركب الجزائري: كان يخرج من إيالة الجزائر ركب واحد كل عام، يتشكل عن طريق تجمع العديد من قوافل الحج الفرعية القادمة من جميع أنحاء الإيالة، كمعسكر والمدية، وقسنطينة، وعنابة، وغيرها لتجتمع في منطقة واحدة وهي بسكرة، التي كانت نقطة التقاء الركب الجزائري. ينظر: **فوزية لزغم**، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925-1246هـ/ 1520-1830م)أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، وهران، 2014م، ص410.

[2]- أبي سالم العياشي، المصدر السابق،مج1، ص132.

[3]- التيجاني، المصدر السابق، ص214.

[4]- الحسين الورتلاني، المصدر السابق،مج1، ص166.

[5]- طرابلس: هي عاصمة ليبية، تقع على شمال الساحل الإفريقي وقد تألفت من ثلاث مدن هي: صبراتة sabrata، و أواAea، وليبتيس ماكانا Lptis Magana، وقوام لفظها "Tris" تعني ثلاثة و "polis" تعني مدينة وبالجملة المدن الثلاث... ينظر: **نهى صبحي الحمصي**، تاريخ طرابلس من خلال وثائق المحكمة الشرعية في النصف الثاني من القرن 17م، دار الإيمان، ط1، 1986، طرابلس، ص04

[6]- **إبراهيم شحاته حسن**، أطوار العلاقات المغربية العثمانية، قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون1510م-1947م، منشأة المعارف، د.ط، الإسكندرية، 1981م، ص 211

الانضمام إلى الركب السجلماسي، يوم الأحد 22شعبان الموافق ل16أكتوبر، والورتلاني صبيحة 01 شعبان.

من مدينة طرابلس يتهيأ الحجيج للرحيل باتجاه القاهرة[1] بمصر، وهذه المدينة وصفها الحضيكي بأنها كبيرة على شاطئ البحر تضرب الأمواج بسورها ،كثيرة المزارع والبساتين والفواكه بأنواعها[2]، ولم يختلف عنه كثيرا الناصري إذ وصفها بأنها كثيرة البنيان والحمامات وبها أسواق حافلة ويتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح ،ومن طرابلس إلى جبل نفوسة ثلاثة أيام[3]، لكن العياشي يختلف عنها من حيث تقدير المساحة حيث يقول أن مساحتها صغيرة[4]، إلا أنا الحميري في كتابه الروض المعطار يتفق مع الحضيكي والناصري من حيث كبر مساحتها ويقول عنها أنها مدينة أزلية كبيرة بينها وبين سرت عشرة مراحل[5].

ومن هذا المدينة المذكورة السير وصولا إلى تاجوراء والتي تقع شمال غرب ليبيا حاليا، وتبعد 11 كم شرق العاصمة الليبية طرابلس، ثم السير وصولا إلى مكان يسمى (سدرات العشار) الذي يقع على ساحل البحر، ومنه المرور على المكان الذي يقال له وادي الرمل[6]، والذي قال عنه التيجاني، أنه وادي متسع عذب ماءه، إذ كان لا ينقطع في الشتاء ولا في الصيف ويبدأ من الجبل قاطعا البحر[7]، ثم وادي السيد الذي هو مثل الوادي الذي قبله أو أخصب منه ،وماؤه غزير لا ينقطع صيفا ولا شتاءا جبال بين عديدة حتى أخر جبل ،الذي أوله من البحر المحيط أطراف السوس الأقصى والتي تقع جنوب المغرب، ثم يمتد إلى أن يمر

[1]- القاهرة: هي مدينة عظيمة في مصر أجمع المسافرون غربا وشرقا وبرا وبحرا، على أنه لم يكن في المعمورة أحسن منها منظرا ولا أكثر ناسا. ينظر: **سراج الدين إبن الوردي**، عجائب البلدان من خلال مخطوط جريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود الزياني، جامعة عين الشمس،د ت، ص37.

[2]- محمد بن أحمد الحضيكي، المصدر السابق، ص88.

[3]- محمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص170.

[4]- أبي سالم العياشي، المصدر السابق، مج1، ص135.

[5]- محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص389.

[6]- أبي سالم العياشي، المصدر السابق،مج1، ص178.

[7]- محمد بن أحمد التيجاني، المصدر السابق، 310.

بمراكش، ثم يقارب البحر قرب تلمسان، ويبعد عنه في بعض المواضيع، وينتهي في أطراف برقة، وهو المسمى بجبل درن[1]، ويبقى بينه وبين الإسكندرية[2] خمس مراحل[3].

وبعد النزول من هذا الجبل يدخل الركب بلدة ساحل (حامد) ،ويبيت الحجاج بها وهي بلدة كبيرة ذات نخل كثير، (وزارو) بهذه البلدة قبر ولي صالح اسمه سيدي مفتاح وهو على تل مرتفع بساحل البحر، ومنها المرور بوادي تارغلات الذي فيه آثار فيها قنوات تحمل الماء إلى المدينة المنورة، من عين يقال لها (كعان)، حتى بلدة (زلتين)وهي مثل التي قبلها في النخيل، وبها زار الحجاج زاوية سيدي عبد السلام الأسمر، ثم بلدة (مسراتة)وهي مدينة ليبية تقع على البحرا لأبيض المتوسط، ومنها الدخول إلى برقة[4]، وهي مدينة قديمة بين الإسكندرية وإفريقية وبينها وبين الحجر ستة أميال افتتحها عمرو بن العاص رضي الله ، ومن هذه المدينة السير وصولا إلى مدينة (سرت) التي تقع على ساحل البحر الرومي وهي بين برقة وطرابلس[5]، ويصفها الورتلاني بأنها أخصب البلاد ذات مزارع كثيرة (بالبعل) أي تسقى بالمطر[6].

وبعدما يبيت الحجاج بها ينطلقون في اليوم الموالي ،بعد قطع مسافة يصل الركب إلى مكان يسمى مقطع (الكبريت)، وهذا المكان هو القصر الوحيد الذي يحمل هذا الاسم في هذه الرحلة، ومنه يتم سقي الماء، وهي مياه نادرة قليلة الملوحة، والقوافل يفضل الأخذ منها كاحتياط بما أنها مياه صالحة للشرب ، وفي نفس اليوم ينتقل الحجاج إلى المكان المسمى (بالعويجة)، وبالليل يصلون إلى مكان يسمى الشقة وهذا المكان ماؤه حار ومكروه ،ويقول

---

[1]- درن: جبل من جبال البربر بالمغرب فيه عدة قبائل وبلدان وقرى، معجم البلدان، ج2،ص452.

[2]- الإسكندرية: هي من عجائب الأرض وهي مبنية على أربعة تماثيل في كل ركن منها تمثال من التطون أحدهما على صفة الأسد والثاني على صفة الثور والثالث على صفة العقرب، والرابع على صفة ابن آدم، ومن عجائب الدنيا هذه المدينة المشهورة بالكهوف والمغارات والبناءات تحت الأرض، وهذه المدينة هي آخر مدن المغرب وهي على ضفة البحر الشامي أسسها الإسكندر الأكبر سنة 333 ق.م، فعدت مركز للثقافة العالمية ولها الآبار العجيبة،ينظر :سراج الدين بن الوردي، المرجع السابق، ص31.

[3]- **أبي عبد الله محمد بن بكر الزهري**، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص46.

[4]- أبي سالم العياشي، المصدر السابق، مج1،ص ص 181- 193.

[5]- محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص92.

[6]-الحسين الورتلاني، المصدر السابق، مج1،ص263

الحجاج عنه " مئات من الجمر الحرق بدلا من هذا الماء"[1]، ثم منها الارتحال وقطع مسافات وصولا إلى (المنعم)وهي أحساء بساحل البحر ماؤها طيب عليها كثبان رمل كثيفة، ينزل الناس وراءها فيمرون إلى الماء من بينها، وبعدها السير إلى جانب البحر ثم مفارقة البحر من المنعم والارتحال عن طريق الجبل، وسلوك طريق السروال على يمين هذا الجبل ،وهو جبل وعر وصعب إذ سار عليه الركب مسافة سبعة أيام ،حيث لا ماء فيها[2]، ويقول عنها الورتلاني: «السروال أصعب شيء في طريق الحج لانعدام الماء فيه » بناءا على طلب العديد من الحجاج، فالقافلة تمشي فقط حتى الضحى ،وتتوقف بقية اليوم للراحة وخاصة عند حلول الليل[3]. بعدها يواصل الركب طريقه إلى أن يصل إلى وادي سمالوس[4]، ويقضون ليلة بها، وفي هذا المكان يأتي عرب الجبل لبيع المواد الغذائية للحجاج[5]، ثم الارتحال منها ثم النزول بمدينة (درنة) والتي تقع بجانب البحر على بعد يوم واحد ونصف من السير بالاتجاه الغربي كانت في حالة خراب منذ فترة طويلة (1040هـ/1630م)وميناء درنة ممتاز يتردد عليه السفن من الإسكندرية وطرابلس وغيرها من البلدان[6].

ومن هذه البلدة الارتحال إلى (الغزال)[7] والتي هي مصدر المياه الصالحة للشرب المملحة، والتي تتدفق في بحيرة منفصلة عن البحر[8]، ثم السير حتى العقبة ومنها المرور على عدة منحدرات

---

[1]-**D** . **Motylinshi**, Tripoli et l'egypte "extraits des relation de voyage d'el abderi et El Aiachi, Moulay AH'med El ourtilani", imprimerie typographique et lithograhpique s. lE'on, 1900, Alger, p18.

[2]- أبي سالم العياشي، المصدر السابق، مج1،ص ص 203، 204.

[3]- **الحسين الورتيلاني**،الرحلة الورتلانية الموسومة بنزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار ، المج1،مكتبة الثقافة الدينية ،ط1،القاهرة ،2006، ص272.

[4]-Motylimishi, op.cit, p23.

[5]- أبي سالم العياشي، المصدر السابق، مج1،ص203.

[6]-Motylimshi, op.cit, p24.

[7]- عين الغزالة: يوجد على مقربة منها خليج يظهر على الخرائط الكبرى، ممتدا من البحر الأبيض المتوسط في الأرض ، ويختلف الإسحاقي عن العياشي قائلا عنه أنه العياشي يعتقده ضاحية منفصلة عن البحر.ينضر: **عبد الهادي التازي**، أمير مغربي في طرابلس (1143هـ-1731م) ،ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي ،دط، ص61.

[8] -Molylinshi,op.cit, p25.

مشرفة على البحر، وهي مراحل صعبة السلوك، ومما زاد الطين بلة، اشتداد الحر حيث لا تقدر الغنم على المشي فيلجأ أصحابها ليسوقوها ،آخر الليل ويمكن أن نذكر أسماء هذه المراحل التي من بينها « قيق، ماء الشماس، حلق الضبع، والعبدية، ومطروح ثم ماء المدار»، ومن هذه المراحل العدول عن طريق الإسكندرية يمينا وعلى يسارها ساحل البحر ومن ذلك السير حتى وادي الرهبان[1]، ومنها الارتحال إلى وادي اليطرون ثم السير شمالا وسلوك طريق البر مرورا بالمنصورية والتي هي إحدى القرى التابعة لمركز أنبابة في محافظة الجيزة[2]، ومن مدينة (أنبابة)التي تقع على الضفة الغربية لنهر النيل[3]، مقابل بولاق الذي هو الجانب الآخر من النهر وتوجد بها أسواق وفنادق والمساجد، يرتحل الحجاج قاطعين النيل متجهين إلى مصر[4] نحو الإسكندرية، حيث الأيام أقصر تزامنا مع فصل الشتاء –نوفمبر- وبعد وصول الحجاج إليها اضطروا إلى البقاء فيها يومين نظراً لسوء الأحوال الجوية وسقوط الأمطار المتواصلة، وبعدها ينطلق الحجاج سيرا على الأقدام دون العثور على مياه، وبالتالي يخرج الدليل متخلفا الركب لاستكشاف الآبار، وبعدها يعود ليلا معلنا أن هناك بئر قريب[5]، وبعدها يسير الحجاج قاصدين القاهرة محطة أخرى من محطات مصر.

[1]-سمي بهذا الاسم لأن فيه رهبان النصارى، يتعبدون في أديرة أربعة ،كل طائفة في دير ولا يدخل عليهم أحد من غير جنسهم.ينظر: أبي سالم العياشي، مج1،ص217.

[2]- محافظة الجيزة: تقع في الجزء الشمالي من وادي النيل ،عند تفرع النيل وتكوينه لدلتا، وهي تحتل المكان الثاني بين محافظات مصر، من حيث وفرة الآثار الفرعونية. ينظر: **سمير أديب**، الجيزة أهم المعالم الأثرية في المنطقة، د.ط، 1997، ص3.

[3]- النيل: هو نهر يقع في الشمال شرق إفريقيا من أطول أنهار العالم، طوله حوالي 6640 كلم، ويخترق عدة بلدان من أقصى منابعه في نهر كاجيرا حتى مصبه في البحر المتوسط، **أبو قاسم الزياني**، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا و بحرا (1734م-1833م) ،تح:عبد الكريم الفيلالي،دار المعرفة للنشر و التوزيع،الرباط،1991م، ص199.

[4]- مصر: تقع مصر في الطرف الشمالي الشرقي للقارة الإفريقية ،ويقع جزء منها وهو شبه جزيرة سيناء في الطرف الغربي من آسيا، ومساحة مصر حوالي مليون كلومتر مربع، وتشغل مساحتها شكل يكاد يقترب من المربع المتساوي الأضلاع ،ينحصر بين خطي عرض 22°و 31° شمال خط الاستواء، وخط طول 25° و37° شرق غرينتش ، نظر:**ناصر الأنصاري**، المجمل في تاريخ مصر" النظم السياسية والإدارية"، دار الشرق، ط2، القاهرة، 1997م، ص6.

[5] -Motylinshi,op.cit, p32.

3-طريق العودة:

لقد أصبح طريق الركب المنطلق من سجلماسة ومن انضاف إليهم من أقطار بلدان المغرب العربي-تونس، الجزائر، طرابلس- مشهورا، والذي فضله وفصل فيه العياشي مراحله، بل وسلكه هو ومن بعده كالهشتوكي وابن ناصر وأبي مدين الدرعي وسواهم... ولا نلاحظ إلا تغييرا طفيفا في بعض الطرق الثانوية ونقط الاستراحة الفرعية[1]، وهذه المسالك الثانوية أهمها الطرق الرابطة بين الشمال والجنوب ومنها طريق السفوح الجنوبية، ويضاف إلى هذه المسالك الطرق الفرعية إذ يصعب التطرق إليها[2].

إلا أن طريق العودة هذا بناءا على ما أوضحه لنا أبي سالم العياشي أصبح رئيسيا ويعتمده الكثير من الرحالة في الذهاب والإياب، ومنهم أبي العباس الهلالي السجلماسي[3]، في طريق ذهابه إلى الحجاز عام 1150هـ،، برفقة عدد من أشراف سجلماسة وغيرهم من العامة ويترأسهم شيخ الركب ابن عبد الله بن عبد الكريم ولم يختلف الطريق التي اتخذها الهلالي كثيرا عن خط سير الطريق الذي اعتمده العياشي، وسنكتفي بمقارنتها بذكر أهم الحواضر، التي تزوده

[1]- **أبي العباس الهلالي السجلماسي**، التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبر عليه الصلاة والسلام 1114هـ/1175م، تح: محمد بوزيان بن علي، تراث فجيج، ط1، 2012، ص65.

[2]- **ناصر الدين سعيدوني**، ورقات جزائرية، "دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000، ص423.

[3]- أبي العباس الهلالي السجلماسي: هو أحمد بن عبد العزيز بن رشيد السجلماسي الشهير بالهلالي، أسرته توارثت العلم والصلاح قرونا ثلاث على الأقل فجده إبراهيم بن هلال (817هـ/903م)، ولد بسجلماسة عام 1114هـ ،توفي 10أكتوبر 1761م، وضريحه بسجلماسة مشهور قرب ضريح جده من والدته الولي الصالح أبو الحسن سيدي الحاج بن زينة. أنظر: أبي العباس الهلالي السجلماسي ، المصدر السابق، ص18.

بها أو قضى بها وقتا معتبرا وهي القنادسة[1]، فجيج[2]، بوسمغون، عين ماضي، الأغواط، بسكرة، توزر.

أما طريق العودة من الحجاز إلى سجلماسة بناءاً على رحلة العياشي كانت مختلفة عن طريق الذهاب وعبر مراحل مختلفة ومنها أولى المراحل التي هي من المدينة ثم الرجوع إلى مكة.

وبعد أداء الفريضة وزيارة المدينة المنورة يقفل الركب راجعا إلى دياره، لكن الملاحظ أن أبي سالم العياشي فضل العودة إلى مكة لإدراك رمضان بها قائلا: " ولما استهل شهر شعبان المكرم أخذت القوافل في الخروج من المدينة إلى مكة... اغتناما لبركة مضاعفة الأعمال في الحرم المكي، خصوصا شهر الصيام، ولما ورد أن العمرة في رمضان تعادل حجة".

ففي شعبان يغتسل الحجاج من المدينة، ويلبسون ثوب الإحرام، واغتنام الإحرام من ميقات النبي صلى الله عليه وسلم بذي الخليفة، ثم الصلاة ركعتين فيما بين القبر والمنبر، والخروج منها على بركة الله قاصدين مكة[3]، سالكين مراحل سوق تتحدث عنها في مايلي من المباحث الأخرى.

أما الورتلاني فالعكس من ذلك فبعد زيارة المدينة المنورة خرج هو ومن معه من الحجاج قاصدين الديار دون الرجوع إلى مكة[4]، والملاحظ في من فضلوا العودة إلى مكة وبعد أداء الفريضة وزيارة جزيرة العرب فيقف بالقدس الشريف ويزور المسجد الأقصى وقبة الصخرة

---

[1]- القنادسة:هي دائرة من دوائر ولاية بشار بالجنوب الغربي الجزائري ، تقع على مسافة 25كلم جنوب غرب وسط بلدية بشار على علو 700م ،كانت تسمى قديما العوينة ،كما أنها تقع بين خطي 30°و32°عرضا شمالا ،وخط 6°غربا ،وهي تقع أرض منيع ينظر: **رودس إدن** ،المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي المواجهة المغربية الإمبريالية الفرنسية 1981 1992،تح أحمد بوحسن ، مطبعة المعارف الجديدة ،الرباط ،2006،ص53 .

[2]-فجيج : يقال لها (فقيق)يطلق هذا الاسم على مجموعة كبيرة من الواحات ،والقصور التي تحتل مساحة 30 كلم مربع ،في ما يبلغ إرتفاعها 900م والمدينة تضم سبعة قصور كبرى، كل قصر عبارة عن حي كامل وهي(،الزناتة ،زناقة ،ووادي جير والعبيدات وولاد سليمان والحمام الفوقاني و التحتاني)، ويهتم السكان فيه بفلاحة البساتين .ينظر : **الصديق بن العربي** ،كتاب المغرب ،ط3، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1948،ص214.

[3]- أبي سالم العياشي، المصدر السابق، مج2،ص ص135- 136.

[4]- حسين الورتلاني، المصدر السابق، مج2، ص ص615 ،618.

ولاسيما قبر الخليل إبراهيم عليه السلام، وربما يجتاز إلى بلاد الشام ومنها يرجع إلى مصر سالكا طريق سيناء[1].

والمغاربة في رحلاتهم كانوا يعتبرون فلسطين[2] كلها بلاد مقدسة،والملاحظ في ذلك أن تجربة الرحالة من بلده إلى الحجاز في العهد العثماني، أي الحج ثم رجوعه إلى بلاده لم تكن زيارة القدس دائما في برنامج الرحلة.

والرحالة المغربي لم يكن يسافر وحده بل في جماعة ،وهنا تصبح الجماعة ظاهرة اجتماعية حيوية فالحجاج كانوا يتضامنون، ولذلك نلمح أن الفرد إذ أراد الخروج عن الجماعة لغرض من أغراض الزيارة كانوا يتضامنون معه ،حيث يتخلف عنهم لأداء المهمة فإنه يقوم بالاتفاق مع أصحابه كما فعل العياشي حين عزم الانفصال عن القافلة ليزور القدس[3].

نستخلص من خلال عرضنا للطريق البري المنطلق من سجلماسة أنه كان المفضل لدى المسافرين و الرحالة الحجاج ،حيث لمسنا ذلك عند الكثير من الرحالة المغاربة و من أبرزهم أبي سالم العياشي ، إذ ظلت الطريق التي سلكها أثناء رحلته المفضلة لديه ،حيث أن الرحالة الذين جاءوا من بعده أخذوا يسلكون نفس الطريق وأضحت المرجع أساسي لديهم.

---

[1]–طور السيناء: هو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام ونودي فيه وهو كثير الشجر. ينظر:معجم البلدان ،مج4، نفسه، ص300.

[2]– فلسطين: هي آخر كور الشام من ناحية مصر قصبتها البيت المقدس، ومن أشهر مدنها عسكلان والرملة وغزة وأرسوف وقيسارية ونابلس وأريحا وعمان ويافا وبيت جبرين، وقيل في تحديدها أنها أول جنان الشام من ناحية الغرب، وطولها للراكب مسافة ثلاثة أيام, ينظر: معجم البلدان، م4ج، ص274.

[3]– **أبو القاسم سعد الله**، مع العياشي في رحلته إلى القدس، جامعة آل البيت، الأردن، ص4

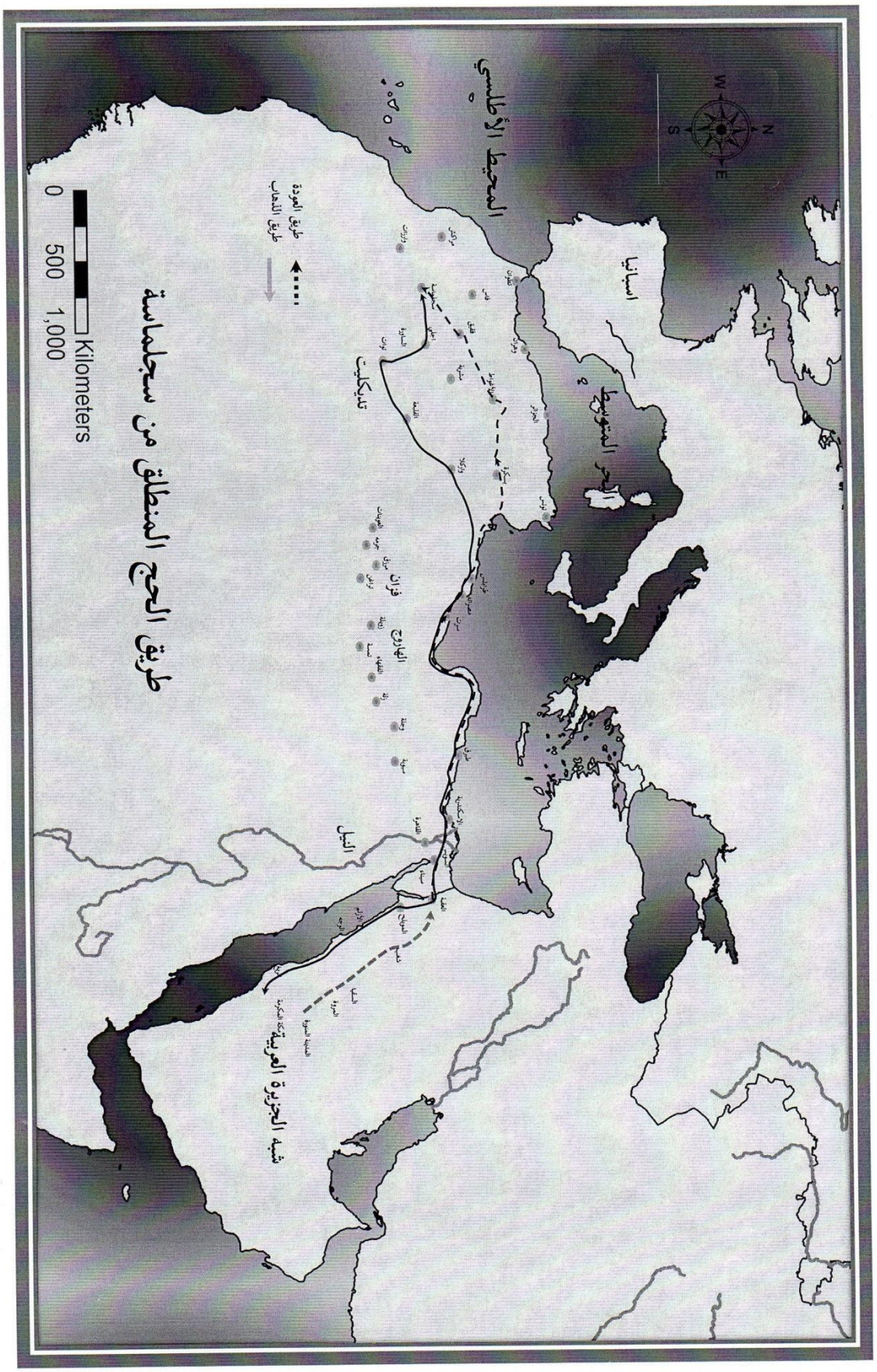
طريق الحج المنطلق من سجلماسة
المحيط الأطلسي
البحر المتوسط
اسبانيا
تلمسان
فزان
الجاروج
النيل
شبه الجزيرة العربية
طريق العودة
طريق الذهاب
0 500 1,000 Kilometers
N
S
W
E

المبحث الثاني: الطريق البري المنطلق من مراكش.

1-جوانب تاريخية من مدينة مراكش:

أصل التسمية:مراكش بفتح الميم ثم التشديد وضم الكاف.

معجمه: هي أعظم مدينة بالمغرب وأجلها ,بها سرير ملك بن عبد المؤمن وهي في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أميال في وسط بلاد البربر، وبينها وبين الجبل درن الذي ظهر منه "إبن تومرت" المسمى بالمهدي، ثلاثة فراسخ وهو في جنوبها[1]، أما أصل تسمية مراكش فقط عللها السلاوي وإبن عبود بأن معناها في لغة المصادمة أمشي مسرعا ،حيث أن المكان الذي أنشأت فيه مخبأ للصوص، فكان المارة يقولون لرفقائهم تلك العبارة ، فعرف الموضع بها ،أما المراكشي فقد أشار إلى أن مراكش هي اسم لعبد أسود كان يقيم في المنطقة، ويقطع الطريق على المارة[2].

وهناك بعض المصادر والمراجع تقول أن موضع مراكش كان مخبأ يقطع فيه اللصوص على القوافل، وقالوا مراكش معناه بالبربرية "أسرع المشي"[3].

مدينة مراكش اليوم حاضرة بلاد المغرب ودار مملكتها وهي مدينة عظيمة في بسيط من الأرض، أسسها يونس بن تاشفين، سنة 409هـ/1067م، وأول من بنا فيها دار الأمة[4]، أنشأت هذه المدينة في عهد المرابطين حيث اتخذوها ومن جاء من بعدهم من الموحدين عاصمة لهم ،وقبل إنشائها اتخذ المرابطون مدينة "أغمات" عاصمة لهم واختلفت الدوافع في بناء العاصمة الجديدة ،فبعض المراجع تشير إلى ازدحام مدينة "أغمات" بقبائل المرابطين القادمين من الجنوب ،مما جعل أهلها يشكون "لأبي بن عمر" الذي أخذ يبحث عن مدينة جديدة تضم الوافدين الجدد، وقد نجحت تلك المساعي في اختيار المكان الحالي بمدينة مراكش ووضع أساس المدينة .

---

[1]- معجم البلدان مج5، ص111.

[2]- **حسين علي حسين**، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخنائجي، ط1، 1980، مصر، ص378.

[3]- معجم البلدان2, ص111.

[4]- **المراكشي**، الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، المصدر السابق،ص208.

وبعض المراجع تشير إلى أن الهدف من بنائها كان هدف استراتيجي وعسكري،, إذ أن موقعها كان في مفترق الطرق الأطلسية والصحراوية، وبعض المراجع تشير إلى أن الدوافع وراء اختيار العاصمة الجديدة ،هو ازدياد نفوذ "يوسف بن تاشفين"[1].

الوسط الطبيعي:

لمدينة مراكش موقع استراتيجي يستفيد من الحماية الطبيعية لجبال الأطلس الكبير، وهي مدينة طيبة التربة غطاءها من حجر على حجر من شدة خصوبتها وعذب مائها، قريبة بينها وبين درن نحو عشرين ميلا ,وهي كثيرة الزرع والضرع وحولها مجموعة من البساتين والجنات، وهي أكثر بلاد المغرب جنات[2] من الأعناب والفواكه وجميع الثمرات وأكثر شجرها الزيتون، وفي مراكش اليوم تشتهر بالزيتون والزيت[3].

بنى المرابطين المدينة بناءً متواضعا حيث بنو فيها المساجد والقصور، حتى قامت دولة الموحدين، حيث شهدت العاصمة تطوراً و ازدهار في ظلها.

الوضعية السياسية:

عرفت مدينة مراكش عبر القرون تعايش عدد من الأعراف واللهجات والتقاليد المختلفة، المحلية منها أو التي أتت من المشرق والأندلس وإفريقيا، وجنوب الصحراء لدى تولي المرينين المنحدر ينمن جنوب "زاكورة" [2]للحكم سنة 1533م ،باختيار مراكش عاصمة دولتهم فبعد هزم البرتغال على شط المحيط الأطلسي، ووقف زحف الأتراك على الحدود الجزائرية، عزز السلطان أحمد المنصور 1578م/1603م، مركز مراكش التي أضحت عاصمة للإمبراطورية موسعة وغنية ومزدهرة، وعرفت تشييد أحد أهم القصور المغربية "القصر البديع"[4].

أضحت مراكش دولة غنية مما اشتملت عليه من مزارات الأولياء، ومدافن الصلحاء الكبار والأئمة، حتى قال الوزير ابن الخطيب في مقامات البلدان عند ذكره مدينة مراكش "هي

---

[1]- يوسف بن تاشفين: أمير المسلمين سلطان المغرب والأندلس ، **محمد حجي** ، موسوعة أعلام المغرب، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1980، الرباط، ص333، حسين بن علي حسين، المرجع نفسه، ص379.

[2]- المراكشي، المصدر السابق ذكره، ص209.

[3]- العباس بن إبراهيم السملالي،المصدر السابق، ج1، ص59.

[4]- محمد الكنيدري، المرجع السابق، ص11-14.

تربة الولي وحضرة الملك الأولى" ،وعبر عنها أبو العباس المقري في "نفح الطيب بتعداد المغرب حرسها الله وصانها من ريب الزمان وطوارق الحدثان"[1].

2-أهم محطات الطريق:

محطة الانطلاق:

ينتسب هذا الطريق إلى إقليم مراكش المتواجد في أقصى البلاد[2]، وهو نقطة انطلاق الركب منه، فهو يمثل ركب الدولة الرسمي أيام السعديين، وهذا ما يتضح لنا أنه تأسس في أيامهم وانقرض بعد انقراض دولتهم، ولم يكن هذا الطريق يحظى بأهمية كبيرة إلا في عهدهم.

ذكر لنا أبو سالم العياشي على أن هذا الركب ليس بالقوى ومع ذلك كان له أمره ودليله وعلماءه، فقد كان السعديون يعتنون به، فيوصون ملوك الحرمين به من خلال التوصيات، كوصية المنصور السعدي[3] لأمير مكة حسن بن أبي لمي من خلال الكتابات إليه، حيث نجد مثل هذه التوصيات في الروضة السليمانية[4].

وقد اعتمد في التحدث عن هذا الطريق خلال القرنين الحادي عشر والثامن عشر، رحلة حجازية واحدة لابن مليح السراج[5]، أسماها "أنس الساري والسارب"[6].

---

[1]- **أحمد بن خالد الناصري السلاوي**، الإستقصا **لأخبار دول المغرب الاقصى**، ، ج1،د ط، ص108.

[2]- **محمد علي فهيم البيومي**، المغاربة في المدينة المنورة، القاهرة، مدرسة التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأزهر بالقاهرة، 12،2006 شارع محمد فريد، ط1، ص28، 29.

[3]- المنصور السعدي: هو أبي العباس بالله أحمد المنصور الملقب بالذهبي ابن محمد الشيخ، ولد بفاس 956هـ/1549م، بعد موقعة وادي المخازن، واهم إنجازاته بناء قصر البديع بمراكش بالإضافة إلى المدارس والمساجد.

[4]- محمد المنوني، من حديث الركب المغاربي، مصدر سابق ، ص36.

[5]- ابن مليح سراج محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد الفيسي، الشهير بالسراج والملقب بإبن مليح المراكشي، فهو أديب شاعر وهذا ما يتضح لنا من أبيات شعرية في رحلته وكان من عامة المتعلمين والمثقفين، وفاه الأجل شريعا، لم تظهر له مشاركات في فنون العلم أخر لا نعلم شيئا عنه، حياته الاجتماعية لا سنة مولده ولا وفاته، ألف رحلته وسماها أنس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الأمال والمآرب سيد الأعجام والأعراب صلى الله عليه وسلم.ينظر : عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحالة في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر المصدر السابق، ص42،40.

[6]- **عبد العزيز بن عبد الله**، الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ، رياض، دار النشر والمعرفة، ط1، 2001، ص52.

كما احتوت هذه الرحلة على معلومات مهمة من تعلق المغاربة بالحرمين الشريفين، ومدى سعيهم من أجل الحصول على رضى تلك البقاع[1]، من خلال حمل صرتهم وهداياهم الفاخرة، فمثلا هدية السلطان "الزيدان السعدي"[2]، للروضة النبوية الكريمة، والتي تمثلت في الشمعدانان من المسجد مركبتان من زيود وزن كل واحدة منها أربعة أرطال من الذهب ،والشمعدانان من فضة خالصة وزن كل واحدة منها عشرة أرطال، وصندوقان مملوآن بشمع العنبر وعشرة آلاف من الذهب المطبوع، ورسائل وقصائد وغيرها[3].

محطة الانطلاق:

كانت بداية انطلاق الركب حسب رحلة "ابن مليح السراج" من مدينة مراكش في آخر صفر1040هـ / 1633م، وقد ترأس هذا الركب "محمد ابن الحاج الأبر" حيث اتجهوا إلى "أغمات" و"وريكة"[4] وبعد وصولهم قاموا بزيارة أوليائهم والتبرك بهم في رحلتهم[5].

وهذا ما يتضح لنا في تلك الفترة كانت عادة الحجاج عند القيام برحلتهم الطويلة إلى بيت المقدس، يقومون بزيارة الأولياء الصالحين للتبرك بهم، والاستشفاء من أتربتهم والأخذ منها فبدءوا بمحمد سعدون القيرواني، بحيث أخذوا من تراب قبره للاستشفاء منه في طريقهم، وبعده الولي أبو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز التونسي، ثم أبو محمد الخزرجي، وبعده زيارة قبر عبد الجليل بن ويجيلان، باعتبارهم أنه القدوة والناصح وبعد ذلك قبر أبي العباس أحمد بن عبد

---

[1]- عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة ورحلة مغربية، المرجع السابق، ص194.

[2]- الزيدان السعدي: بن أحمد بن منصور السعدي بويع يوم مقتل أخيه عبد الملك سادس عشر ، من شعبان عام 1040هـ-1230م، واقتصر ملكه على مراكش وأعماله كان محب للعلم والعلماء ، متواضعا، لهذا قتله بعض جنوده عندما قصر في دفع أجوره 1040هـ 1235. ينظر: **السملالي**، الأعلام بمن حل بمراكش، ج1،ص190،189.

[3]- محمد المنوني، المرجع السابق ذكره، ص36.

[4]- أغمات ووريكة: مدينة تاريخية بالقرب من مراكش استولي يوسف بنتاشفين على إمارتها وأغمات مدينتان أحدهما يسمى أغمات ووريكة، وأغمات هلالية أغمات ووريقة، سكن الأعيان بها وينزل التجار في القديم لأنها كانت دار التجهيز للصحراء.- علي الخزنائي،انظر: **عبد الوهاب ابن منصور**، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، ط2، المطبعة المالكية، الرباط، 1411هـ/ 1991م، ص27.

[5]- ابن مليح سراج، محمد الفاسي، المصدر السابق، ص02.

الرحمان الهواري، ثم أبو اليعقوب المرادي وميمون الوريقي، وأبو يحي السائح، ثم أبو علي التونسي[1].

واصل الركب رحلته وصولا إلى منطقة (تنبكتوا) الموجودة بوسط قبيلة (حربيل)[2]، فامتازت بكثرة الرعي والخصب حيث زودها أهلها الركب بكل ماهو حلو المذاق، ثم توجهوا إلى منزل يعرف (بدار الشمس)،وكان موجود بها زاوية تشعر الركاب بالطمأنينة[3].

وبعد خروج الركب من قرية حربيل اختار الركب السير داخل أراضي التابعة للدولة المغربية[4]، وهذا ما تعكسه محطات العبور المختلفة (كتكانة) في يوم سوقها[5].

ثم (لافسفاس) بين جبالها الوعرة وبعدها أسفل الجبل المعروف(بالثنية الوحل)، ومنها نزول الركب بقصبة (الجلاوي)، حيث أقاموا بها يومين تحت ضيافة صاحب القصبة لهم ، ثم (لتسايوث) التي لا تحوي أي قوت للركب ويمتاز أهل هذه المنطقة، بالنهب والقطع وضيق في قلوبهم، وبعد ذلك استهلوا طريقهم وصولا إلى قصبة الشيخ علي الزينتي.

واصل الركب مسيره حتى بلاد (وارزات) حيث نزلوا قرب قصبة القايد أحمد يوم مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعدها حل الركب ببلاد (درعة)[6]، وكانت بلاد أمن للركب ومنزل خصب لهم، وكان سكانها طيبين القلوب، وكرماء العطايا[7]، فأول منزلة لهم كانت ب(بنمزكيطة) إزاء قصبة الشيخ محمد بن ناصر فقام بضيافة الركب ليوم واحد[8].

---

[1]- ذكر ابن مليح السراج جميع الأولياء الصالحين الذين مروبهم وزاروهم وتحدث عنهم فقام بتعريفهم والإشارة إلى محاسنهم. أنظر: ابن مليح سراج مصدر نفسه، ص ص15، 24.

[2]- **العباس بن إبراهيم السملالي**، الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ج5،ن الرباط، المطبعة الملكية، ط2، 1413هـ/1993م، ص259.

[3]- ابن مليح سراج، المصدر السابق ، ص25.

[4]- مصطفى الله الغاشي، المرجع السابق،ص 16.

[5]-ابن مليح سراج، المصدر السابق ، ص26.

[6]- درعة: مدينة مغربية صغيرة في جنوبها الغربي ويبدوا أنها كانت تقع على نصف الطريق بن عكة وربما قريبة من راكورة، فهي مجموعة من قرى. معجم البلدان، ج2، 401، **عبد العزيز بن عبد الله**، الموسوعة المغربية، ملحق 2، ص195، 196.

[7]- ابن مليح السراج، المصدر السابق ، ص26.

[8]- العباس بن إبراهيم السمالي، ج5، المصدر السابق ، ص260.

وقد توجه الركب بعد ذلك إلى(لتابرنوست)وأقام بها يوم سوقها توجه لزاوية سيدي موسى، وبعدها تحرك الركب حتى وصوله إلى قصبة السلطان (تينرولين) ومنه لزاوية لترن أردن "لأحمد بن محمد"، وقام بضيافة الركب بكل ما طاب من خيرات وبعدها توجه الركب إلى موضع (بتحمدات)[1].

ثم حل الركب بزاوية المرابطين الأنجاد لمحمد بن إبراهيم المجروتي فخيم الركب به يومين في ضيافة أهله، ثم خرج إلى قرية زاوية المرابط الشهير عبد العالي،الذي خرج بجانب الركب مع نفر من أهل تامجروت[2] ،حيث سلكوا طريق وعرة بين جبلين يقال له (خنك لكتاوة)[3]، حرصا عليهم من اللصوص لتجمعهم فيه غالبا[4]، وبعد قطعهم الصحراء بمراحلها الوعرة والصعبة حلواب بني حيون بلكتاوة واستقروا بها لمدة ثمانية أيام في نعيم وعيشة هنية وذلك من كرم أهلها، وبعدها تهيأ الركب وشده الحمال، وركوبهم البعير حيث وصلوا لموضع يعرف (بالمنكوب) كثير الآبار ذات مياه عذبة وأراضي ومراعي خصبة.

ثم تابع الحجاج طريقهم وصولا إلى موضع (بعل)لا ماء فيه ولا نخل، ثم موضع (زكد) ذات المياه العذبة والحلوة وبعدها مرورهم بعدة صحاري منها موضع (الحمير)، وهذا الأخير ينحدر منه ماء وادي تافيلات وهو مكان كثير الرعي والكلاء ،ثم بئر يعرف بأبي العظام.

---

[1]-تحمدات: تقعبجنوبي شرق مدينة زكورة على يمين الطريق الذاهبة منها إلى تمجروت، ولها سور مبني بالحجر ممتد فوق هضبة وهي دار الشرفاء الزبدنيين الأول ومنطلق دولتهم السعدية وكانت مركزا ثقافيا خلال القرن 10. **محمد حجي**، حركة فكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر سلسلة التاريخ، مطبعة فضالة سبتمبر 1978م، ص538.

[2]-تمجروت: تبعد زاوية تمجروت الناصرية عن مركز زاكورة بنحو إثنين وعشرين كلم، إلى الجهة الجنوبية الشرقية للمغرب أسسها عمر بن أحمد الناصري التمجروتي 1602، ثم دعيت بالزاوية الحسينية نسبة إلى عبد الله بن حسن الرقي، وسميت بعدها بالزاوية الناصرية ومازالت لذا الآن بهذه التسمية. محمد حجي، مرجع نفسه، ص549.

[3]- لكتاوة: هي مجموعة من القصور الصحراوية، يتيق عددها على خمسين تنتشر على نهر درعة، وهي واحدة مستطيلة من النخيل وتبعد عن زاكورة بخمسة وخمسين كيلومتر، إلى جنوب وكاتب لكتاوة مركزا تجاريا باعتبارها محطة في طريق القوافل الصحراوية، والسودانية، وشمال افريقيا ويوجد بها قصر شهير يدعى أدولفيل متصل بالجامع العتيق. محمد حجي، المصدر السابق ، ص552.

[4]- ابن مليح سراج، المصدر السابق، ص26.

وبعدها حل الركب ببلاد (تابلبالت) وهما مدشران كثير الرعي والخصب وعذوبه ماءه بوجود عدة عيون جارية ولها حدائق مثمرة وتحدها الجبال العالية من كل الجوانب، وأهلها يتحدثون بلسان البربر غير مفهوم، ومن ثمة تابع الحجيج طريقهم كلها رمال حتى وصلوا إلى موضع (عكلة)،ذات المياه الكثير والخصب، حيث شعر الحجاج براحة نفسية واطمئنان قلوبهم ،ثم واصلوا مسيرتهم حيث مروا بمرحلتين في الصحراء فتاها فيها الركب فنزلوا على بئر يعرف(لمعينك)[1].

محطات العبور:

الدخول إلى بلاد توات:

انتقل الركب بعد قطعه الصحراء إلى بلاد توات، والتي كانت تشكل اليوم محطة اقتصادية وتجارية، وهذا ما يفسر مكوث الركب بها مدة سبعة عشر يوما، وخلال المدة التي نزل بها الركب ببلاد التوات التقى الركب المراكشي بركب قائد عبد القادر الشرقي باشا السودان[2].وأيضا الفقيه النحيب بركة الصالح والقدوة والناصح" محمد بن عبد العزيز الدرعي" من تلامذة الشيخ احمد بابا المذكور ورفقهم إلى الحج[3].

وبعد ذلك انتقل الركب إلى مدشر(الدعامشة) من البلد المذكور فالتقوا مع "علي بودربالة" المشهور بالبركة وصالح الدين ،وبعدها توجه الركب لبلاد (كسطن)وهو مدشر منحرف عن طريق الحج ،قصده الركب لرغبة أهل هذه البلاد لتوجه برفقتهم للحج، ويوجد بها أيضا روضة المولى الصالح "محمد بن عمر" وروضة والده السيد عمر[4].

الوصول إلى صحراء أزكي:

وبعد هذه المراحل وصل الركب إلى الصحراء (أزكي)[5] الوعرة التي مشو فيها خمسون يوما ،أولها ستة أيام صحراء يابسة وبعدها مروا بواد فلسان ،يحتوي على أشجار كثيفة وحشائش وليس

---

[1]- المصدر نفسه، ص27.

[2]- عبد الله الغاشي مصطفى، المرجع السابق، ص17.

[3]- العباس بن إبراهيم السملالي، ج5، المصدر السابق، ص260.

[4]- ابن مليح السراج، المصدر السابق ، ص ص 30، 31.

[5]- أزكى: هي صحراء في المغرب وهي قريبة لبلاد سلا بينهما 25 مرحلة . ينظر: **الشريف الإدريسي**، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، 2002، القاهرة، ص16.

فيه إلا بئر واحد فقام الركب أيضا بحفر بئر أخر أقاموا بها يوم لرعي الجمال، ثم مر أيضا بسبع مراحل لا ترى فيها إلا الرمال والغبار، ثم وصلنا إلى (العوينات) المشهورة بعوينات الحجاج وبعد ثلاث مراحل صحراء غيرا توجهوا إلى مورد يعرف (بالعيوج)،حيث وجدوا فيها بئر غامقة ولكنها قليلة المياه أقاموا بها ثلاثة أيام.

وبعدها مروا بثلاثة مراحل بصحراء حتى وصلوا إلى بئر البيض (بعكلة) كثيرة الماء والأشجار، وبعدها أيضا ثلاثة أيام في صحراء، ثم وصلوا إلى بئر يعرف ببئر السيد موسى بن معرف صاحب ركب الفاسي حيث انتفعوا منه أربعة أيام كلها رمال وفي اليوم الخامس وصلوا إلى واد حان عبارة عن جرف مرتفع كثير المياه وفيه من الحمام البري ملا يحصى فوجدوا فيه بعض العرب من التوارك حيث تعاطوا معهم البيع والشراء ثم واصلوا مسيرهم حتى دنوهم من موضع(سردلس)[1].

الدخول إلى طرابلس:

في اليوم السادس دخلوا إلى بلاد فزان[2]، وهناك انتفض الجراب وعجزت الركاب وماتت الرواحل، لبعد المسافة وقد أشرف فيها الناس على المهالك لولا لطف الله ،فكانت أول منزلة قصر (أبار) فوصل الخبر إلى أميرها بذكر له أنها محلة كبيرة وعظمة رئيسها الذي يقودها، فحار أميرها فأرسل فرسان من دولته وخدامها حوالي اثني عشر فارسا لتجسس ،فطافوا حول المحلة وللكشف عنها، وبعد ذلك تيقنو بأنهم حجاج بيت الله الحرام، حيث التقوا بشيخ الركب وتبركوا منه بالدعاء فأقام الركب في هذه المنطقة يوما واحدا، ثم انتقلوا إلى قصر (جرمة) ثم انتقلوا لقصر (بريك) على مقربة من قصبة الملك ،وبعدها قصر (دجان) القريب من دار السلطان[3].

ثم أقاموا بقلعة مرزق حيث اجتمع بسيد الفزان وهو من ذرية السلطان محمد الفاسي، بقي الركب فيها خمسة عشر يوما في عيشه الرغد،ثم مروا بقصر (تزاغن) حيث اجتمعوا

[1]- ابن مليح السراج، المصدر السابق، ص31.

[2]- فزان: ولاية واسعة بين القيوم وطرابلس الغرب، وهي في الاقليم الأول لها رئيس يطاع فيها كاتب تسمى برقة انطابلس وهذا الاسم القديم افتتحها عمر بن العاص سنة ثلاثة وعشرين. معجم البلدان، المرجع السابق، ص260. والبلدان، ص184.

[3]- ابن مليح السراج، المصدر السابق ذكره، ص32.

بالعلامة عمر بن تامر التزغاني[1]، ثم انتقلوا إلى زاوية حميدة لوجود فيها رجال صلحاء وسادات نصحاء ،حيث بقوا فيها يوم وصاحبوا منها رجال فضلاء ثم مدينة زويلة[2]فهي كثيرة النخل وفيها مزارات وأثار تدل عليها ،ثم مرحلة بصحراء وبعدها إلى مورد يقال له أبو اللفاع وهي غابة من الشجر وفيها أبار قريبة الماء، ثم لقصر (تمسة) وهو أعلى قصور فزان وأخرها فهي كثيرة العيون والمياه وكثيرة البعوض، وبعدها مروا بثلاثة مراحل صحراء ليس فيها ماء ولا نبات وفي اليوم الرابع وصلوا إلى مدشر بلاد(الفقهاء)[3].

وبعدها قطع الركب ثلاثة مراحل صحراء وفي المرحلة الرابعة وصلوا إلى مدشر (زلة) وهو مدشر صغير جدا لا يحوي قوت ومعاش عندهم إلا ماء يسمونه اللاكي[4] ثم نزلو ببلاد(وجلة)محاطة بجنات من كل الجوانب كثيرة المزارع وكثيرة اللحوم والسمن وبها تجارة كثيرة تأتي قوافل للبيع والشراء ولها أبار كثيرة ولها بابان أحدهما من الناحية الشرقية والآخر من الناحية الغربية وأقام بها الحجاج سبعة أيام.

وارتحل الركب لمنهل قريب من البلاد يعرف (بحراجر) ثم منهل يعرف(بقطمير) وبعدها مرورهم بخمس مراحل صحراء ثم مكان يقال له (الطوافي)وآخر يعرف(ببقلاوة)بالجريدة وبعدها مورد بشياطة، واصل الركب مسيره مرورا (بسيوية)ذات أشجار ونخيل ولها عيون متفجرة، أقام بها الركب ثلاثة أيام فقاموا بالمبدلات التجارية،بعدها انتقلوا إلى موقع (مرزك) وفي النهار يوم الفطر وصلوا إلى مدشر أم الصغير كثيرة النخل والعيون وأقيم بها يوم ومن بعدها إلى مورد (الشكة)، ثم صار الركب بعدها ثلاثة مراحل ثم نزلوا بمورد (المغزة)[5].

---

[1]- عبد الهادي التازي، أمير مغربي في طرابلس1143هـ/1731م، ليبيا من خلال رحلة الوزير الاسحاقي،المرجع السابق، ص35.

[2]- زويلة: هي بلدة مقابل الأجدابية في البر بين بلادة السودان وإفريقيا موجودة في وسط الصحراء وفيها جامع وحمام وأسواق ولما فتح عمر وبرقة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وصارت برقة وزويلة للمسلمين. معجم البلدان، ج3، ص

[3]- ابن مليح سراج، المصدر السابق، ص ص34 -35.

[4]- مشروب كان بعض البيين يتناولونه للنشوة وهو عصارة تقطر من جرح النخيل. عبد الهادي التازي،في أمير مغربي في طرابلس 1143هـ/1731م، المصدر السابق، ص35.

[5]- ابن مليح السراج، المصدر السابق، ص35.

وبعد اختيار المحلة لمشقات هائلة وصلوا إلى النيل المبارك ثم دخلوا إلى بلاد مصر القاهرة يوم الجمعة 13 شوال في سنة مئة وأربعين وألف فلبثوا في سفرهم من مراكش إلى مصر عاما كاملا نحو ستة أشهر[1].

3-طريق العودة:

كان خروج الركب المراكشي من المدينة المنورة بعد أن زاروا المشاهد يوم الاثنين السابع من محرم من السنة 1042هـ/1635م[2]، وكان عددهم قليل لانفصالهم عن الركب التونسي الكبير ،وكذا انفصلوا على أمير ركب الحاج عبد العزيز بن سيدي محمد الكبير فسار الركب بعد ذلك حتى لحقوا بالمحلة التونسية عند الغروب، فكانت أول منزلة حط بها الركب من مدينة آبار المولى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وبعدها انتقلوا إلى زيارة قبور الشهداء بين جبال (وكسى)،ثم (لبدر)ثم للينبوع، حيث قاموا بحمل الأزواد منه وتابعوا مسيرتهم لقطعهم لسبع وعرات ، وبعدها العقبة السوداء، ثم للحورة وبعدها بئر الدركين ثم لقصبة الوجه ثم لبئر عنتر[3].

سار الركب حتى وصلوا إلى مرسى المويلح ،كان لقائهم بأهل مصر في محلة عظيمة، وبعدها انصرفوا عنهم لعيون القصب ،حيث زارو قبر الولي السيد سلامة وأيضا زيارة مقابر السيد شعيب وبعدها وصول إلى مورد (العقبة الكبرى)، ولها قصبة على ساحل البحر والتي تسمى عقبة (أيلة)[4] بحيث يجتمع عندها الناس من الشام وغزة ومصر للقاء الركبان وسؤالهم عنهم[5].

فالتقوا بأهل غزة فيها فكانت هذه العقبة محل اللصوص فقطعها الركب بسلامة دون أي تعرض لهم فسار الركب لبير العلاية، وبعدها لقصبة النخيل ثم لوادي الخروب،فوادي الرمل وبعدها لقصبة (عجرود) حيث قرب الركب لديار المصرية بعد وصول للدار الحمرا، ثم معطشة ثم للبركة حيث حط بها الرحال بعد صلاة العشاء وكما تزود الركب بكل أنواع الزاد فبات الركب فيها إلى غاية طلوع الفجر من يوم الجمعة الثاني من صفر واصلو مسيرهم حتى وصلوا في

---

[1]-المصدر نفسه،ص37.

[2]- السمالي، الأعلام بمن حل بمراكش، ج5، ص261.

[3]-ابن مليح سراج، المصدر السابق، ص127.

[4]- عقبة ايلة: مدينة معروفة وهي أول حد الحجاز بها يجتمع حاج مصر والمغرب. معجم البلدان، ص292.

[5]- ابن ملح سراج، المصدرالسابق، ص129.

البكرة نفس اليوم إلى مصر[1]، فظن أهل مصر أنهم لم يحجبوا حيث وفدو عليهم قبل الوقت المعتاد ،واجتمع من أهل مراكش هناك الفقيه "الحاج محمد بن الفقيه" و "احمد الخطيب" وأقاموا بالقاهرة خمسا وخمسين يوما وعند خروجهم منها قاموا أهل مصر بالاحتفال بتزيين المدينة حيث أصبح الليل نهار، وشدوا الرحال وودعوا بلاد مصر وأهلها يوم الأحد السابع من ربيع النبوي[2]، فساروا في الطريق الأول وصولا إلى بلاد (سيوية) ثم إلى (وجلة)، حيث أقاموا بها سبعة أيام تحت ضيافة أميرها ، ثم تابعوا طريقهم حيث قام أمير الركب بتعديل في الطريق بتخليه على منزلة زلة وبلاد الفقهاء، وانحرفوا لطريق (الهاروج)، إلا أنها لا يسلكها الركب إلا إذا أمطرت لكونها ليس بها أبار، ثم بعدها إلى الهاروج الأبيض، وبعدها واصلوا طريقهم حتى وصولهم إلى بلاد (فزان)، ثم وصولهم إلى قصبة السلطان "محمد بن جميل" فأقام الركب عنده سبعة عشر يوما[3].

واصل الركب انطلاقته بقطعة الفيافي والقفار بحيث سلكوا طريق (تديكلت) أسفل بلاد توات وبعد ثلاثة أيام من المسير بلغوا مدشر ابن صالح كثير العيون والنخيل وأهلها تلقوهم بالرحب والسرور واهتمام بهم.

ثم واصلوا مسيرتهم في مراحل كلها صحراء عشرة أيام فبلغو مدشر فزان بات فيه الركب ليلة واحدة ثم وصلوا لبلاد الشيخ عاقة ،فأقاموا بها سبعة عشر يوما النصف من رمضان[4].

قد لقوا سرية عظيمة جاءت من أرض الصحر للسياقة الحمراء لنهب إبل المرابط بواسطة السيد "علي نجل سيدي أحمد بن موسى"، فلم يظفروا منها بشيء ووفد عليهم وفد منخنق وادي الساورة،وساروا معهم إلا أن وصلوا إلى (تبلبالت)،ثم وادي (درعة) يوم السبت الثالث من شوال سنة اثنين وأربعين ألف[5]، فأقاموا ثلاثة أيام للاستراحة.

---

[1]- ابن مليح سراج، المصدر السابق ذكره، ص130.

[2]- العباس بن إبراهيم السملالي، المصدر السابق ذكره، ص262.

[3]- ابن مليح سراج، المصدر السابق، ص132.

[4]- المصدر نفسه، ص134.

[5]- العباس بن إبراهيم السمالي، المصدر السابق، ص262.

بعد ذلك خرج الركب من وادي درعة إلى بلاد (ورززات) وبعدها لقصبة الغريني، وبعدها لقصبة (الكلاوي)، وواصلوا المسير حتى وصلوا إلى (تكانة)وهناك التقى الركب الأهل والأحباب بالترحيب ثم بعدها إلى مدينة مراكش[1].

نستخلص من خلال عرضنا للطريق البري الصحراوي أنه كان المفضل لدى المسافرين والرحالة الحجاج ،حيث لمسنا ذلك عند الكثير من الرحالة المغاربة ومن أبرزهم أبي سالم العياشي،وإبن مليح السراج، إذ ظلت الطريق التي سلكها أثناء رحلته المفضلة لديهم خاصة الطريق المنطلق من سجلماسة ،حيث أن الرحالة الذين جاءوا من بعد العياشي أخذوا يسلكون نفس الطريق وأضحت المرجع أساسي لديهم،أما الطريق المنطلق من مراكش فكان أكثر صعوبة للحجاج لأنها كانت كل مراحلها صحراء بإضافة لكونها طويلة جدا، كما أننا تعرفنا على العديد من المناطق والمحطات التي كنا نجهلها من خلال هذه الطرق.

[1]- ابن مليح سراج، المصدر السابق، ص135.

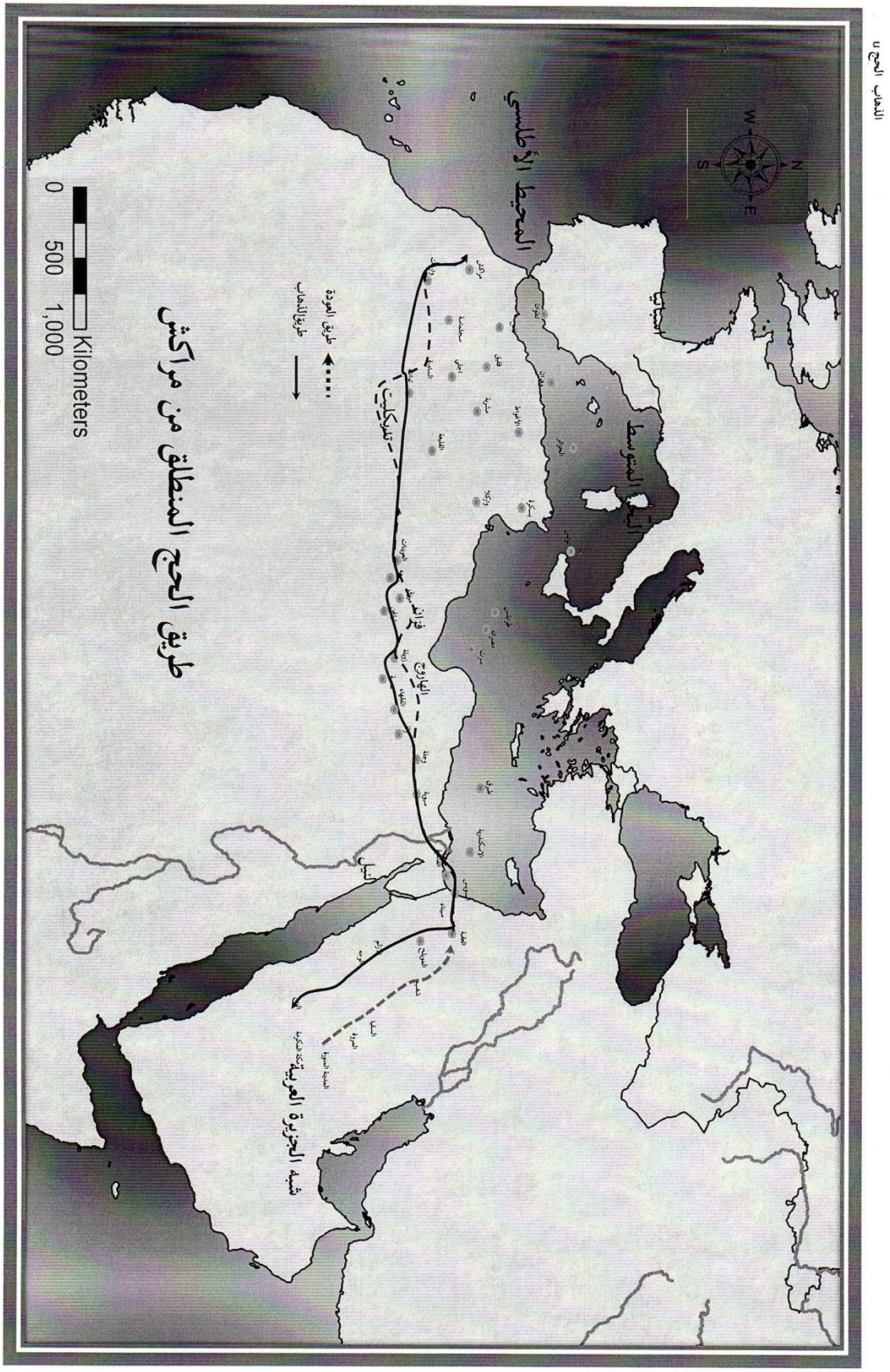
طريق الحج المنطلق من مراكش
طريق الذهاب
طريق العودة
0 500 1,000 Kilometers
المحيط الأطلسي
البحر المتوسط
شبه الجزيرة العربية
تلمسان
فاس
الجزائر
تونس
طرابلس
الإسكندرية
القاهرة
مراكش
سجلماسة
سبتة
طنجة
وهران
بسكرة
قابس
برقة
أسوان
عيذاب
الذهاب الحج

الفصل الثاني:

الطرق البحرية و الداخلية الساحلية

المبحث الأول: الطريق البحري.

المبحث الثاني:الطريق الداخلي الساحلي المنطلق من فاس.

المبحث الأول:الطريق البحري:

كل الركاب السابقة الذكريات كانت تسلك طريق البر في ذهابها وإيابها، وفوق ذلك كانت جماعات تؤلف ركابا تسافر في البحر ذهابا وإيابا[1] ، كما اختار بعض الرحالة كأمثال أحمد المقري[2]، وأبي راس الناصري[3] الانتقال من مدينة إلى أخرى تارة برا وتارة بحرا[4]، والطريق البحري هذا وليد تقدم السفر في البحار بظهور السفن البخارية ، لكنه كان قبل ذلك بحر من كثير ،ومن أمثلة ذلك الركب الذي سافر فيه الفقيه والأديب محمد بن علي الرافعي الأندلسي التطواني[5]عام 1036، فقد أبحر من مرسى تطوان[6] قاصدا الديار المقدسة ، ثم رجع على ذلك الطريق المذكور[7] ومع مرور الزمن صار الحجاج يسلكون طريق البحر ركوبا على متن السفن البريطانية وغيرها من المراسي في الشواطئ المغربية وذلك يسر الحج ، كما ينبغي على متنها أو

---

[1]-**محمد علي فهيم بيومي**،المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري والثامن الميلادي،دار القاهرة، 1 ط ،2006 ،القاهرة ،ص35.

[2]- أحمد المقري: بتشديد الراء هوأحمد بن محمد الشهير بالمقري، المغربي الأشعري وهو من عائلة مشهورة بتلمسان، تعود تسميتهم بالمقري نسبة إلى قرية من قرى بإفلايقية تدعى"مقرة" ، ينظر: **أحمد بن محمد المقري التلمساني**، نفح الطيب من غص الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، مج1، دار صادر، بيروت، ص1، **فاقة بكوش،أبو عبد الله المقري(759ه) ورحلته العلمية بين تلمسان وحواظر المغرب الإسلامي**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ السياسي والثقافي لدول المغرب الإسلامي، تلمسان، 2012، ص50.

[3]- أبي راس الناصري: هو محمد بن أحمد الناصر الملقب بأبو راس،عاش حياة غنية بالتجارب، فقد تنقل في أنحاء القطر الجزائري من غربه إلى شرقه وتجول في المغرب الأقصى وتونس ومصر والحجاز وبلاد الشام، كما كرر الحج بفارق زمن بلغ 20 سنة، ينظر:**محمد أبو راس الجزائري** ، فتح الإله ومنته في التحدث في فضل ربي ونعمته"حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، تحقيق محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ث، ص1.

[4]- **ليلى غويني**، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، الجزائر، 2011، ص54.

[5] - الرافعي الأندلسي التيطواني: هو أبو عبد الله بن علي بن محمد بن أحمد بن علي الرافعي الأندلسي شعر من آثاره ديوان الشعر، ولد سنة 1040ه - 1630م ، ورحلته هذه تحمل عنوان " المعارج المرقية في الرحلة المشرقية"، ينظر: **عمر رضا كحالة**، معجم المؤلفين" تراجم مصنفي الكتب العربية"،ج2، مؤسسة الرسالة، ط1، 1993، بيروت، ص263/ عبد الهادي التازي، المرجع السابق،ص244.

[6]-تطوان: مدينة متوسطية من مدن المغرب، لها مميزاتها الخاصة اكتسبتها من موقعها الطبيعي.ينظر: **محمد داود**، تاريخ تيطوان،مج1، معهد مولاي حسن، 1959، تيطوان،ص23.

[7]- **محمد المنوني**، من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، 1953، تطوان،ص40.

الأقل مشقة والأكثر أمنا والأقصر مدة زمنية من ذاك البري العتيق [1] ، كما أنه صار مع مر الزمن هو ركب المغرب الرسمي[2]، ولو أن الصعوبات وأهوال البحر كانت أشد من البر ، حيث كان ذلك باديا على عبارات الرحالة وهم يدونون السطور، فمثلا نجد المقري يعبر عن ذلك بإسهاب عن مدى خوفه وهو راكب السفينة ، حيث لا يدري كيف تكون الصعاب إذ يقول في هذا الصدد في بيتين من الشعر:

البحر صعب المرام جدا***لا جعلت حاجتي إليه

أليس ماء ونحن طين***فما عسى صبرنا عليه

" فلما ركبنا البحر وشاهدنا من أهواله ، فكم استقبلنا من أمواجه بوجوه بواسر...وأيسنا من الحياة لصوت تلك العواصف والمياه...والموج يصفق لسماع أصوات الرياح فيطرب بل ويضطرب ، فكأنه من كأس الجنون يشرب...وقد أشرقت النفوس على التلف من خوفها واعتلالها وأذنت الأحوال بعد إنتضامها باختلالها وساءت الظنون..."[3]

محطة الانطلاق:

فمقارنة بعدد الرحالة المغاربة الذين اعتمدوا الطريق البري خلال القرنين 17م و18م، فإن عدد الرحالة المغاربة الذين اعتمدوا الطريق البحري قليل[4]، وهذا الطريق يتمثل في خروج الركب المغربي إلى البحر[5] من بلدة تطوان، مثل ما خرج منها الرافعي التيطواني أثناء رحله الحجازية ، التي كانت يوم الجمعة 8 جمادى الأولى بعد صلاة الظهر عام 1096هـ/ 1684م(3)[6] حيث قطع من المراحل أربعا وثلاثين سردها المؤلف في منظومة استهلها بقوله:

خرجنا بركب الغرب من مصر ضحوة *** نؤم الحجاز والدليل[7].

---

[1]- **أبي سالم العياشي**، رحلة العياشي الصغرى، تح: عبد الله حمادي الإدرسي، دار الكتب العلمية،ط1، 2013م، بيروت، ص22.

[2]- محمد المنوني، المرجع السابق، ص41.

[3]- أحمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ص33.

[4] مصطفى الله الغاشي، المرجع السابق، ص20.

[5]- محمد علي فهيم بيومي، المرجع السابق،ص37.

[6]- مصطفي الله الغاشي، المرجع السابق،ص:28 .

[7]- عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص244.

مدينة تيطوان هذه كانت نفسها التي خرج منها المكناسي في رحلته ، والتي كان الهدف منها الذهاب إلى الباب العالي ثم الحج إلى بيت الله الحرام عام 1200هـ/ الموافق لشهر نوفمبر 1785م والذي خرج من بلدة الرباط متجها نحو ميناء تيطوان.

فغالبا ما كانت تطول بالركب مدة الإقامة فيه نظرا للظروف المناخية ، إذ يضطر إلى الانتظار أياما معدودات أو حتى شهرا ، مثلما طال مقام المكناسي بتيطوان أربعة أشهر ونصف وذلك بسبب هيجان البحر وهبوب الرياح والأمطار ، حيث كان فصل الشتاء [1]والذهاب إلى الجزائر عبر السفن الشراعية حتى حدود مدينة وهران ، وبعد استراحة بهذه المدينة ويحل الركب في اليوم الموالي لمدينة مستغانم ثم منها إلى مدينة شرشال ثم التوجه برا نحو الجزائر والمكوث بها ثم التوجه إلى مصر[2].

ويقول بتس[3] " وعندما تكون إحدى السفن جاهزة للإبحار إلى الإسكندرية ينادي المنادي في مدينة الجزائر معلنا إقلاعها وعندئذ ينتهز كل من الحج في ذلك العام الفرصة للسفر بحرا لأنه أقل إرهاقا وتكلفة من السفر برا"[4] .

وعلى هذه السيرة يكتب الموسوي بيتين من الشعر عن شعوره وهو راكب البحر إذ يقول:

لقد خضت بالنفس بحر الهوى***وأحرقت قلبي بنار النوى

---

[1]- **محمد عبد الوهاب المكناسي**، رحلة المكناسي احراز المحلة والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785،تح:محمد بوكبوط ،دار السويدي للنشر ،ط1،الإمارات ،2003،ص51.

-مصطفى الله الغاشي، المرجع السابق، ص21.[2]

[3]-بتس: جوزيف بتس هو أول إنجليزي وثاني أوروبي يزور مكة في التاريخ الحديث ، ولد في ألكسون بإنجلترا، وكان مجمل الفترة التي قضاها في بلاد المسلمين خاصة الجزائر 15 سنة.حيث يعود ذلك إلى وقوعه في أيدي أحد البحارة الجزائريين أثناء حروب الجهاد البحري التي دارت بين المسلمين والمسحيين الأوربيين ، ولما كان في سن 15 سنة عمل بحارا وهو في إحدى السفن اتخذه عبدا له وعاش العبد بتس في كنف سيده بضع سنين واصطحبه معه إلى مكة المكرمة ليحج معه وليزور المدينة ، وسلك بتس وسيده هذه الطريق المذكورة.ينظر: **جوزيف بيتس يوسف**، رحلة جوزيف بيتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، تح وتر: عبد االرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، مصر، ص8،7.

- المصدر نفسه،ص23.[4]

علام نفارك من مركب*** سرى في أمان شديد القوى؟[1].

الدخول إلى الإسكندرية:

ومن الجزائر ينطلق الركب مارا بتونس[2] حتى مصر فالإسكندرية حيث كان المكوث بها عشرين يوما في رحلة بتس ، وهذا الأخير قد وصف المدينة وقد معلومات عنها بأن فيها كثيرا من الأروقة المقنطرة تحت الأرض ،وتصل للإسكندرية قناة النيل لتملأ آبارها ، ومن هذه الآبار تتزود الإسكندرية بالماء العذب ، وفوهات هذه الآبار مشيدة من الرخام....

ومدينة الإسكندرية تطل على البحر ...وبعد القضاء في الإسكندرية الركوب مرة أخرى إلى الرشيد[3] التي تقع على ضفة النيل قرب البحر[4] وبعدها تركب قوافل الحجاج المراكب النيلية عبر فروع رشيد[5] ومنها نحو مصب النيل ثم منها نحو القاهرة التي تجتمع فيها القوافل القادمة من المغرب العربي برا وبحرا ، ثم من القاهرة السير برا واكتراء الجمال لتنقل الحجاج إلى مدينة السويس[6] التي تبعد عن القاهرة مقدار يوم ولها ميناء ترسو به السفن المتجهة للديار المقدسة ، فلقد كان الزياني ممن ركب عبر هذا الطريق من مصر نحو الحجاز إبان رحلته بسبب ضيف ذات يده وإنما تكريما من الإدارة المصرية حيث يقول:" وكما تعين السفر في البحر من مدينة القلزم لجدة ، تكلم مع صاحبه محمد باي الألفي أن يكتب له رسالة في شأني لوالي السويس ويؤكد عليه في الوقوف معي والاعتناء بأمري ...ومن الغد.

جاءني الصاحب بكتاب من عنده لوالي السويس عثمان آغا يؤكد عليه في شأني ويأخذ لي قامرة في مركب وأواني ووجاق طبح ومالا يدمنه في المركب وأن يكتب لي كتابا من

---

[1]- **محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي** ، رحلة الشتاء والصيف، تح: محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط2، 1835هـ، ص131.

[2]- تونس: مدينة عظيمة بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام وبينها وبين البحر المتوسط أربعة أيام وبينها وبين قرطاجنة نحو 10 أميال ومرساها واحد يسمى رادس، سعد زغلول عبد الحميد، المصدر السابق ،ص120.

[3]- جوزيف بتس، المصر السابق،ص114.

[4]- سعد زغلول عبد الحميد، المصدر نفسه، ص89.

[5]-سامي بن عبد الله المغلوث،المرجع السابق، ص114.

[6]- مدينة السويس : تقع على خليج السويس وهي مطلة على البحر الأحمر حاليا وكانت تسمى قديما القلزم ، وصفها الناصري بأنها مدينة صغيرة ذات أسواق ومساجد.أحمد ناصر الدرعي ، المصدر السابق،ج1،ص 308.

عنده لوالي جدة[1] في الصاحب من عنده بفرس أنثى بسرجها أركبها لمدينة السويس وأسلمها للحاكم يبعثها له بمصر وأمر الصاحب بأن يكتري لي من الإبل ما يكفي الزاد والأثاث وركوب الخدم ، فقام بذلك واكترى لنا الإبل ووقف معنا إلى أن خرجنا من مصر وودعنا ورجع"[2].

وبعد التجهيز كمؤونة تكفي لأربعة أشهر من هذه المدينة– السويس– حتى مكة والمدينة تنطلق المراكب البحرية ، وبعد الإبحار بيومين أو ثلاثة من السويس ترسو السفن في ميناء الطور[3] وهي محافظة تقع جنوب سيناء على خليج السويس شرقا، وبهذه المدينة يشتري الحجاج ما يحتاجون إليه من الزاد ، ثم الإبحار قليلا من الطور وصولا إلى بئر فرعون[4] وهي السبيل هي من مصر على عقبة أيلة إلى الديار المقدسة ، وهي مسافة قريبة يكون البحر منها يمينا وجبل الطور المعظم يسارا، ويقال أن موضع بئر فرعون خطر جدا حتى إذ لم تهب عواصف هوجاء وذلك لوجود نوع من الدوامات البحرية تبتلع السفن، ومن هذا الموضع الإبحار في البحر الأحمر[5] والذي كان يدوم حوالي شهر والبحر الأحمر ضيق حول السويس ويقصد به خليج السويس.

مرورا بموضع يقال له المرابط وهي جزيرة على ساحل البحر الأحمر ومنها التوجه إلى

---

[1]– جدة: هي بلد على ساحل مكة المكرمة وبينهما أربعون ميلا، وهي مرفأ السفن ويقال لها جديدة بشد الدال المهملة وفتح ما قبلها ونقل العلامة المحدث جار الله بن فهد أن السيد الفاسي ذكر في مسودة له أن سبب تسمية جدة بهذا الإسم كونها منزل أم البشر حواء وكونها دفنت بجدة ، فهي جدة جميع العالم.محمد عبد المنعم الحميري ، المصدر السابق ،ص157/**احمد بن محمد بن أحمد الحضراوي المكي الشافعي** ، الجواهر المعدة في فضا جدة، تحقيق علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ،ط1، 2006،ص13.

[2]–أبو القاسم الزياني، المصدر السابق، ص215.

[3]–لم يتغير الطور على مر العصور، والطور الآن عاصمة محافظة جنوب سيناء وتقع على خليج السويس وهي تعد من أهم المناطق السياحية بمصر حاليا.بناءا على خريطة الكترونية.

[4]–بئر فرعون: يعني المكان الذي غرق فيه فرعون ومن معه بعد عبور بني إسرائيل، جوزيف بتس، المصدر السابق،ص42.

[5]–البحر الأحمر: يتفرع من المحيط الهندي الذي كان يعرف عند العرب ببحر الهند الأعظم والبحر الحبشي، والبحر الشرقي أي الواقع شرقي مصر ، فيتجه شمالا في موازاة خليج فارس وينتهي في أرض مصر بمدينة القلزم غربا وتقع على ساحله الشرقي بلاد اليمن والحاجز والأيلة ، وغربا الحبشة والسودان وبلاد والقصير من أرض مصر في حين يتصل من جهة الجنوب ببلاد سفالة من أرض (الزنج)، وقيل بأن بهذا البحر أكثر من ثلاثمائة جزيرة، وسمي البحر الأحمر بعدة مسميات وفقا لموقعه من السواحل أو المدن التي تطل عليه، فسمي مرة ببحر القلزم نسبة إلى مدينة القلزم الواقعة عند نهاية خليجه الغربي.ينظر : **عبد العزيز سالم**، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة،1993،الإسكندرية،ص3.

رابغ[1] الذي هو واد يقطعه الحجاج بين (البزواء) و(الجحفة) [2]، ومنها يلبس الحجاج لباس الإحرام يسرون سبعة أيام إلى أن يصلوا إلى جدة التي هي أقرب الموانئ إلى مكة والتي تبعد عنها أكثر من يوم ، وفي جدة تفرغ السفن حمولاتها[3].

وبناء على هذه المعلومات التي تحصلنا عليها حول الطريق البحري من خلال رحلة المكناسي وجوزيف بيتس يتبين لنا أن الطريق البحري يتكون من عدة مراحل وهي الخروج من ميناء تيطوان مرورا بمستغانم وشرشال ، ثم إلى ميناء الجزائر ثم تونس فمصر فالإسكندرية ومنها إلى مكة المكرمة، أما طريق العودة فيكون من المدينة إلى القاهرة ثم الإسكندرية ثم إلى الجزائر ومنها إلى تيطوان.

[1]- جوزيف بتس، المصدر السابق، ص40.

[2]- معجم البلدان، ج3، ص11.

[3]-جوزيف بتس، المصدر نفسه، ص43.

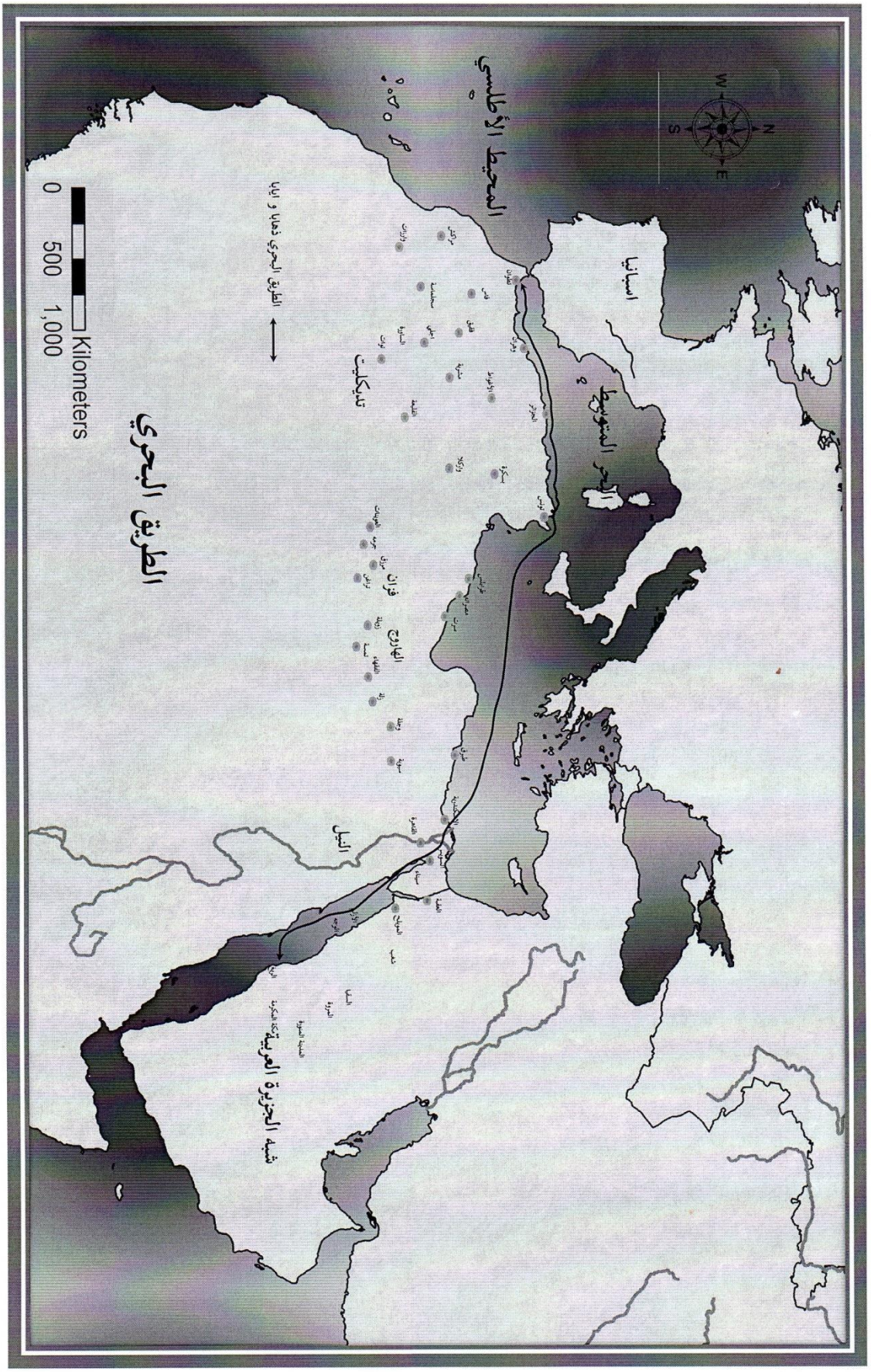
المحيط الأطلسي
اسبانيا
البحر المتوسط
تلمسان
الجزائر
تونس
فزان
الهاروج
النيل
شبه الجزيرة العربية
الطريق البحري
الطريق البحري ذهابا و ايابا
0 500 1,000 Kilometers

المبحث الثاني:الطريق الداخلي الساحلي المنطلق من فاس:

1-الجوانب التاريخية من مدينة فاس:

1-1-أصل التسمية:

تأسست مدينة فاس في عصر الخليفة هارون الرشيد في عام 185هـ، وتدعى هذه المدينة فاس لأنه من اليوم الاول الذي حفرت فيها الأساسات عثر على كمية كبيرة من الذهب الذي يحمل بالعربية اسم فاس، وربما يكون السبب الحقيقي لهذه التسمية ،غير أن البعض يرون أن المكان الذي قامت فيه كان يدعى فاس، بسبب النهر الذي يخترقها ،إذ كان اسم هذا النهر باللغة الافريقية سفوان[1].

كان التجار يلفظون كلمة فاس بالسين المهملة، وهي مدينة مشهور كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ،وهي حاضرة البحر وأكبر مدينة قبل أن تكتشف مراكش ،و قام إدريس الأول إبان مجيئه إلى المغرب سنة 789م بتأسيس النواة الأولى للمدينة على الضفة اليمنى لوادي فاس، بحي الأندلسيين وفي سنة 808م أسس ادريس الثاني مدينة جديدة على الضفة اليسرى لوادي فاس بحي القيروان ،نسبة إلى أصل سكانها المنحدرون من القيروان بإفريقية (تونس)،وقد عرفت فاس في هذا العهد انتعاشا اقتصاديا وعمرانيا منقطع النظير، لتواجدها في منطقة سهلية و خصبة ،ولتوفرها على موارد متعددة ومتنوعة ضرورية للبناء كمادتي الخشب والأحجار المتوفرة بغابات ،ومقالع الأطلس المتوسط[2].

1-2-الموقع الجغرافي

تحظى فاس بموقع استراتيجي مهم ،باعتبارها ملتقى للطرق التجارية بين الشرق والغرب خاصة تلك التي كانت ترتبط سجلماسة بشمال المغرب ،كما شكل سكان المدينة خليطا من أمازيغ الأطلس المتوسط، القيروانيين والأندلسيين ،الذي ساهموا في تطورها العمراني الاقتصادي والثقافي[3].

---

[1]- حسن الوزان ،وصف افريقيا ،ص224

[2]-**طارق يشي**،مدينة فاس التاريخية،رؤية جديدة بتاريخ تأسيسها ودلالات التسمية،مجلة كان التاريخية ، ع28 ،2015 ، المغرب ،ص25

[3]- طارق يشي ،المصدر نفسه،ص26.

1-3-الوضع السياسي

فلما وقعت اضطرابات في القيروان بعنف العرب اضطراب أمراء قرطبة ،باختلاف بين بني أمية بعد موت أبي عامر محمد بن أبي عامر ،حل من أهل القيروان وقرطبة من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة ،فرارا من الفتنة فنزل أكثرهم في مدينة فاس ،فهي اليوم في غاية الحضارة وأهلها في غاية التحضر،ولغتهم أفصح اللغات في ذلك الإقليم [1]،وفي سنة 857م قامت فاطمة الفهرية بتشييد جامع القرويين بالضفة اليسرى لوادي فاس الذي تم توسيعه فيما بعد من طرف يوسف بن تاشفينالمرابطي1060-1061م، بعد استيلائه على المدينة سنة 1069م،إذ جند أكثر من مائة ألف فارس من قبائل صنهاجة ، والمصامدة وزنانة وغيرهم ،فخرج بهم من حاضرة مراكش قاصدا مدينة فاس حيث فتحها[2].

وكذا ساهم في إنعاش الحياة الاقتصادية ببناء الفنادق والحمامات والمطاحن وبعد حصار دام تسعة أشهر، استولى الموحدون على المدينة سنة 1173م،عرفت مدينة فاس عصرها الذهبي ،إذ قام أبو يوسف يعقوب (1258-1286م) ببناء فاس الجديدة سنة 1276م، حيث أصبحت قاعدة تحت حكم المرينيين وقد حرث وكثرة عوده وأشجاره ،وبها بساتين مشرفة على نهرها ،يسقها بنصفين ويتشعبا في داخلها أنهار وجداول وخلجان، فتتخلل الأنهار ديارها وبساتينها وجناتها وشوارعها وأسواقها وحماماتها ،وقد أنشد الفقيه الصالح الزاهد أبو الفضل بن النحوي في مدح أوصافها:

يا فاس منك جميع الحسن مشوق وساكنوك جميع الرزق قد رزق
هذا اسمك أم روح لراحتها وماؤك السلسبيل الصافي أم الورق
أرض تخللها الأنهار داخلها حتى المجالس والأسواق والطرق

كما عرفت فاس في عصر المرنيين بالعصر الذهبي ،حيث بنوا فيها القصور والحدائق وخلال القرن 17م ،كما عرفت فاس ببناء حي خاص باليهود ،يعتبر أول مكان بالمغرب وبعد فترة طويلة من التدهور والتراجع، بسبب القلاقل التي عرفتها البلاد ،احتل السعديون المدينة

[1]-**المراكشي عبد الواحد** ،المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،تح محمدسعيد الغربان،لجنة إحياء التراث الإسلامي ،دط،د.ت ،ص443.

[2] -السلاوي أحمد بن خالد الناصر ،المصدر السابق،ص108.

سنة 1554م وبالرغم من انتقال عاصمة الحكم إلى مراكش خص السعديون مدينة فاس ببعض المنجزات الضخمة كتشييدهم لأروقة جامع القرويين، وعدد من القصور وترميم أسورا المدينة ،وبناء برجين كبيرين في الجهتين الشمالية والجنوبية لمدينة فاس.

ونتيجة الاضطرابات التي عرفتها الدولة السعدية ،انقسمت فاس إلى مدينتين (فاس (الجديدة،وفاس البلية) في سنة 1667م،تمكن العلويين من الاستيلاء عليهما، وفي التاريخ الحديث كانت فاس عاصمة للملكة المغربية حتى سنة 1912م[1].

2-أهم محطات الطريق:

محطة الانطلاق:

لقد اعتمد على هذا الطريق عدد كبير من الرحالة المغاربة ،كعمر المرابط الدلائي[2] خلال عام 1668م ،أحمد القادري[3] في عام 1688م ،الحسن اليوسي[4]1689 ،ابن الطيب الشرقي[5]1726م ،والوزير محمد الشرقي الإسحاقي[6]1731م ،وغيرهم من الرحالة المغاربة[7].

---

[1]-طارق يشي ،المرجع السابق، ص.25

[2]-ينتسب إلى الزاوية الدلائية ،كان من بين العلماء الذين حظو بشهرة واسعة في العهد العلوي ،وكانت حجته سنة 1668م .عبد الهادي التازي ،المرجع السابق،ص279.

[3]-أحمد القادري بن علي القادري يدعى الحاج علال عاش سبع سنوات في القاهرة توفي بفاس 1133هـ/1721م له رحلة سماها نسمة الأس في حجة سيدنا أبي العباس أي أحمد بن معن الذي رافقه إلى الحج عام 1100هـ/1689م توجد رحلته في المكتبة الحسينية 8787 وكراريس منها في الخزانة الفاسية. عبد العزيز بن عبد الله الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ،المرجع السابق،ص53.

[4]-أبي علي الحسن بم مسعود بن محمد البدراسني اليوسي المتوفي سنة 1102هـ/1691م ونصف فيها حجته سنة 1690م لبيت الله الحرام جمعتها ولده أبو عبد الله محد العياشي تشمل رحلته على اربعة وخمسين صفحة .ينظر عبد الهادي التازي،رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة ورحلة ،المرجع السابق،ص237.

[5]-شمس الدين أبي عبد الله بن محمد الطيب الصميلي الشرقي الفاسي ، المتوفي في المدينة المنورة سنة 1180هـ،وقد كانت رحلته من فاس الى مكة سنة 1139هـ/1727م،تشمل رحلته على سبعة وستين ومائة صفحة ،كان إمام للغة العربية في وقته.عبد الهادي التازي، المرجع السابق،ص331.

[6]-محمد الشرقي الإسحاقي :من رجال الثقة الذي اعتمد السلطان المولى إسماعيل في أعقاب الحملة التأديبية سنة 1104 ،ينتسب لأيت إسحاق وكانت من المصادر التي تتحدث عن الإسحاقي، تكاد تعد على رؤوس الأصابع ومنها الرحلة إلى بيت الله .عبد الهادي التازي ،أمير مغربي في طرابلس 1143هـ/1731م،ص103

[7]-**بوسليم بن قايد عمر** ،الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية، من خلال كتب الرحلات المغربية ،العدد 21،العلوم الانسانية والاجتماعية ،ديسمبر 2015،ص268.

ومما زاد من أهمية هذا الطريق هو اعتماده بالدرجة الأولى من قبل الركب الحجيج الفاسي، الذي كان يخرج من فاس، حيث يعود عهد تأسيسه إلى أوائل الدولة المرينية[1] سنة 703هـ/1301م ،أي بداية القرن الثامن هجري،وأصبح منذ هذا القرن الركب الذي يسير فيه حجاج بلاد المغرب[2] ،ثم في العهد الدولة العلوية كان يعتبر ركب الحج المغربي الرسمي الأمر الذي أكسبه قيمة جعله يضاهي ركب مصر والشام وغيرها ،بقي الركب يحافظ على مركزه ومقامه الذي كان يستمده من اهتمام الأمراء وشعبها، من خلال إعانته بكل المتطلبات المادية الوفيرة[3] ،وكانوا يحملون في أيديهم بعض الشارات،وكان الاستعداد للخروج بأخذ خطاب من المساجد لدعوة للحج ،وفي أواخر الربيع الأول يعلن في فاس بواسطة المنادي عن يوم خروج الركب[4].

من عادة الدولة العلوية أن أمير الركب الفاسي لا يكون إلا من مدينة فاس، وكانت العائلات المغربية تتداول في الولاية عليه،ومن أمراء الركب الفاسي، محمد بن الشناوي كانت ولايته عام 1162هـ ،الحاج محمد الفلوسي عام 1166هـ،الحاج محمد ابن زاكور 1176هـ ،والحاج عبد الكريم بن يحي تولاها عام 1193هـ[5].

وعند حمل الهدايا فقد كان يساعد أمير الركب على حفظ الأمن لركب الفاسي ،وهو من ينظم إليه في الطريق نحو الحج[6].

لقد ترك لنا العديد من الرحالة وصفا دقيقا عن مراحل هذه الطريق، وقد اعتمدنا في نقل أهم المحطات الذي مر بها ركب الحجيج الفاسي رحلة لعبد الله الشهير بالطيب نور الله .

2-1-محطة الانطلاق

وكانت عادة الركب الفاسي أن يخرج في السابع عشر من جمادى الثاني أو الثامن

---

[1]-محمد المنوني ،المرجع السابق،ص09.

[2]-محمد علي فهيم البيومي ،المغاربة في المدينة المنورة ،ص26.

[3]- محمد المنوني ،المرجع السابق،ص10.

[4]-المرجع نفسه،ص14.

[5]- المرجع نفسه،ص32.

[6]-محمد علي فهيم البيومي ،المغاربة في المدينة المنورة المرجع نفسه ،ص29.

والعشرين،[1]فكان خروج الركب يوم الاثنين بعد توديعه الأهل والأحباب ،من مدينة فاس وأيضا بعد زيارات ما أمكنهم من الأولياء الصالحين ،وهذا ما يتضح لنا عادات وتقاليد الحجاج في هذه الفترة ،بأنهم يقومون باستشفاء والتبرك بأوليائهم كزيارتهم للمولى إدريس بن باديس بن عبد الله ،وبعدها قام سكان المنطقة بتوديعهم عند باب الفتوح ،ومنهم من فارقهم في أوساط الزيتون[2].

سلك الركب طريق عنق الجبل، حيث لا يستطيع عبوره لا إنسان ولا بهيمة فعدلوا عن هذه الطريق بجهة اليمين والأخذ بجهة اليسار ،ولما نزلوا سار الركب بين تلال والهضاب وعند مرورهم بالقبائل يقوم شعوبها بمبادرتهم إلى تلقي الحجاج باللبن والحليب[3].

انحدر الحجاج لأول الطريق ونزلوا (بنخيلة)[4]،وبها وادي فقاموا بالتطهير من ماءه لقيام بصلاة الظهر والعصر ثم نزلوا إلى غور فأقاموا بها ،وفي طلوع الفجر قاموا بالصلاة ،ثم ارتحلوا صبيحة يوم الخميس، فأخذوا في المسير حتى وصلوا إلى ضريح إمام أبي بكر، في فترة بين الظهيرة والعصر ،وتابع الحجاج مسيرهم بصعود عقبة (مجاره)، بحيث تمتاز هذه المنطقة بمسافة كبيرة وكثرة الحجارة فيها ،فأدركهم الليل قبل الانحدار منها فقضوا الليل على رأسها[5].

وفي صباح يوم الجمعة قاموا بالارتحال من تلك المنطقة ،ودخلوا مع شروق الشمس في مرزأ الشيخ محرز حيث يوجد مقامه في قطر تازة ،وعند الضحى نزل الركب في مدينة (تازة)[6] وأقام بها وهناك قاموا بصلاة الجمعة ،وقبل مواصلة الطريق قام أهل تلك المنطقة بتزويد الركب بكل أنواع الحمائل ،وأيضا قاموا بزيارة ما أمكنهم من مشاهد المدينة ،وأولياءها الصالحين

---

[1]- محمد المنوني ،المرجع السابق،ص18.

[2]-**أبو عبد الله الطيب نور الله** ،رحلة عبد الله ،مخطوط ملك خاص لحمادى الادريسي ،أستاذ بجامعة وهران،ورقة 24و.

[3]-أبو عبد ، المصدر السابق،ص ورقة26و.

[4]-مدينة صغيرة من مدن إمارة يوغارطة ،خربت ولم يبقى منها إلا الأثار كبقايا الأسوار وصومعة وكان في وسطها مسجد. ينظر: **محمد حجي** ،معلمة المغرب ،تح أحمد توفيق، محمد حجي،للتأليف والترجمة والنشر مطابع سلا ،2001 ، ص7424.

[5]-ابو عبد الله الطيب نور الله ،المصدر السابق،ورقة28ظ.

[6]-هي مدينة واقعة في ممر استراتيجي هام يصل شرق المغرب بقرية بين جبل الأطلسي والريف، وقد ورد ذكرها في اخبار الدولة الإدريسية عندما تقسمت المغرب حيث كانت هذه المنطقة في يد داود بن الإدريسي، وكان لها دور سياسي أيام الموحدين والمرنيين ، تشييد جامعها الأعظم .محمد حجي،المصدر السابق،ج1،ص434.

والأضرحة ،كمشهد السيد محمد بن الجيش والسيد عزوز، السيد واضح ،سيد علي الجيار ،وأبي الفتوح[1] ،وبعد ذلك ساروا حتى وصولهم (الجعلوية)حيث قاموا بالمبيت فيها ،وفي يوم الاثنين وصلوا (للشريقة)[2] فبدى لهم الربيع فيها من أشجارها ونباتاتها ،وعند مسيرهم خيم الليل عليهم ،فحطوا رحالهم وقاموا للمبيت في أرض عارية من النباتات ،خالية من السكان ،وارتحلوا يوم الثلاثاء حتى وصولهم إلى وادي دبدو ،وهو جبل عظيم تنحدر منه المياه ،فتوقف الركب للاستسقاء والوضوء لأداء صلاة العصر ،وبعدها تجاوزوا الوادي بدخولهم لوادي آخر يدعى بلزوز ،يوم الأربعاء الحادي عشر من رجب ،وقد ظهرت لهم هضاب عالية قيل لهم أن بها ضريح الإمام أبي الحسن الأرضي علي بن مسامح ،الذي يمتاز بالكرامات الغزيرة والعالية ،فتوجه الركب إليه ،إذا لم يتيسر لهم الوقوف عليه لانحرافه عن صوب الطريق ،وبعد ذلك ساروا بدخولهم للظهرة ،فأقام الركب ليلته بالقرب من جبل سمي (بالفأرة الشارقة)،وفي يوم الخميس وصلوا إلى بيت (مطهر)وهو مكان ذات كلأ حيث قام الركب بأداء صلاة الظهر والعصر فيه ،ثم إلى (المنقوب) حيث قام الركب بالحفر فيه من أجل الماء ،فبدؤوا بصلاة فيه[3].

بعد الارتحال من الموضع وصلوا إلى قرية (الشع)،حيث أبار السلطان[4] ذات المياه الوفيرة قام الركب بالاستسقاء ما يكفيهم من أجل مواصلة طريقهم ، قاصدين(أبا الضروس) في الضحى وأقاموا الليل للاستراحة فيه ،ومن ثم وصولهم إلى عين الحسنة ،ثم موضع سمي (بالقصاع)فأقاموا الليل به وهذا الاسم لاحتواء حجارته على نقر عظام تشبه القصاع في شكلها ،وكانت مياهه قليلة وذلك بسقوط الأمطار، ثم إلى (عين الحجر).

---

[1]-عبد الله ،المصدر السابق، ورقة 29 و.

[2]-المصدر نفسه ، ورقة 29 و.

[3]-المصدر نفسه ، ورقة30و.

[4]-هي أبار قاموا بحفرها بأمر من صاحب الترجمة للموضع المسمى بالشط من الظهرة حيث يسقي منها الركب الحجيج في مروره وإيابه.ينظر: **محمد بن الطيب القادري**،نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر،ج2،تح: محمد حجي ،مكتبة الطالب ،الرياض،1982،ص192.

تابع الركب مسيره حتى وصوله إلى قرية مشرية في وقت الظهيرة ،فتعرض أهلها للحجاج واستقبلوهم وقامت تجارة بينهم ،كما قاموا بزيارة روضة الشيخ محمد العمري وكذلك روضة الشيخ عبد الرزاق[1].

ظل الحجاج سائرين حتى وصلوا وقت المغرب فقاموا بالمبيت بوادي قتيل النخيلي ،وهذا الموضع جمع طريق الركب الفاسي مع الركب السجلماسي ،وبعدها انفصلوا وتجاوزوا وادي عظيم سمي واد الطرف ،ثم وادي الأشور وهو وادي عظيم يحوي على ماء فيه سمك الاشيور،وكثرة الأشجار فيه، وبعدها سار الركب ثلاث أميال فأشرفوا على مدشر خرب[2].

محطات العبور:

الدخول إلى الأغواط:

وبعدها انتقل إلى عين ماضي[3]، ذات المياه العذبة وقام بين الحجاج وسكانها سوق عظيمة، ثم وصلوا إلى (تجموت)المشتملة على بساتين وجنات وحدائق ،وبعد طلوع الشمس أصبحوا في مدينة الأغواط[4] ،وهي بلدة واسعة ذات أرضين ومحارث كثيرة وفواكه متنوعة ،وعند دخولهم لها خرج أهلها لملاقاتهم فقاموا بتبادل السلع [5].

حسب ما تبين لنا من خلال المقارنة التي كانت من مقال تحت عنوان طرق الحج خلال القرن التاسع عشر، من الصحراء إلى بوغاز جبل طارق لمصطفى عبد الله الغاشي، الذي تحدث عن الطريق الذي اعتمدها القادري ،من خلال رحلته المسماة نسمة الاس في حجة سيدنا أبي العباس ،ورحلة عبد الله المشهور بالطيب نور الله ،فان محطات التي مروا بها تتشابه

---

[1]-رحلة عبد الله،المصدر السابق، ورقة 30.و

[2]-المصدر نفسه، ورقة 30ظ.

[3]-تقع هذه البلدة في غرب تجموت وهي محاطة بأسوار تمسه أسوار طرابلس ولها بابان عظيمان .ينظر : أبو قاسم سعد الله،رحلة الأغواطي ،المرجع السابق،ص88

[4]-هي بلدة كبيرة بضواحي تلمسان ،وهي محاطة بصور وحولها تحصينات ولها أربعة أبواب ،وأربعة مساجد معظم منازلها مبنية بالطين وكانت العملة المتداولة هي عملة الجزائر وفاس ،وهي كثيرة الجبال :الناصري،المصدر نفسه،ص33.

[5]-**أبو قاسم سعد الله**،مجموعة الرحلات رحلة الأغواطي ،المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ،الجزائر،2011،ص87. ورقة 31ظ.

مع بعضها بحيث كانت الانطلاقة من نفس الموقع فاس ومحطات العبور كانت من نفس الطريق بوجود بعض التعديلات في بعض المواضع فقط.

وبعدها ارتحل الركب من الأغواط ،حتى وصوله لموضع (دَمْتُ)في منتصف النهار وهي قرية موجودة في سفح الجبل وبها وادي عظيم كثير الأشجار والفواكه والمياه فقاموا بالاستراحة فيه ،وبعدها تابعوا مسيرهم حتى وصولهم إلى (توميات)،وهما ربوتان عظيمتان وسميا بالتوأم لشدة تقاربهما في الشكل[1].

تابع الركب طريقه وصولا إلى بسكرة يوم الخميس، وهذه المنطقة مر بها القادري أيضا بحيث وصل لها يوم 24رجب وقد أقام بها يومي الأحد والاثنين[2]،وأقام بها الركب يوم الجمعة حيث توجهوا لجامع المزهو الموجود بالمنطقة، وبعدها خرجوا لزيارة أولياءها الصالحين وكانت هذه المدينة تمتاز بكثرة النخيل والعمران والفواكه ، انتقلوا من بسكرة يوم السبت[3].

وبعدها واصل الركب مسيره حتى قبر الإمام السيد عقبة بن نافع ،ونزلوا هناك للمبيت فيه ،ثم ارتحلوا يوم الأحد سائرين في أرض خصبة حتى اقتربوا من وادي كبير يسمى وادي كشطان، ثم ارتحلوا فوصلوا يوم الاثنين إلى وادي الحميدات،ثم وادي الأعراب المقابل لزاوية ناجي،واصل الحجاج مسيرهم في طريق عارية من النباتات وخالية من الأشجار ، حتى في وقت العصر وصلوا إلى (لزوارا)وهي منطقة من الناحية اليسرى بعد زريبة حامد.

انتقل الركب إلى (المغانة العظيمة) المعروف (بالنفيظة)،ثم (بغدران) وبعدها وصلوا إلى (سردس)فقاموا بالمبيت بها ،ويوم الخميس إلى قرية (الشبيكة)،وفي يوم الجمعة أصبحوا في (الحامة) ،وبعدها ارتحلوا منها في صباح يوم الأحد وساروا حتى وصولهم إلى قرية نخل (كريز) بحيث تمتاز بكثرة النخيل فقاموا بزيارة الولي ابن هلال [4].

---

[1]-عبد الله ،المصدر السابق،ورقة 33ظ.

[2]-أبو عبد الله الغاشي، المرجع نفسه،ص12.

[3]-أبو عبد الله ،المصدر نفسه ، ورقة 35ظ.

[4]- أبو عبد الله ،المصدر نفسه،ورقة 36و.

وبعدها واصل الركب مسيره حتى قبالة (حامة [1]قابس)، وزاروا ما أمكنهم زيارته من مشاهد كضريح الشيخ هريش ، ارتحلوا يوم الخميس حتى دخلوا مدينة (قابس)،[2] حيث خرج أهل هذه المنطقة لملاقاة الحجاج ،وهناك جماعة من التونسيين انضموا إليهم ،فزاروا أيضا ما أمكنهم زيارته من الأولياء الصالحين كالسيد سالم والسيد عبد الله المغربي ،ثم إلى قرية (غرام .

واصل الحجيج طريقهم حتى قبالة جربة[3] فنزلوا فيها للاستراحة ،حيث قاموا بصلاتي الظهر والعصر ،وبعدها قاموا بالمسير في أرض صحراوية لا ثعلب فيها ولا ذئب حتى وصلوا إلى بئر يقال له (المويلحة) للاستسقاء منه وأدائهم صلاة الظهر فيه وبعدها تجاوزوا بئر فارغ من الماء وفي مسيرهم تقربوا من برج الملح ،فوصلوا مع طلوع الفجر إلى منطقة (لزورات)[4] الغربية ،وعند إرتفاع النهار وصلوا إلى (لزوارات الشرقية) ،بعدها تابعوا مسيرهم حتى قرية (زواغة)، ثم منطقة (فرقاش)[5].

دخل الركب لمدينة (طرابلس)للاستراحة[6]،وهي مدينة صغيرة المساحة في آخر أرض برقة[7]،كما أنها مدينة قديمة عامرة أهلها أخلاط من الناس[8]،حيث كانت ملاقاتهم بجماعة من

---

[1]–هي مدينة عريقة في القدم بناه الرومان داخل أراضي على بعد 25ميل من قابس ،يحيط بها صور مبنية بالحجر الضخم المنحوت أراضيها جافة .ينظر:حسن الوزان ،المصدر السابق،ج2،ص92.

[2]–تقع في الجنوب الشرقي من افريقيا على خليج يحمل اسمها ،وهي تقع بين صفاقس وطرابلس ،ذات أودية وعيون اهمها عين سلام ولديها ساحل ومرفأ للسفن ،تقع على الصحراء الموصلة للطرق التجارية الرئيسية فهي مدينة بحرية صحراوية ،المصدر نفسه.ص11.

[3]–جزيرة في افريقيا أقرب المدن إليها قابس،وهي جزيرة وسط البحر تحيط بها حوالي ثمانية عشر ميل وهي منقسمة إلى أجزاء منفصلة .ينظر : الروض المعطار،المصدر السابق،ص158. / أبو قاسم سعد الله ،رحلة الأغواطي ، المصدر السابق، ص101.

[4]–اسم مدينة قريبة من طرابلس ويعرف منها بطون إلى اليوم قبائل المغرب ،وهناك زوارات غربية وهي قرية كبيرة بها ماء عذب وعمران كبير،وزوارات الشرقية بها نخل وماء عذب، وهاتين القريتين ليستا متباعدتين عن بعضهما ،وزوارة ويطلق على زوارة المنطقة التي تقع بين الحدود الليبية والتونسية .عبدالهادي التازي زيارة وزير مغربي لليبيا،المرجع السابق،ص116–117.

[5]– أبوعبد الله ،المصدر السابق،الورقة43 و .

[6]–المصدر نفسه ، الورقة44و.

[7]–معجم البلدان ،ج1،ص208.

[8]–اليعقوبي ،المصدر السابق،ص184.

الحجاج المغاربة وكان ذلك يوم الخميس الخامس والعشرين من شعبان ،قاموا بالتجوال في هذه المدينة فشهدوا المسجد المعروف بجامع الترك واندهشوا من بناءه، حيث قاموا بصلاة الجمعة فيه وقد رأوا فيه من الأعلام فقاموا، بوصفه والكتابة فيه ،أقاموا بطرابلس نحو تسعة أيام .

تهيأ الركب للخروج منها بعد صلاة الظهر من يوم السبت الرابع عشر من شهر رمضان وبعدها نزل الركب بتاجوراء وأقاموا الليل بها [1]،وكانت هذه القرية عامرة ولها قصر مطل على غرف كثيرة [2]،وهي موضع من أجور قابس [3]،وفي الصباح وقفوا لزيارة ما أمكنهم من مشاهد هذه المنطقة ،ثموادي الرمل مصبه من شرشار وهو الحد الإداري بين مديرية تاجوراء ومديرية القرن لوبي،[4] ثم وادي المسير وهو مكان كثير الخصب والمياه ،ثم إلى (توزغن) حيث قاموا للمبيت به، وفي الصباح انتقلوا لروضة الشيخ سالم القليعي[5].

وبعدها قطع ركب الحجيج جبل لا نظير له ،عرضا وطولا كانت فيه مجموعة من قرى متصلة ببعضها منها قبائل البربر من ثم وصلوا إلى مدينة (لبدة)[6] ،وهي مدينة أثرية من حيث رسوماتها ومبانيها العظيمة ومحيطة بالمياه من كل الجوانب ولكنها مالحة وهذا ما أدى إلى ارتحال السكان منها وخرابها ثم بلدة (حامد)[7]،وهي بلدة كبيرة ذات نخل ومزارع الزيتون وفي هذه المنطقة وجود قبر الشيخ مفتاح.

انتقل الركب بعد مروره بعدة مواضع إلى وادي تزغلان وبعد ذلك بلد (زليتين)وفيها أيضا قبر الشيخ أبي محمد عبد السلام الأسمر ،وبعد ذلك ارتحلوا يوم الأربعاء فدخلوا (مصراته)[8]

---

[1]-أبو عبد الله ،المصدر السابق،الورقة 45ظ.

[2]-عبد الله التجاني ،المصدر السابق ،ص307.

[3]-روض المعطار ،ص125.

[4]-عبد الهادي التازي ،المرجع السابق،147.

[5]- عبد الله ،المصدر السابق،الورقة 46و.

[6]-لبدة:هي إحد المدن الثلاث التي تعبر عن كلمة طرابلس ،وهي من أهم المدن التي أسسها البحار الفينيقيون . ينظر :عبد الهادي التازي ،رحلة الوزير الاسحاقي ،المرجع السابق،158.

[7]-هي بلاد ذات نخل كبيرة ومزارع كبيرة ويطرقها من ناحية الغرب على الساحل البحر مدينة لبدة تحمل اليوم إسم مدينة الخمس ،وسميت كذلك لأن فيها من زيتون جبال مصراتة . ينظر:عبد الهادي التازي ،المرجع السابق،ص152.

[8]-مصراتة:هي مدينة شهيرة في ليبيا عرف أهلها بالنشاط والجد والمثابرة ،ولها عدة موانئ غربية وشرقية لها ثلاثة قصور ,معجم البلدان ،ص316.

،وتوجهوا لزيارة العالم أبي العباس الفاسي فوصلوا في وقت الظهر فقاموا بصلاة في المسجد المتصل بروضته[1].

وفي يوم الخميس ارتحلوا حتى برقة [2]حيث وجدوا فيها أثار مباني كثيرة ثم ساروا حتى زاوية السيد أحمد مرزوق ثم مروا في آخر العمران بقبة الشيخ السيد أبي شغيفة على تل مرتفع فقاموا بزيارته ووصلوا لموضع يسمى السمينة ،حيث قام هنا الحجاج بتفرقة في تلك المنطقة والحفر فيها وإخراج الماء منها والأخذ ما يكفيهم فسقوا منها الدواب وقاموا بالوضوء ،وبعد ذلك ساروا حتى وصولهم إلى موضع يعرف (بالملف) فقاموا بالمبيت فيه[3].

وأتموا رحلتهم فوصلوا يوم الجمعة عند الزوال (للهايشة)، وسميت بهذا الاسم لتعرض الركب لسطو واحتوائها على صخور ضخمة وعلى جوانبها بقايا قصور خالية، وفيها بعض أشجار النخيل المتفرقة وفيها ماء لكنه مالح ،حينها قاموا بتروية الجمال والوضوء منه فقط ثم واصلو مسيرتهم حتى غربت الشمس ،وقام الركب بالنزول في نفس المنطقة للمبيت فيها[4] ،وفي اليوم الموالي أي يومي السبت واصلوا مسيرهم حتى وقت الظهر مروا بقبر الولي صالح السيد بومديون فقاموا بزيارته ،وبعد ذلك ساروا حتى وصلوا إلى بلاد (سرت)[5] وهي بلاد ذات مزارع كبيرة وسكانها ذات قلوب رحيمة، وبعد ذلك ارتحلوا حتى وصولهم إلى بئر (العويجة)بقصد المبيت فيها ،وبعد ذلك وصلوا مسيرتهم حتى وصلوهم إلى بئر (الكحيلة) ،ومر بعدة مواضع حتى وصولهم إلى المنعم باحتوائه على الماء العذب ومن الأكل فقاموا بالمبيت بالمصانع ، مضوا في طريقهم حتى قصدوا الأجدابية بها أبار عظيمة وأثار بنايات كبرى[6].

---

[1]-أبو عبد الله ،المرجع السابق،الورقة

[2]-برقة :اسم صفع كبير يشمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وإفريقيا ،.معجم البلدان ،ج1، ص462،وهي مرج واسع وتربته حمراء وهي مدينة لديها صور وأبواب حديدية وخندق،اليعقوبي ،البلدان ،ص181. .

[3]-أبو عبد الله ،المصدر السابق،الورقة 46ظ.

[4]-المصدر نفسه، الورقة47و.

[5]-سرت:مدينة على ساحل البحر الرومي بين برقة وطرابلس وهي مدينة كبيرة عليها صور من طوب ليس حولها رياض ولها نخيل وبساتين وأبار عذبة.ينظر:معجم البلدان ،ج3،ض208.

[6]- عبد الله ،المصدر السابق.الورقة47ظ.

وبعد ذلك ارتحلوا من الأجدابية وظلوا سائرين في أرض هشة مملوءة بالحصى وهذا ما صعب عليهم مسير البغال والجمال ووصلوا العصر إلى منطقة سماها أهلها لهم (بشبان) حيث أصروا عليهم بالمبيت عندهم بقصد التجارة ،بعدها واصلوا مسيرهم عبر الفيافي حتى وصولهم لموضع (المزرب)،ثم وادي سمالوس فلم يجدوا فيه سوى الرمال والجفاف وبعدها في موضع يسمى (الشبيكة)[1] ،وبعدها واصلوا مسيرهم إلى غاية يوم الأحد حيث تساقطت الأمطار بغزارة فبلغوا موضع التميمي في وقت الزوال، وفي هذا الموضع به سوق اجتمع الناس من كل النواحي المجاورة لها ،فقاموا بتجارة وتبادل السلع وجاء إليها أهل درنة وهي مدينة موجودة على ساحل البحر بها مرسى، بينها وبين التميمي مسافة قدرها يوم ونصف ،وفي يوم الثلاثاء وفي وقت الفجر ظلوا سائرين على ساحل البحر حتى وصولهم إلى (عين الغزال)، بحيث ماءها العذب،واصلوا مسيرهم مرورا بعدة مواضع حتى يوم الجمعة الأول من شوال يوم العيد حلوا بعين (البعيد)، حيث قاموا بصلاتهم و الخطابة والموعظة لركب ومراجعة الفروع والأصول، وذكر فضائل الحج والأحاديث [2]،وبعد الاستراحة قام الركب بمواصلة المسير حتى العقبة الكبيرة في وقت الظهيرة ،وهي عقبة مشرفة على البحر ومنطقة و عرةحيث قاموا بصلاة الظهر والعصر بعدها ارتحلوا حتى مورد (جرجوف) مياهه كثيرة وآبار كبيرة ثم ساروا حتى وصلوا في المغرب،لحلازين وهو وادي لا ناء فيه وثم وادي الرمل ،وبعدها آبار تسمى المطروح موجودة فيها مياه عذبة[3].

ثم واصل الركب مسيره إلى العقبة الصغرى ،وبعدها انحدر منها ليواصل طريقه حتى وصوله إلى منهل الشمامة ذات المياه العذبة ثم ارتحلوا يوم الاثنين منها وواصلوا مسيرهم حتى وصلوا إلى ربوة تسمى (الهريف)،وبعدها إلى عفون وهي أبار عذبة ومروا بوادي الرهبان وبعدها ظلوا بالأهرام ثم وصولهم إلى النيل[4].

---

[1]-المصدر نفسه. الورقة51و.

[2]-الشبيكة :وادي قرب العرجاء في بطنه ركاب كثيرة مفتوح بعضها الى بعض وهي منزل من منازل الحجاج . ينظر: معجم البلدان ،ج3 ،ص324.

[3]-أبو عبد الله ،المصدر السابق، و رقة53و.

[4]-المصدر نفسه، ورقة 54 و.

3-طريق العودة:

كان خروج الركب من المدينة المنورة اليوم الثالث من دخولها إليها بعد توديع أهلها وحمل أمتاعهم وأخذ السلع منها حيث قاموا بنزول بندر (الينبع)،حيث أقام به الركب يومين وهناك قامت سوق عظيمة لتبادل السلع والتجارة والبيع والشراء، ثم ارتحلوا حتى أشرفوا على مغارة شعيب وقاموا بزيارتها وبعدها واصلو مسيرتهم إلى غاية بندر (عجرود)وفارقوا الركب المصري من تلك المنطقة [1]،وبعد مرورها وقطعهم المسالك بعد تجاوزهم الدار الحمراء، قاموا للمبيت وبعد ذلك وصلوا إلى البركة ظهرا ،وفي يوم الغد دخلوا إلى مصر بحيث كانت الجمعة العاشر، من صفر حيث أقاموا بها خمسة أشهر،حيث قاموا بزيارة المشاهد من الصالحين كزيارة الإمام الشافعي رضي الله عنه ،وبعد خروج الركب من مصر توجهوا لزيارة الإمام الأعظم احمد البدوي رضي الله عنه يوم الثلاثاء الثامن جمادى الثاني 1140هـ حيث قاموا بصلاة الظهر على شاطئ النيل برفقة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم السوسي[2]،وبعدها ساروا فنزلوا قرية (سيذيون) وقاموا بصلاة العصر بها ،وبعدها توجهوا لزيارة الشيخ علي المليحي وبعد خروجهم من مصر إلى المغرب واصلوا مسيرهم حتى وصولهم إلى (للحويجرا)وأقاموا بها يومي الاثنين والثلاثاء والأربعاء ،وبعدها ارتحلوا من يوم الخميس الثاني من رجب فنزلوا (للبحترا) السوداء في وقت الظهر وباتوا فيها ليلة الجمعة[3].

ثم واصلوا مسيرهم بموضع يسمى التسميح على غير الماء وبعدها نزلوا موضعا يسمى قصر القطاجي وبعدها قام الركب بالارتحال ومواصلة طريقهم حتى نزولهم إلى العقبة الصغرى صباحا وقاموا بزيارة بغدران المملوء بالمياه العذبة وقام الحجاج بالاستسقاء منها[4] ،وبعدها واصلوا مسيرهم بمرورهم بعدة قرى وأودية وزيارتاهم لبعض أضرحة الأولياء الصالحين حيث قاموا بالتعديل طريق الحج المألوفة وبعد السير الطويل نزل اركب قبالة التميمي بالموضع المعروف (بكبتان)حيث وجود الكلأ والمياه وأقاموا بها يومين حيث قاموا بسوق عظيمة بين الركب وأهل

---

[1]-المصدر نفسه، ورقة 113ظ.

[2]- مصطفي الغاشي ،المرجع السابق،ص14

[3]-المصدر نفسه، ورقة119 و.

[4]-المصدر نفسه،ورقة121 و.

درنة [1]،ثم واصلوا مسيرهم بمرورهم بعدة قصور ونواحي حتى وصولهم لموقع يقال له قرع (بريبر) ،فأقام الركب به للاستراحة وصلاة والاستسقاء منه ،وبعدها موضع يسمى الحمامة وبعدها وصلوا (شبيكة) وبعدها توجهوا إلى (المزرب) وسار الركب حتى وصل إلى موضع،يسمى (اسطاطة)[2]،وبعدها زاروا (الحويجة) وأم الغزلان والقبر وكلها أودية ومن هناك واصل الركب طريقة بقطع العديد من الصعوبات وتخطيه الكثير من العقبات وبعدها فارقهم جماعة من أهل فزان الذين جاءوهم من مصر وبعدها وصلوا إلى (الكبريت)حيث باتوا فيها بقرب (الحدادية)وهي بئر ذات ماء عذب وبعدها إلى (الكحيلة)[3].

واصل الركب مسيره حتى توسطوا(مصراته) فقاموا بزيارة ضريح الإمام الشهير عبد السلام الزليتي المشهور بالأسمر وبعدها مروا بوادي الحمى وسماه البعض بوادي غواو،حيث أقاموا صلاة الظهرين واستسقوها ويحتاجون منه من ماء، وبعدها دخلوا إلى ساحل حامد وقاموا بزيارة روضة الشيخ أبي بكر الفرداوي وبعدها تابع الحجاج مسيرتهم بعد زيارتهم لجميع الأولياء الصالحين والتبرك بهم ،حتى وصلوا إلى (تاجوراء) ،حيث زاروا بها روضة أبي النور وروضة السيد عبد القادر[4] ،وبعدها توجهوا لدخول طرابلس حيث تلقاهم الشيخ أحمد بن صالح وسط القرى بقرب ضريح محمد بن سعيد رضي الله عنه ،وساروا بعدها حتى انتهوا إلى (المنشية) وهي مدينة قبالة طرابلس حيث نزل الحجاج بها لكنزة ديارها حيث أقاموا بطرابلس نحو سبعة عشر يوم، قاموا بزيارة جميع المشاهد بها وبعدها وصلوا إلى جرف (جربة)[5] أقاموا سوق عظيمة للتجارة بها[6]، واصلوا مسيرهم حتى مدينة قابس بعد ارتفاع النهار وبعدها قاموا بنزول في حامة قابس حيث أقام الركب بها يومين وقام الركب بزيارة ما أمكنه من صلاحها وخرجوا من حامة يوم

---

[1]-المصدر نفسه، ورقة 122ظ.

[2]-المصدر نفسه، ورقة 124ظ.

[3]-المصدر نفسه، ورقة126و.

[4]-المصدر نفسه، و126 ظ.

[5]-جزيرة وسط البحر تحيطها حوالي ثمانية عشر ميل وهذه الجزيرة الواسعة تنتج مختلف الفواكه لكن النخيل لا ينموا عليها والجزيرة منقسمة إلى أجزاء منفصلة . ينظر: أبو قاسم سعد الله، رحلة الأغواطي ، المرجع السابق ،ص101

[6]-المصدر نفسه، ورقة127و.

الخامس والعشرين من رمضان فتركوا الطريق ذات اليسار وعملوا على ناحية اليمين حتى وصولهم إلى المويلحة[1].

وبعدها وصل الركب إلى زربية الوادي حيث قامت هنا سوق لتبادل السلع بين الحجاج ثم عذران قاموا بالاستسقاء من ماءها ثم توجهوا لزيارة السيد عقبة ودخلوا إلى روضته المباركة.

واصل الركب مسيرة حتى وصوله إلى وادي قرب بسكرة ثم دخولهم إلى بسكرة وأقام الركب بها يومين للسوق ،من أجل تبادل السلع و البيع والشراء، من كل أنواع السلع ثم سقوا من ماء وادي الزابيكل ما يحتاجونه منه حيث تلاقهم أهل الزاب بكل أنواع التمور والفواكه وإعطاءهم زرابي على شكل الزرابي التي تشتهر فيها بسكرة ،ثم ارتحلوا فأصبحوا بنخيل أولاد جلال ثم ساروا الركب مرورا بعدة مواضع حتى يوم الثلاثاء الخامس عشر من شوال وصلوا إلى وادي عمورة وصلوا الظهر (بعين البرج) وبعدها سار الركب حتى وادي يقال له الطرفاء حيث أقاموا الليل به[2].

ثم واصل الحجاج مسيرتهم حتى أتوا الظهر في الاغواط حيث قاموا بصلاة بها وبعدها قاموا بصلاة العصر بموضع حمده وبعدها إلى وادي (تجموت) حيث استقت المحلة منه ،وارتحلوا يوم الثلاثاء الثاني والعشرون فأصبحوا الضحى (بمشرية)[3].

وتابع الركب مسيره بمروره بعدة محطات ومواضع حتى يوم السبت السادس والعشرين منه وكانت الأمطار غزيرة ،وصلوا إلى (أبي الضروس) وبعدها واصل طريقة حتى آبار السلطان حيث جدد حجاج هذا الركب الطهارة به ،ثم إلى المنقوب حيث قاموا بالمبيت به[4].

وفي يوم الجمعة الثاني من ذي القعدة أصبحوا (بتازة)في وقت الظهر ،وقاموا بالمبيت في عقبة بني مجارة، وفي يوم الاثنين الخامس من الشهر فأصبحوا بقنطرة وادي سبوا،وبعدها دخولهم لفاس صبيحة يوم الثلاثاء السادس من ذي القعدة ومنه توجهوا للحرم الإدريسي حيث قاموا بشكر والثناء والاستغفار به[5].

---

[1]-المصدر نفسه، ورقة 129 و.

[2]-المصدر نفسه،ورقة 130ظ.

[3]- مصطفى الغاشي ،المرجع السابق،ص8.

[4]-المصدر نفسه، ورقة 132و

[5]-المصدر نفسه، ورقة 133و،ورقة 133ظ.

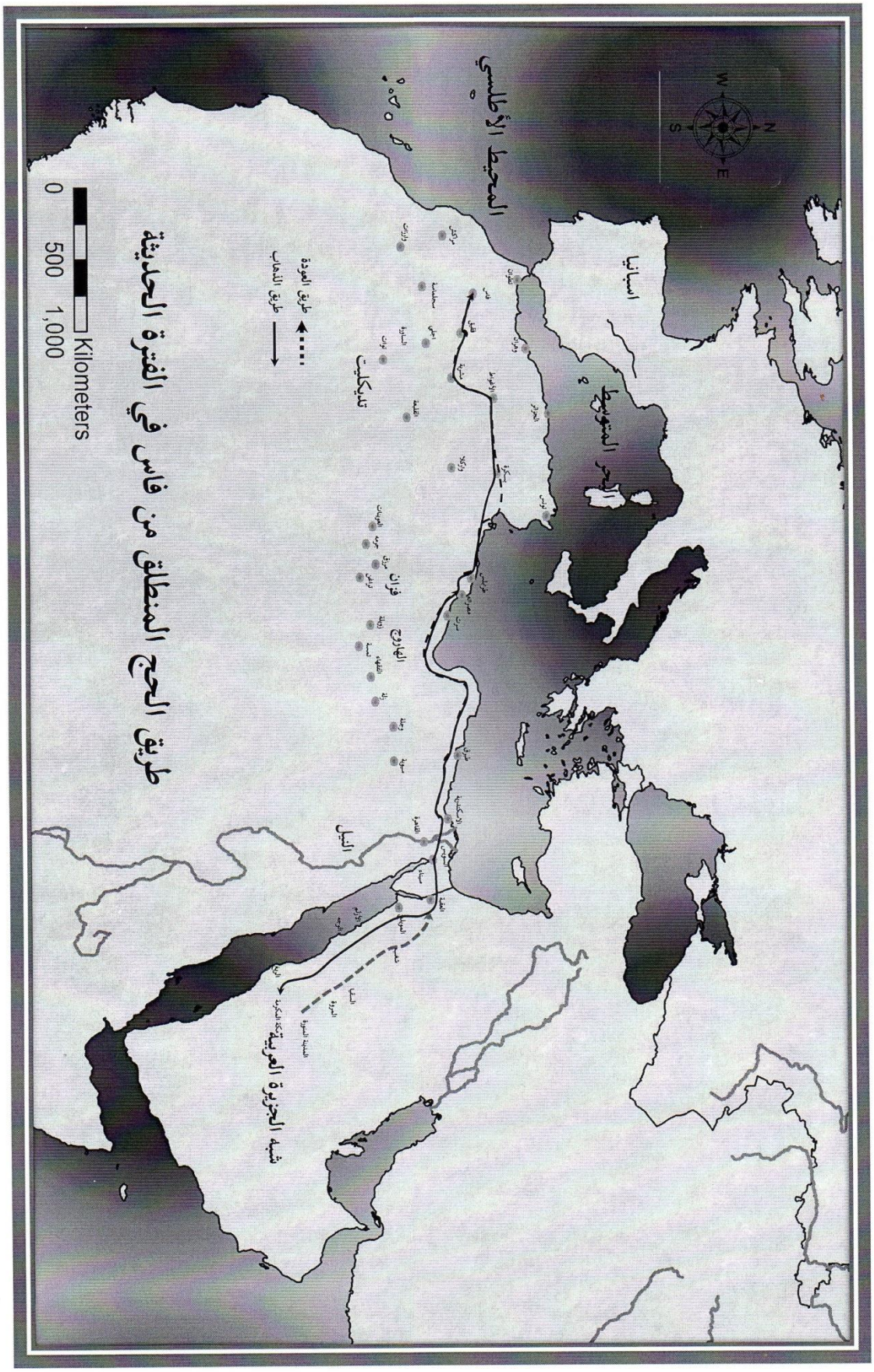
طريق الحج المنطلق من فاس في الفترة الحديثة
طريق العودة
طريق الذهاب
0 500 1,000 Kilometers
المحيط الأطلسي
البحر المتوسط
اسبانيا
تلمسان
فزان
الهاروج
النيل
شبه الجزيرة العربية
N
S
E
W

الفصـــــل الثالث:

الطريق المشترك البحري والبري المنطلق من مصر

المبحث الأول :استعدادات واحتفالات الحجاج للسفر.

المبحث الثاني: خروج الركاب المغاربة من القاهرة نحو الحجاز.

لقد خص لنا الرحالة نحن كقراء سطورا جمة بين ثنايا رحلاتهم الحجية، سردوا لنا فيها أحوال الطريق السياسية والاقتصادية والاجتماعية ووصفوا لنا مخاطر الطريق وتأمينها، كما وصفوا المسالك ،وهذه الأعمال جميعا أصبحت لا غنى عنها باعتبارها تحمل خط السير ،ومن ذلك ارتأينا أن نقف عند نقطة من الخط وتحديدا بالقاهرة التي هي مكان التقاء الركاب المغاربة عندها من أجل الاستعداد للسفر نحو مكة والمدينة ،لكن الملفت للانتباه كيفية استعداد المغاربة للخروج من القاهرة وما تصحبها من احتفالات.

المبحث الأول :استعدادات واحتفالات الحجاج للسفر:

1-استعداد المغاربة للسفر من القاهرة :

عندما يصل الركب المغاربي إلى القاهرة يقوم أميره بتسليم رئاسته لمفتي الديار المصرية الذي يقوم بدوره بتسليمها إلى أمير الحج المصري، ومنذ هذه اللحظة يكون الركب تحت مسؤولية الأمير المصري ويحافظ عليه من فتن العربان ،وتكاد الأحداث من أول دخول إلى القاهرة حتى خروج الركب المغربي مع القافلة المصرية تتشابه في كتابات الرحالة المغاربة ،ونترك الرحالة يتحدثون بأنفسهم عن تلك الأحداث منذ استعداد المغاربة للسفر إلى الحجاز وتجهيزهم لأشيائهم وحاجاتهم ،وشرائهم أدوات ومؤون السفر ،فإذا رجعنا إلى استعداد المغاربة للسفر وتجهيزهم سوف نجدها عند العياشي والورتلاني والزياني والناصري[1].

[1]-محمد علي فهيم بيومي ،المرجع السابق،ص29.

ومن ذلك نجد العياشي يصف لنا أجواء الاستعداد بقوله:"...ومن يوم خروج المحمل[1] شمر الناس عن ساق الجد في التجهيز للسفر باتخاذ الزاد وشراء الإبل وكرائها وأزيحت العلل ،وكان الناس قبل ذلك في سعة من أمرهم ،وقدم الجمالون من الصعيد والأرياف وكثر طالبوا الكراء واختلفت رغبات الناس ،فمن مائل إلى الكراء ،ومن مائل إلى الطلوع بإبله ،فمن أراد سلامة قلبه ودينه وخاطر بماله اشترى إبله ،ثم يأتي عرب الدرب للكراء على حمل الفول من مصر إلى المويلح[2] ،فيكتري من عندهم كل من يطلع بإبلهم على ما يحتاج من العلف إلى المويلح إذ لا تقدر الإبل على حمل زادها ،و من أراد المخاطرة فلا يشتري شيئا ،ويشتري في كل بندر ما يحتاج ،إلا أنه يقل في بعض الأحيان، فيشتري بعض المحال غاليا ،وغالب الأوقات يكون الأمر متقاربا في الشراء والكراء ،وربما كان الشراء أرخص من الكراء ،ولا يكتري أحد عند عرب الدرب للفول حتى يأتي شيخهم إلى أمير الركب ويتقاطع معه في الكراء ويعطوه حملا

[1]-المحمل :هو الموكب الذي يخرج من مصر كل عام حاملا كسوة الكعبة ،وظل هذا الحمل يخرج من عهد شجر الدر وعهد المماليك حتى بداية عهد جمال الناصر وكانت الإبل الوسيلة الرئيسية لسفر الحجاج، والمحمل هو عبارة عن هيكل خشبي مجوف يتشكل عن طريق عوارض أفقية ورأسية ومائلة ،سمك كل واحد منها (10سم) وهذا الهيكل الخشبي يتكون من جزأين رئيسيين :الجزء الأول وهو السفلي منه منشوري الشكل ،والجزء العلوي عبارة عن هرم ارتفاعه (1،95متر) ،وقاعدته مستطيلة الشكل ويكسو الجزأين المنشوري والهرمي معا ستارا من الحرير، وهو مزركش بخيوط المخيش الذهبية ،وتحيط بالمحمل الآيات القرآنية من جوانبه الأربعة على النحو التالي :الواجهة الأمامية مكتوب فيها (بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا الله) ثم دائرة مزركشة بالمخيش الفضي قطرها الخارجي (23،5سم) ومكتوب في داخلها عبارة (الله ربي)بالمخيش الفضي ثم يلي ذلك آيات قرآنية، ثم دائرة مزركشة بالمخيش الفضي بما قاست الدائرة الأولى في الواجهة الأمامية غير أنها مكتوب في داخلها عبارة "محمد النبي"ويحيط بالمحمل أربعة قوائم خشبية مركب عليها أربعة أشكال مخروطة من النحاس بحيث لكل منها هلال بداخله نجمة نحاسية ،أما الجمل الذي كان ينقل المحمل فقدا أصابه أيضا==حظ وافر من الزينة ،وبداية ظهور المحمل فقد ذكره البعض أنه ظهر منذ عام 654هـ/1256م عندما قامت شجرة الدر بأداء فريضة الحج في تلك السنة .ينظر:**محاسن محمد الوقاد** ،المحمل المصري في العصر المملوكي الأول 648هـ-784هـ/1250م-1382م ،دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ،الجزيرة العربية من القرن الخامس حتى نهاية القرن السابع هجري ،د.ت،ص ص5- 6.

[2]-المويلح :هي منطقة معروفة و هي قرية من قرى محافظة بدر في المدينة المنورة في السعودية حاليا ،وتقع غرب المدينة المنورة بناءا على خريطة.

ليس هناك بمصر لئلا يغدروا ،ومع ذلك غدروا في بعض السنين بارتفاع أسعار الفول في البنادر..."[1].

2-الاحتفال بخروج المحمل المصري:

كان ينطلق أول موكب من مواكب المحمل مع نهاية شهر رجب وغرة شعبان من كل عام ،و كان من بين أهداف هذا الموكب إعلام الراغبين في الحج باقتراب موسم الحج المهيب والبدء في الإعداد للتجهيزات اللازمة لذلك، وكانت مراسم موكب المحمل تجوب شوارع القاهرة في موكب مهيب وسط جموع عامة الناس الذين كانوا يسعون لملامسة هذا الركب المبارك، وفي المقدمة نجد المحمل ومن ورائه كسوة الكعبة المشرفة وكسوة مقام إبراهيم اللتان كانتا مثبتين على هيئة قطع فوق صناديق خشبية يحملها الناس ،ومحفظة مفاتيح الكعبة كان يحملها أحد الضباط.

وكانت مراسم يوم موكب المحمل، تبدأ بإطلاق قذائف المدافع بعد شروق الشمس بثلاث ساعات ،ويتحرك الموكب من دار الكسوة تجاه ميدان القلعة ،بحيث يكون المحمل في بداية الموكب ومن خلفه تأتي كسوة الكعبة المشرفة و يقوم الوالي أو الباشا أو الخديوي الحاكم في هذه الفترة باستقبال الموكب و الإمساك بزمام المحمل الفضي و التجول به في الميدان ،و كان هذا التصرف التمثيلي يهدف إلى إبراز الحكام على أنهم رعاة و خدام جمل النبي صلى الله عليه وسلم، ويقوم هذا الحاكم بالتأكد من كفاية الأموال المصروفة ل "أمير الحج" من أجل الطريق والتبرعات المرسلة إلى المدن المقدسة واحتياجاتهم في الطريق ثم يقوم بتسليم زمام المحمل إلى أمير الحج .

وكان يعبر في البداية خلال الموكب مجموعة من الفرسان المكونة من خمسمائة فارس ،و بعد فترة قصيرة تعبر مجموعة من الأشخاص على ظهور الجمال و يقرعون الطبول المربوطة على سروجها و يعقب ذلك عبور الجمال الفارغة المزينة سروجها بأغصان النخيل والأعلام الصغيرة والأجراس والقرب وكان أحد هذه الجمال يحمل على ظهره صندوقا مكسوا بغطاء من القماش الأطلسي أحمر اللون ويحتوي بداخله على النفقات الخاصة بقافلة الحج لذلك العام، ثم بعد

[1]-أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،مج1،ص264

ذلك تسير سرية من الجنود تصحبها أصوات الطبول والمزامير ويتبعهم رئيس الشرطة وضباطه وخادموا أمير الحج ويعبرون شوارع القاهرة [1].

و بعد انتهاء كافة المراسيم كان المحمل الشريف و متعلقات أمير الحج تمكث في القاهرة لعدة أيام ،و كانت القافلة تتحرك عادة يوم السابع و العشرين من شهر شوال[2].

و إذ كان يوم الحادي والعشرين من شوال ،هو خروج المحمل الشريف من القاهرة وهذا اليوم هو يوم خروج المحمل الكبير الذي هو من أيام الزينة ،ويجتمع له الناس من كل أطراف البلد ويؤتى بكسوة الكعبة[3] من وموضع خياطتها ،وتجعل في المحامل التي تحمل فيها ويجتمع الأمراء والجند جميعا على الهيأة المتقدمة في الخروج الأول إلا أن هذا أتم احتفالا وأكثر جمعا، فإذا تكامل جمع الأمراء على الوجهة المتقدمة ،وضفت الخيل والرماة وخرج الباشا ،وجيء بجميع ما يحتاج إليه أمير الحج من إبل وقرب ومطابخ وخيل ورماة وغير ذلك من الأسباب التي تخرج من بيت المال ،فيحضر الجميع ذلك في الميدان ،وكل طافة لها أمير مقدم عليها[4]حتى الطباخين والفراشين والسقائين ،ثم يؤتى بالمحمل الشريف ،يقوده سائقه حتى يناول الرئيس الجمل للباشا ،فيأخذه بيده ويناوله لأمير الحج بمحضر القاضي والأمراء ومعاينتهم ثم يناول أمير الحج لسائقه ،فيذهب به وذلك كله كشهادة على الباشا بأنه مكن للأمير المحمل وكل ما يحتاج إليه أمير الحج من ذهابه وإيابه، ويكتب بذلك إلى السلطات ،فإذا مر المحمل بين يدي الباشا وذهب جيء بالإبل بين يديه بما عليها من القرب والمطابخ والآلات ،فإذا مرت الإبل كلها جيء بالمدافع وهي خمسة تجرها البغال، ثم جاء الرماة الرجالة من ورائها فيمرون ثم يأتي الخيل فتمر ،فإذا مر جميع ذلك بين يدي الباشا جاء أرباب الوظائف لكل طائفة مع مشايخ الصوفية

---

[1] – **يوسف جغلار وصالح كولن** ،المحمل الشريف و رحلته إلى الحرمين الشريفين ،تر:حازم سعيد منتصر ،دار النيل للنشر ،ط1 ،القاهرة ،2015م،ص151.

[2]– المرجع نفسه،154.

[3]–كسوة الكعبة:هي قطعة من الحرير الأسود المنقوش عليه آيات من القرآن الكريم تكسى بها الكعبة ،ويتم تغييرها مرة في السنة خلال موسم الحج ،ومن مكوناتها ثمانية أحزمة و أربعة كردشيات مزركشة جميعها بالمخيش الفضي الأبيض والمخيش الفضي الملبس بالذهب البندقي ،وستارة باب بيت الله الحرام الذي يسمى البرقع ،وهي مزركشة أيضا بالمخيش السالف وستارة باب سطح بيت الله الحرام وهو المعروف بباب التوبة وكيس مفتاح الكعبة.ينظر:**إبراهيم حلمي** ،كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج ،مؤسسة أخبار اليوم ،كتاب اليوم ،العدد320،تر:جمال الغيطاني،ص06.

[4]–أبو القاسم الزياني،المصدر السابق،ص209.

بشيخهم وولائهم رافعين أصواتهم بالذكر ، حتى الشعلة يأتون بشيخهم فيمرون بين يدي الباشا ويعطيهم ما يتيسر ،فإذا لم يبق أحد ممن يمر بين يديه خلع الباشا على أمير الحج ،وعلى كل أمرائه الذاهبين معه (كالكيخيا) و(التويدار) وغيرها ثم يودعه وينصرف ،ثم يمر بالمحمل وسائر الإبل والعسكر وسط المدينة والناس مشرفون من الديار والمساجد التي تلي الشوراع ويتعطل غالب الأسواق في ذلك اليوم[1].

ومما سبق يتبن لنا أن كسوة الكعبة المشرفة عبر التاريخ العربي لها مشوارها الحافل والهام، وذلك ما لاحظناه جليا في ما ترتب عن ذلك من احتفالات بخروج المحمل من مصر وخاصة في العصر الحديث ،حينما ودعت مصر عصر السلاطين المماليك واستقبلت عصرا جديدا تحت لواء العثمانيين ،واستمرت في مسيرتها في كساء بيت الله الحرام ،وفي العام التالي للغزو العثماني، وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر رمضان ،جيء بكسوة الكعبة المشرفة والبرقع ،ومقام إبراهيم الخليل عليه السلام ،وكسوة لضريح النبي صلى الله عليه وسلم وكسوة لضريح إبراهيم الخليل بالقدس محملا ،وقد شوهد في زركشة برقع كسوة الكعبة المشرفة وملاحقاتها على خلاف المعتاد ،وأقيم احتفال كبير بالقلعة من أجل هذه المناسبة ،ولم يكن هذا الاحتفال الأول والأخير بالكسوة وإنما احتفال ثان بعد أسبوع واحد من الاحتفال الأول.

وقال ابن أبي إياس يصف وقائع هذا الاحتفال :"...في اليوم الاثنين التاسع عشر من شهر رمضان، فيه خرج الشهابي أحمد بن الجيعان،نائب كاتب السر ومصلح الدين خندرار ابن عثمان، وخرج صحبتهما كسوة الكعبة الشريفة وهي محزومة،محملة على الجمال وشيع أنهما يتوجهان من البحر الملح إلى جدة ومن جدة إلى مكة، فكان لهما بالقاهرة موكب حفل وكان ذلك اليوم مشهورا ،وخرج صحبتها نحو من ألفي عثماني وأمامهم طبلان وزمران ورماة وركب قدامهما الأمير "فايت باي الدودار" الكبير وأعيان جماعة من المباشرين فلما انشقوا من القاهرة رجت لهم ،فخرجوا من باب النصر وتوجهوا إلى الوطاقب الريدانية[2]..."

[1]-أبي سالم العياشي،المصدر السابق،مج1،ص ص 264- 265./أحمد بن ناصر الدرعي ،ص302./أبو القاسم الزياني ،المصدر السابق،ص209/محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي ،المصدر السابق،ص66./أبو عبد الله الطيب نور الله ،المصدر السابق،ورقة62ظ.

[2]-ابراهيم حلمي ،المرجع السابق،ص54.

ولما يبلغ النصف من شهر شوال يخرج المحمل الخروج الكبير وهذا قبل الاحتفال، وذلك اليوم يؤتى بكسوة الكعبة المشرفة من دار الصنعة، فتضرب سحابة على باب القلعة فيحضر السناجق[1] كلهم والولاة والأمراء والحكام والقاضي ،كل واحد من أتباعه ،ولكل واحد مجلس معلوم ،ومجلس الباشا في الوسط وعن يمينه مجلس القاضي ،وكلما أتى واحد من أمراء وأرباب الدولة جلس في مجلسه وقربهم من الباشا بحسب قربهم في المناصب ،فإذا تكاملوا وأخذوا مجالسهم، ووضفت الخيل على جانبهم ،وهذه الخيول تحيط بالميدان الذي هو أمام مجلس الباشا ،وهو ميدان كبير يسع الألف من الخيل وآخر من يخرج الباشا ،فتخرج أمامه طائفة من عسكره بعضهم إثر بعض وفق القانون ،وعندما يخرج الباشا راكبا حيث يصل إلى الساحة ،فيضع الكل أيديهم على صدورهم حتى يجلس ،فإذا جلس الباشا جيء بالجمل الذي يحمل كسوة الكعبة ثم يمرون بها وسط الساحة والناس يتمسحون بها[2].

ويصحبها بعد ذلك بحضور الآلاف من الناس من أجل الاحتفال بالمحمل وذلك بمناسبة إرساء كسوة الكعبة من مصر إلى مكة ،وهذا الاحتفال يبدأ مع قرب موسم الحج وكانت مصر هي ملتقى حجاج المغرب والأندلس وجميع دول شمال إفريقيا ،حيث يجتمعون هناك بعدة أماكن في القاهرة مثل: جامع أحمد بن طولون ،وعند بركة الحج، ويأتي أمير الحج الذي سيكون مسؤولا عن بعثة الحجاج المصريين ،وتتجمع الشرطة في حضور عدد كبير من المواطنين وهم يودعون كسوة الكعبة إلى الأراضي المقدسة[3].

وبسبب أن معظم طريق القافلة يكون في الصحاري وبين الرمال والصخور، فقد كانت القافلة تنطلق ليلا قبل غروب الشمس بساعتين وتتابع مسيرتها إلى ما بعد بزوغ الفجر بقليل

---

[1]-السناجق :جمع سنجق باللغة العثمانية ،ومعناها اللغوي العلم واللواء و الخاص بالدولة ،ثم خص بها لواء الذي يمنحه السلطان للوالي أو الأمير تعبيرا عن ثقته بأنه أهل للحكم ،ثم تطورت الدلالة فأصبحت تعني قسما إداريا من قسم الدولة ،وحلت محلها مؤخرا الكلمة العربية (لواء) للمعنى نفسه أي قسم إداري .ينظر:**سهي لصبان** ،المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ،مكتبة الملك فهد الوطنية ،مرا: عبد الرزاق محمد حسن بركات ،الرياض ،2000م ،ص136.

[2]- أبي سالم العياشي،المصدر السابق،مج1،ص261.

[3]-سامي بن عبد الله بن أحمد الملغوث،المرجع السابق،ص117.

وذلك بغرض تقليل المصاعب التي تواجهها الرحلة الشاقة التي كانت تتواصل لمدة تقريبية تصل إلى سبعة وثلاثين يوما[1].

[1]-يوسف جغلار ،المرجع السابق،ص154.

المبحث الثاني :خروج الركاب المغاربية من القاهرة نحو الحجاز:

كانت الركاب السابقة الذكر تسير من أقصى بلاد المغرب إلى المشرق في نفس الطريق الذي اعتاد الأمراء سلوكها حتى يصل الركب إلى مصر ويتوقف بها [1]،وهنا سوف نتحدث عن طريق الحجيج المصري لأن هذا الطريق نفسه الذي اتبعه وسار عليه الرحالة المغاربة وتحدثوا عن ركبهم الذي لا يبدأ مسيره إلا بعد رحيل الركب المصري الذي كان يغادر في 23من شوال ويتبعه الركب المغربي يوم 27 من نفس الشهر، ويجتمع الركبان في" بركة الحاج "[2]،ودليل على ذلك ما دونه ابن مليح السراج في رحلته الحجية حيث يقول :"...خرجنا يوم 27 من شوال منصرفين عن مصر قاصدين الحرم الشريف برسم أداء الفرض والنفل ،والتماس الرحمة والفضل، فأول منزل نزله الركب موضع يعرف بالبركة[3] خارج المدينة على شاطئ بركة من برك النيل، وفيه محل اجتماع الركبان..." [4]،وينظم إلى الركاب السابقة الذكر،ركائب تونس والجزائر وطرابلس الغرب فيزيدون في أعدادهم ويؤلفون ركبا مغربيا كبيرا .

وحتى نتبع الطريق المؤدية إلى الحجاز وبناءا على ما وصفه لنا الرحالة المغاربة ،سنبدأ بالوصف وتتبع الرحلة من أولى المنازل وهي بركة الحاج التي وصفها العياشي في بداية الربع الأخير من القرن الحادي عشر هجري (11هـ) كما وصفها الدرعي في نهاية الربع الأول من القرن الثاني عشر هجري(12هـ)، وجاء في وصفها لها أنها بركة واسعة على مد البحر مملوءة بماء النيل ،نصبت حولها الأسواق المشتملة على البضائع، وحول البركة العديد من البساتين والمقصورات على شاطئ النيل التي تقصد للتنزه[5].

أما الموسوي الذي حج في بداية الربع الأول من القرن الحادي عشر هجري(11هـ)،قد أخبرنا أن البركة تقع على عشرة أميال من القاهرة ،فيقيم عليها ثلاثة أيام أو أربعة ثم يرحل إلى

---

[1]-محمد علي فهيم بيومي،المرجع السابق،ص28.

[2]-عواطف بنت محمد يوسف نواب،المرجع السابق،ص255.

[3]-ابن مليح السراج،المصدر السابق ،ص 72

[4]-بركة الحاج موقعها حاليا المعروفة باسم البركة إحدى قرى مراكز شبين القناطر محافظة الفلوبية،سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث ،المرجع السابق،ص114.

[5]- عواطف بنت محمد يوسف نواب،المرجع السابق،ص ص256- 259.

السويس في خمس مراحل[1] ،والورتلاني أخبرنا عنها في رحلته إذ يقول:" ...هي بركة واسعة البصر يتموج فيها ماء النيل العذب الفرات تنصب فيها الأسواق الحافلة يستوطنها ويخرج غالب أهل مصر لوداع الحاج والتفرج هناك والتنزه في بساتين ومعاصير على شاطئ النيل المنصب إلى تلك البركة...."[2]

ومن يوم خروج المحمل المصري كما ذكرنا سابقا يتهيأ الحجيج المغاربي للسفر والتجهيز باتخاذ الزاد وشراء الإبل وكرائها [3]،وفي اليوم السابع والعشرين من شهر شوال[4]يرتحلون من البركة قاصدين الدار الحمراء ومنها إلى (عجرود)[5] ،وكان الحجاج في السابق ينزلون في السويس ولا يمرون بعجرود ،ثم تركوا ذلك إلا في بعض السين [6]،ومنها مواصلة الطريق البري عبر سيناء بمحاذاة البحر الأحمر برا إلى مدينة جدة ،أو تبحر القوافل في السفن عبر البحر الأحمر إلى ميناء جدة ومنها برا إلى المدينة ثم مكة المكرمة[7].

ومن كان سيواصل طريقه برا سوف يرتحل من عجرود الذي يضرب به المثل في القبح حيث أنه كان أول ماء يرده الحاج قبل أن يألف مشاق الطريق ،ومنها المقصد إلى (النابعة) والعدول عن طريق الحاج التي فيها المصانع يمينا ،وهذه الطريق لا يظهر فيها أثر ،لذلك جعلوا فيها أعلام يستدل بها الركب في الطريق ،كما علقوا على بعض الأعلام مصابيح بالليل ،وعلى هذا الطريق يسلك الحاج المصري دائما[8].

ومن النابعة السلوك بين جبال في أودية من الرمل ،ثم المرور بالعقبة المشرفة على (التيه)[9]

---

[1] -محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي ،المصدر السابق،ص67.

[2] -الحسين بن محمد الورتلاني،المصدر السابق،مج 1،ص365.

[3] - محمد علي فهيم بيومي،المرجع السابق،ص30.

[4] -أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،مج 1،ص259.

[5] -أحمد بن ناصر الدرعي،المصدر السابق،ص304.

[6] - عواطف بنت محمد يوسف نواب،المرجع السابق،ص260.

[7] -سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث ،المرجع السابق،ص117.

[8] - أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،مج1،ص ص274-276.

[9] -التيه :كما في خطط المقريزي أرض بالقرب من (أيلة) لا يكاد الراكب يصعد إليها من صعوبتها ويقال أن طوله نحو ستة أيام .أحمد بن ناصر الدرعي،المصدر السابق،ص346.

وهي عقبة فيها بعض الصعوبة ،إلا أنها سويت وبنيت بناءا متقنا وصارت طريقا لاحبا[1] ،ثم السير حتى (القباب) وهو واد فسيح ثم السير على رأس واد تيه لبني إسرائيل ،ومدة السير إليه عشر ساعات ثم السير إلى قلعة (نخل المحمية) ،ومدة السير إليه ست ساعات ومنها إلى موقع يقال له (عرقوب البغلة) ثم إلى(البندر) وفيه حصن حصين على شاطئ البحر في سفح الجبل وبعد قطع مراحل السير على مسلك ضيق بين البحر والجبل ثم النزول بموضع (ظهر الحمار) ثم الارتحال والسير على يمين البحر وصولا إلى موقع يقال له (شرفات بني عطية) ثم السير حتى مغائر شعيب عليه السلام[2] ،ثم منها إلى (عيون القصب) ،ومدة السير إليها 14سا ثم منها إلى بئر المويلح ،ومدة المسير إليها 13سا ،ومن المويلح إلى (دار السلطان) ومدة السير إليها 13سا ،ثم (وادي الأراك) ومدة السير اليها 17سا[3]،وهو وادي واسع يأتي من ناحية الشمال والبحر عن يمينه قريب منه[4] ،ثم (لقصبة الوجه) بين الجبال خارجة عنها الآبار الكثيرة،ثم لموضع صحراء يقال له (بئر الدركين)[5]،ثم (لماء الحورة) ثم للعقبة السوداء برأس واد منها الماء (النبط) ،ثم سبع وعرات بين جبال رواسي برأس (واد النار) ولا ماء بها[6].

وعلل الزبادي تسميتها بوادي النار لأن مفارزة كبيرة كثيرة الحر والرمال والأوعار ويعدم فيها الماء إضافة إلى كثرة أخطارها ،وبعدها يخرجون إلى أرض فضاء واسعة ممتدة إلى ينبع والتي هي محافظة من محافظات المدينة المنورة والتي تقع على ساحل البحر الأحمر[7]،وقال عنها الزياني أنها وادي بين جبال وعر وغبار[8].

---

[1]-المصدر نفسه،ص315.

[2]- أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،مج1،ص ص275- 284.

[3]-أبو القاسم الزياني ،المصدر السابق،ص ص222-224.

[4]- أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،مج1،ص291.

[5]-الدركين :هو منزل الحاج المصري وسمي بذلك لأنه بين درك أعراب مصر وأعراب الحجاز .الحسين الورتلاني،المصدر السابق، مج2،ص409.

[6]-ابن مليح السراج،المصدر السابق،ص72.

[7]- عواطف بنت محمد يوسف نواب،المرجع السابق ،ص292.

[8]- أبو القاسم الزياني ،المصدر السابق،ص226.

ومن وادي النار يستمر الركب في طريقه إلى (الخضيراء) كما يقال لها الخضيرة بالتصغير ومدة الوصول إليها في المسير 12سا بالتقريب[1] ،ومنها قاطعين ثلاث من الوعرات السبع المسماة على ألسنة الحجاج بسبع وعرات[2]،وتقع بين جبال برأس وادي النار ولا يوجد بها ماء،ومنها المسير حتى الينبوع ،ووصفها ابن مليح بأنها كثيرة النخيل والعمارة والأسواق [3]،كما وصفها الزياني بقوله:"...بها عيون بين زروع تسيح وتسيل ،وكان بها سور منيع وجامع مفرد وسبع بيوت فسيحة فآل أمرها إلى الخراب ،وبها الآن أسواق للحجاج يأخذون منها الذخيرة عند الاحتياج ،والمسير إليها نحو (1سا)"[4] ،ثم من الينبوع إلى (الدهناء)[5] ثم إلى (بدر)[6] وهي مدينة حجازية بها عيون وجداول وحدائق ،ثم إلى رابغو هي قرية عظيمة ومحطة جامعة لأنواع المحتاج[7] فيها نخل وآبار كثيرة في واد يأتي إليه السيل من بعيد وتزرع فيه ثمار كثيرة ،وهي من أخصب أودية الحجاز[8] ،وفيها يغتسل الحجاج للإحرام حيث ينشغل الناس بغسل الثياب وشراء النعال ورابغ هذه قبل (الجحفة)[9] ،لكن ينبغي للحاج إذا اغتسل برابغ أن يؤخر الإحرام إلى الجحفة فيحرم منها فيحصل السنة والمستحب، وليلا يبتدئ الحاج بفعل المكروه وهو الإحرام قبل الميقات[10].

---

[1]-المصدر نفسه ،ص226.

[2]- أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،مج1،ص295.

[3]-ابن مليح السراج ،المصدر السابق،ص72.

[4]- أبو القاسم الزياني ،المصدر السابق،ص227.

[5]-الدهناء: من ينبع إلى الدهناء مسيرة نصف يوم ،وهي من عمل ينبع وبها ماء معين ونخيل كثير ومائها طيب .أبو عبد الله العبدري ،المصدر السابق،ص346.

[6]-بدر: موضع بين مكة والمدينة ،بها حدثت الواقعة المباركة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين،وحضرها الملائكة والجن والإنس والمسلمين كلهم ،وبها بئر ألقي فيه قتلى المشركين .ينظر:زكريا بن محمد القزويني،المصدر السابق،ص78.

[7]-أبو عبد الله الطيب نور الله ،المصدر السابق ،ورقة 73 و.

[8]-أحمد بن ناصر الدرعي ،المصدر السابق،ص353.

[9]-الجحفة :بالضم وسكون الحاء المهملة ،وهي قرية كبيرة ذات مسير على نحو خمس مراحل وثلثي مرحلة من المدينة، وعلى نحو أربع مراحل ونصف من مكة،وقال العياض سميت بالجحفة لأن السيول جحفتها وحملت أهلها . أبو عبد الله الطيب نور اللله ،المصدر السابق، ورقة 73ظ.

[10]- ابن مليح السراج ،المصدر السابق،ص73.

ويومه وليله ،تلك المراكز التي كان يتصدرها قطب مكة (البيت الحرام)[1]، ومن ثمة نجد تداعيات الفرحة والسرور تغمر الحجاج بمجرد اقترابهم من مكة، ومن ذلك ما رواه لنا عديد الرحالة المغاربة ووصفهم لهذا الشعور المتميز ويقول في هذا الصدد أبو عبد الله :"...ومن الجحفة ارتحلنا وسرنا مطمئنين مسرورين فرحين ومبرورين مدعين على التلبية من غير إفراط ولا تفريط..."[2] "وقوله أبي سالم العياشي: "...ثم أحرمنا ملبين الحج مفردا محافظين على استحضار النية والمتابعة على التلبية، والنية إلى ذلك المحل أقرب للمقصود وتابعنا السير ملبين صارخين لها فرحين مستبشرين آمنين مطمئنين[3]، وهذا الشعور فيه إشارة لقوله عز وجل :"فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ".[4]

يدخل الحجاج إلى مكة في اليوم الخامس من ذي الحجة ،وعادة ما يدخلون في أيام ذي تباع أي الثاني والثالث والرابع والخامس من ذي الحجة ،مثلما دخلها الركب المصري في اليوم الرابع من ذي الحجة والركب الشامي في السادس وبعضهم في السابع والركب العراقي في الثامن[5].

فبمجرد وصول الحجاج إلى مكة المكرمة يسيرون مع الدليل في الشارع الذي يتوسط البلدة مكة، والذي يؤدي إلى الحرم وبعدها يتوجه الحجاج إلى حوض الماء للوضوء.

الدخول الى مكة[6] المكرمة:

[1]-بيت الله الحرام :هو البيت المكرم وله أربعة أركان وهو قريب من التربيع ،والكعبة المشرفة بناء مكعب تقريبا وزواياه إلى الجهات الأربع ،العرب يسمونه الزوايا بالأركان وينسبونها إلى الاتجاهات، وللكعبة المشرفة أربعة أركان الركن الشرقي يسمى الركن الأسود وسمي به لأن فيه الحجر الأسود ،ومنه يبتدأ الطواف ،والركن القبلي يسمى بالركن اليماني لاتجاهه إلى اليمين، والركن الغربي يسمى الركن الشامي سمي بذلك الاسم لأنه إلى جهة الشام والمغرب والركن الشمالي يسمى بالركن العراقي.ينظر: **أبو مروان محمد الثقفي** ،الكعبة المشرفة ،الصادر من الموقع الثقافي ،منتدى الرحلات ،2007،ص28.

[2]- أبو عبد الله الطيب نور الله ،المصدر السابق ،ورقة 75 و.

[3]- أبي سالم العياشي ،المصدر السابق، مج1،ص 312.

[4]-سورةآل عمران،الآية 170.

[5]- أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،مج1،ص315.

[6]-مكة :هي بيت الله الحرام قال بطليموس دولها من جهة المغرب 78درجة وعرضها 23جرجة وقيل 21 درجة تحت نقطة السرطان ،وقيل سميت مكة للازدحام الناس فيها ،معجم البلدان ،ص181.

قال الله تعالى :" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ [1]مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ"[2].

مع فريضة الحج التي أوجبها الله تعالى على كل مسلم لمن استطاع إليه سبيلا تحولت مكة شرفها الله إلى أكبر وأعظم مكان ومركز في العالم يجتمع فيه الناس.

وهذا الاجتماع الذي يتحقق في الحج بهذا العدد الكمي من الناس ،ونظرا لتشوق الناس لهذا المكان المقدس ،فقد استمر الاهتمام بأدب الرحلات عن الحج وهو من أوسع أبواب المعرفة عبر مختلف العصور والحقب التاريخية ،حيث تعتبر رحلة الحج أنفس رحلات العمر لذلك يحرص بعض المسلمين استرجاع ذكرياتهم الطيبة في هذه الديار المقدسة كل حسب طريقته، ويبرز الجغرافيون المسلمون والرحالة العرب الذين حاولوا جاهدين في هذا الصدد من خلال التعريف بموقع مكة [3]وحدودها عبر خرائطهم أو مرتسماتهم أو نصوصهم لنقلها عبر مصنفاتهم العلمية إلى أقاليمهم التي جاؤوا منها[4].

وعليه كان الإنسان المغاربي يحس بأن الفضاء الذي يعيش فيه لم يكن كافيا للإرضاء رغباته بكل ما كان يحتضنه هذا الفضاء من محامد و مناقب، و ذلك فإن عليه أن يسعى لرؤية العالم الآخر عالم المشرق الذي كان مصدر سعادته والذي لم يكن يعني غير مراكز الإشعاع الروحي والفكري التي كانت تتمثل فيها تلك السعادة التي تغمره طوال رحلته[5]،ومن ثم الذهاب للحرم والدخول إليه من باب السلام[6]، وهذا الأخير نفسه الذي دخل منه أبي سالم العياشي

---

[1]-بكة :هي مكة بيت الله الحرام ،أبدلت الميم بباء و قيل بكة بطن مكة و قيل موضع البيت المسجد و مكة و ما وراءه، و قيل مكة و ما وراءه بكة و قال ابن الكلبي سميت مكة لأنها بين جبلين بمنزلة الملوك .معجم البلدان ،مج1،ص475.

[2]-سورةآل عمران الآية96- 97.

[3]-سامي بن عبد الله بن احمد الملغوث ،المرجع السابق،ص117.

[4]-حدود مكة:حد الحرم من ناحية المدينة من ذي طوى الذي هو أحد أودية مكة وعلى ثلاثة أميال من مكة ،وحده من طريق جدة عشر أميال ،وحده من طريق الطائف أحد عشر ميلا ،فعدد أميال الحرم 37ميلا .سعد زغلول عبد الحميد،المصدر السابق،ص04.

[5]-عبد الهادي التازي ،المرجع السابق،ص25.

[6]-باب السلام :هو الباب الذي كان يسمى بني شيبة في القسم الذي في داخل المسجد اليوم ،وهو باب المسجد القديم في مقابلة المقام وباب البيت ،وهو الذي ينبغي الدخول منه، وأما باب السلام الذي يسمى الآن باب السلام فهو أحد

استنادا بقوله:"...وجئنا إلى المسجد وقد حان الغروب وكادت تطير من الفرح القلوب فدخلنا فرحين مستبشرين من باب السلام وشاهدنا البيت العتيق الذي تضيء أنواره كل ظلام..."[1].

ويقول الورتلاني :"...فذهبا منحدرين إلى أن وصلنا قرب البيت العتيق فدخلنا المسجد من باب بني شيبة ،فأفاض الله علينا من وجوده كرامة وهيبة فظفرنا بالأمن والأمان والسلام من باب السلام..."[2].

وبعدها يتوجه الحجاج لتقبيل الحجر الأسود[3] وذلك بالطواف بالبيت طواف القدوم والصلاة ركعتي الطواف خلف مقام إبراهيم عليه السلام، ثم الخروج من باب الصفا والسعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط[4]،قال الله تعالى:"**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**"[5].

وبعدها يتوجه الحجاج لاكتراء المنازل والانتقال من الخيام إليها ،ومن اكترى قريبا من المسجد الحرام ،كان يستغرق غالب أوقاته في المسجد ،وفي اليوم الثامن من ذي الحجة يخرج الناس من مكة والإرتحال إلى منى[6] لأنه من السنة ثم المرور بمسجد العقبة والصلاة فيه، أما إذا كان يوم التروية يخرج الناس من مكة قاصدين عرفات ولم ينزلوا بمنى ولا يبتون بها إذا كانت السنة بحيث يقول المكناسي :"...وصار الناس في هذا الزمان يخرجون من مكة اليوم الثامن ويرحون إلى عرفات وينزلون في موضع الوقوف وبين مكة وعرفات نحو أربع ساعات..."[7].

ويقول العياشي وبتنا تلك الليلة بمنى ولم يبت بها إلا المغاربة وقليل من غيرهم وكثير من الناس ذهبوا إلى عرفات وذلك دأبهم منذ أزمان فقد قال الحطاب: هذه السنة أعني المبيت

أبواب المسجد ،وليس في مقابلة باب البيت فهو منحرف عنه بعض الانحراف وهو يتكون من ثلاث بوابات صغيرة.ينظر:محمد عبد الوهاب المكناسي ،المصدر السابق ،ص264./جوزيف يوسف بتس ،المصدر السابق،ص83.

[1]- أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،مج 1،ص315.

[2]-الحسين الورتلاني ،المصدر السابق، مج 2،ص452.

[3]-الحجر الأسود: له أربع سنن ،أن يمسخه بيده ويقبل ويكبر، فإن لم يتيسر ذلك مسحه بيده وقبل ،وإن لم يتيسر له ذلك استلمه بعصا وقبل ما استلمه .ينظر: **سعيد بن علي بن وهف القحطاني** ،مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة ،مكتبة فهد الوطنية للنشر،ط1،ط،2010،ص379.

[4]-محمد بن عبد الوهاب المكناسي ،المصدر السابق،ص264.

[5]- **سورة البقرة الاية 158**.

[6]- أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،ص317.

[7]--محمد بن عبد الوهاب المكناسي ،المصدر السابق،ص265.

بمنى.. هذه الليلة قد أميتت منذ أزمان وقد ذكر ذلك كثير من المرتحلين كابن رشد والعبدري ومن بعدهما وذكروا أن الخوف من المبيت هناك بعد ذهاب الأركاب، فلما رأى بعض المغاربة كثرة ممن ذهب من الناس إلى عرفات أخذوا يرتحلون وقالوا :لعل هذه الليلة هي ليلة عرفة ولعدم علمهم بأن ذلك دأبهم كل سنة ظنوا أن الذاهبين إنما ذهبوا إلى عرفة في ذلك اليوم لبلوغ الخبر إليهم بسبقية رؤية الهلال ..."[1] ،أما الحضيكي يروي لنا في هذا الصدد أنه بينما الناس كذلك والركبان تتلاحق ويأتون من كل ضامر إلى البيت العتيق ،ومن كل ناحية يأتون من كل فج عميق، إذ طلع الخطيب يوم التروية على المنبر وأخبر الناس بمناسكهم[2]،فلما زاغت الشمس يوم التروية طفنا وخرجنا لإقامة الظهر بمنى ...واختلفت الناس هل الليلة ليلة الوقوف أو يبيتوا ،فمنهم من بات ومنهم من ارتحل غير أننا ممن اغتنم سنة منى المبيت لا ممن ارتحل اذ لا شك أنها ليلة عرفة لا ليلية العيد..."[3].

ومن منى يتوجه الحجاج إلى مزدلفة[4] قصد أداء مناسك الحج ومنها إلى المشعر الحرام ودعاة ما ينزل به الحجاج للاستقاء من مائه والشرب منه ،ثم السير حتى النزول (بتمرة)[5] و هي ناحية بعرفة والتي نزل بها النبي صلى الله عليه وسلم[6] ،وبعدها يغتسل الحاج ويصلي الظهر والعصر جمع تقديم مع الإمام ولا يبدأ الوقوف بعرفة إلا بعد الزوال، فيقف بعرفة عند الصخرات أو قريب منها فإن هذا الموضع هو مكان وقوف النبي صلى الله عليه وسلم ،والوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم ،ولا يسن ولا ينبغي صعود جبل الرحمة ،ويستقبل القبلة ويأخذ في الدعاء والذكر والابتهال حتى يدخل الليل ،فإذا دخل الليل أفاض إلى المزدلفة فيصلي بها المغرب والعشاء جمع تأخير ويبيت بها، فإذا طلع الفجر وقف بالمشعر الحرام وذكر الله كثيرا حتى يسفر

---

[1]- أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،ص318.

[2]-المناسك :جمع منسك بفتح السين و هي من ينسك منسكا أي التعبد ،والمناسك اصطلاحا :العبادات التي تفعل في الحج أو العمرة عادة ،وقيل المناسك الأماكن التي تفعل بها عبادات الحج عادة ،السعيد بن علي بن وهف القحطاني،المرجع السابق،ص07.

[3]-أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي ،المصدر السابق،ص101.

[4]-المزدلفة :هو مبيت للحجاج ومجمع للصلاة إذا صدروا من عرفات ،وهو بين بطن محشر ومأزمين والمزدلفة ،معجم البلدان ،ج5،ص120.

[5]- أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،مج1، ص318.

[6]-معجم البلدان ،ج5،ص304.

الصبح ،فينصرف بعد أن يستحضر الجمرات ويعود إلى منى والوقوف بالمشعر الحرام ويلزم بتركه دم، وبعد طلوع الشمس يرمي جمرات العقبة بسبع حصيات ثم يذبح هدية إن أمكنه ويحلق شعره أو يقصره ما عدا النساء ،ثم يعود إلى مكة فيطوف بها طواف الإفاضة وهو طواف الركن،فيطوف كما طاف طواف القدوم ثم يعود إلى منى فيبيت بها والمبيت بها واجب و يلزم بتركه دم، وإذا زالت الشمس من اليوم الحادي عشر من ذي الحجة رمى الجمرات الثلاث مبتدءًا بالجمر التي تلي منى ثم برمي الجمرة الوسطى ويقف بعد الرمي داعيا ذاكرا ،ثم يرمي جمرة العقبة ولا يقف عندها ،وينبغي أن يرمي كل جمرة بسبع حصيات قبل الغروب ،ويفعل في اليوم الثاني عشر مثل ذلك ،ثم هو مخير بين أن ينزل إلى مكة قبل غروب اليوم الثاني عشر وبين أن يبيت ويرمي في اليوم الثالث عشر ،ورمي الجمار واجب يجبر تركه بدم ،فإذا عاد وأراد العودة إلى بلاده طاف طواف الوداع وهذا الطواف واجب[1].

خروج المغاربة من مكة المكرمة نحو المدينة المنورة :

يكون خروج الحجاج المغاربة وغيرهم من أقطار العالم أيام التاسع عشر والعشرون والواحد والعشرون من ذي الحجة بعد طواف الوداع بأمره صلى الله عليه وسلم بذلك ،فعن ابن عباس رضي الله عنه قال :"...كان الناس ينصرفون في كل وجهة ،فقال رسول صلى الله عليه وسلم : "لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت "رواه مسلم ،وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"إذا قضى أحدكم حجة فليدخل الرحلة إلى أهله فإنه أعظم لأجره".

وبما أن الزيارة للمسجد النبوي ليست واجبة لا على النساء ولا على الرجال بل سنة للصلاة فيه فقط ،يجوز شد الرحال لذلك كزيارة سائر قبور المسلمين والأولياء الصالحين ،فبعض الرحالة المغاربة فضلوا زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم قبل عودتهم إلى ديارهم ،فإذا فرغ الحاج من طواف الوداع صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يدعى الله ما تيسر له ويتضرع[2].

---

[1]-السعيد بن علي بن وهف القطاني، المرجع السابق، ص ص 308، 312،314-316./ أبي سالم العياشي،المصدر السابق،ص ص 320، 325./ابن مليح السراج،المصدر السابق،ص ص 85- 88./الزياني،المصدر السابق،ص231. /الحضيكي،المصدر السابق،ص131.

[2]- ابن مليح السراج،المصدر السابق،ص 88.

أما الطريق من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة التي سلكها الرحالة المغاربة في زيارتهم للمدينة المنورة ،يمرون عبر مناطق متعددة ينزلون بها للراحة ثم يستمرون في المسيرة ،فأول منزل كانوا ينزلونه بعد الخروج من مكة المكرمة[1] من(مر الظهران)[2]،والتي هي أحد المرات الثلاثة في الحجاز: مر يصب في مر الظهران ،ومر في وادي ريغ ،وبعدها الارتحال والنزول بـ (عسفان) وهذه الأخيرة بلدة تاريخية عامرة ،تقع شمال مكة على ثمانين كيلا من المدينة المنورة يلتقي فيها الوديان :وادي فيدا ،و وادي الصقر فيها آبار عذبة قديمة منها بئر التفلة وقيل أن الرسول صلى الله عليه وسلم تفل فيها عندما مر بها في غزوة الفتح[3]، كما أنها تخرج منها ثلاث طرق إلى المدينة ، أحدها من(ثنية غزال) إلى (خليص) ومنها إلى مكة على (الصغو)فـ (ضجنان) ومائه غزير[4]، ينزل بها الحجاج للاستقاء[5] ثم الرحيل منها .

ومنها التوجه إلى خليص هو حصن بين مكة والمدينة [6]،ومنها المرور بـ (قديد) في الضحى الأعلى ووصفه العياشي بأن هواءه فيه بعض الرطوبة وفيه ماء قليل ،والسير منها وصولا إلى (رابغ) والنزول والمبيت بها ليلتين أو ثلاثة وحمل الماء خوفا من العطش منها ،كون الطريق التي تاتي بعد رابغ قليلة الماء[7]،ورابغ هذه بلدة حجازية ساحلية بين جدة وينبع على 155كيلا من جدة شمالا و195كيلا من ينبع جنوبا ،وهي إحدى الموانئ لرسو السفن ،كما أنها بلدة زراعية وبها واد يقطعه الحاج بين (البزواء) و(الجحفة)[8] ،ثم المسير مرورا بسبيل محس وصولا إلى بدر والنزول بها على طرف البركة التي هناك [9]،وبدر هي ماء مشهور بين مكة

---

[1]- عواطف بنت محمد يوسف نواب،المرجع السابق ،ص309.

[2]-مر الظهران:يأخذ مر الظهران أعلى مساقط المياه من منحدرات (الثراء الشرقية) حيث يقاسم (وج) و(عقيق الطائف) قرب المحرم، ويتكون من رافدين عظيمين هما نخلة الشامية وهو وادي طويل ،ونخلة اليمانية .ينظر:**عاتق بن غيث البلادي**، معالم مكة التاريخية والأثرية ،دار مكة للنشر ،ط1، 1980،د.م،ص258.

[3]-المرجع نفسه ،ص188.

[4]-**عاتق بن غيث البلادي** ،معجم معالم الحجاز ،دار مكة للنشر والتوزيع ،ط2 ،2010،د.م،ص1151.

[5]- ابن مليح السراج،المصدر السابق،ص90.

[6]-معجم البلدان،مج 2،ص387.

[7]-أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،ص365.

[8]- عاتق بن غيث البلادي،المصدر السابق،ص653.

[9]-أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،ص365.

والمدينة أسفل واد السفراء وهو على ساحل البحر[1]،ومنها يحمل الحجاج زاد ما يكفيهم منها حتى المدينة المنورة [2]،ومنه ما تلي من طرق مصر نزولا بـ (الصفراء) ثم الذهاب منها ، وبعد ساعة الوصول عند مفترق الطرق التي تأخذ إلى الينبع والتي تذهب إلى (الجديدة) ،وهي مدشر عامر بالفواكه الصيفية والخريفية ،ذات عيون جارية فتزود الحجاج من ثمارها وأخذوا من مياهها [3]ثم النزول بـ (النازية) وهي على الطريق الآخذ من مكة إلى المدينة قرب الصفراء وهي قريبة من المدينة [4]،وبها ينعطف الحجاج إلى مسجد الغزالة وهو من المساجد التي صلى بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو المسمى عند المؤرخين بمسجد بعرق الطيبة[5]،به محراب يتبرك الناس به ويصلون فيه وينصرفون[6] ثم يسير الحجاج صاعدين مع واد وصولا إلى (بئر الروحاء) والاستقاء منه ،ثم الارتحال والسير وصولا إلى قبور الشهداء وقد ذكر بعض الناس أن هذه القبور سميت بهذا الإثم لأن بهذا المكان قوما قتلوا هناك ظلما ولم يوضحوا سبب قتلهم ،وفي شرق الروحاء آثار تشير إلى أنه كان هناك في السابق قرية عامرة لم يبقى منها شيء، وهناك كانت الأعراب تنتظر الركاب لبيعهم الماء والعلف ،وكان ينتقل الركب من شرق الروحاء إلى بدر ومنها إلى جبل (مفرج) وهو جبل بالقرب من المدينة المنورة يتحرق الحجاج شوقا للصعود عليه لمشاهدة نخل المدينة المنورة وقبابها وأسوارها ،ومنه يوافون آبار (علي) أو (ذا الخليفة) وهي ثلاثة آبار مشيدة البناء كثيرة الماء العذب ،بها أدراج من أعلاها إلى أسفلها ،وبين ذي الخليفة والمدينة المنورة ما يقارب خمسة أميال وهذا الموضع منخفض وهي آخر منازل الحجاج قبل دخولهم إلى المدينة المنورة ،وهي أحد أول المنازل عند الخروج منها في طريق عودتهم إلى أوطانهم ،ومنهم من أشار إليها إلى إنها المنزل الثاني[7] ،وبعد سير الحجاج والعدول ذات اليمين مع سور المدينة يدخل منها

---

[1]- معجم البلدان،مج 1،ص357.

[2]- أبو عبد الله الطيب نور الله ،المصدر السابق ،ورقة100ظ.

[3]- ابن مليح السراج،المصدر السابق،ص91.

[4]- عاتق بن غيث البلادي،المصدر السابق،ص1712.

[5]- أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،ص366.

[6]- ابن مليح السراج،المصدر السابق،ص91.

[7]- عواطف بنت محمد يوسف نواب،المرجع السابق ،ص312.

الحجاج من باب البقيع [1]،ومنهم من يدخل إليها من باب القصري[2]،ومدة الإقامة بالمدينة المنورة ثلاثة أيام وأربع ليال ،وبعضهم يقيم يوما واحدا كالركب المصري الذي نزل بالمدينة في اليوم الذي نزل فيه الركب السجلماسي بالمدينة ،وكان العياشي متخوفا من إزعاج المصري لهم في الإقامة إذ الركب المصري لا يقيم بها إلا يوما واحدا.

وهذه الزيارة بالمدينة تكون مصحوبة بالنية والدعاء والإكثار من الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم طوال الطريق من مكة إلى المدينة.

وبعض الرحالة من أمثال أبي سالم العياشي راح يصف مشاهد المدينة من قبور ومساجد وأزقة ،وقد روى لنا أنه أول ما يلقاك من المشاهد إذا خرجت من باب المدينة المسمى البقيع قبة فيها قبر صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنهما على يسار الذاهب، وعند الميول إلى اليمين مع سور المدينة فهناك مسجد صغير قيل أنها قبة موقف الرسول صلى الله عليه وسلم .

وعلى غرار هذا المسجد قد ذكر لنا إحدى عشر مسجدا من بينها مسجد قباء الذي هو أول مسجد أسس على التقوى ،حيث يوجد في خارج المسجد من الناحية العربية رباط كبير منحوت و مبني بالحجارة ،وفيه بيوت كثيرة يسكنها الغرباء ،وقد وصف العياشي مكانته في الاسلام[3].

كما وصف المقابر الموجودة في المدينة المنورة من بينها تلك المقبرة التي وصفها قائلا:"...مقبرة المدينة ،لا مقبرة على وجه الأرض أشرف منها، فهي خارجة من الخلاف، الذي فيه تفضيل المدينة على مكة إذ لا توجد مقبرة على وجه الأرض مثلما دفن فيها من سادات هذه الأمة وأفاضلها من الصحابة لاسيما الخلفاء وأزاوج النبي صلى الله عليه وسلم."[4].

ومما سبق نستخلص أنه خلال الفترة الحديثة وتحديدا القرنين 16و17م وحتى الفترة التي سبقتها الفترة الوسيطة أي القرن 15م لم يطرأ على مسار الحاج المغاربي الآتي من مصر

---

[1]- أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،ص371.

[2]-للمدينة أربعة أبواب، وهي مسورة بسورين فكل واحد منهما مقابل للآخر ويليه باب البقيع ،وبداخل هذا الباب روضة مالك بن سنان حامل راية النبي صلى الله عليه وسلم ،ويليه الباب الشامي والباب المصري.ينظر: ابن مليح السراج،المصدر السابق،ص102.

[3]- أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،ص377

[4]-نفسه ،ص375.

سوءا في خط سيره أو في المحطات والقرى التي يتوقف بها، ولم يطرأ أي تغيير يذكر عليها إلا في بعض المناطق التي خربت بسبب الثورات أو هجمات الأعراب وأما ما عدا ذلك فظل الطريق كما هو وإن حظي في بعض الأزمنة بنوع من الإصلاح واستمر تدفق الحجيج خلاله على مر السنين ،كما نستخلص أن طريق الحج المصري في الفترة الحديثة عبر سيناء إلى مكة المكرمة لم يكن مقصورا على خدمة الحجاج المصريين في ذهابهم وإيابهم وعودتهم فقط ،وإنما كان يخدم حجاج العالم حيث كان يستخدمه حجاج المغرب العربي والأندلس وحجاج غرب إفريقيا، ويمكن الإشارة إلى أن الجزء الخاص بطريق الحج الآتي من مصر هذا ينقسم إلى عدة مراحل ابتدءا من منزل بركة الحج مرورا بصحراء سيناء فالدار الحمراء وعجرود والنابعة ،فمغارة شعيب ثم ينبع فرابغ وبدر ثم الظهر وصولا إلى مكة وذلك بمحاذاة البحر الأحمر ومن مكة زيارة المدينة المنورة.

الفصل الرابع.

تداعيات طرق الحج وصعوباتها

المبحث الأول:تداعيات الاقتصادية والاجتماعية.

المبحث الثاني:التداعيات الثقافية.

المبحث الثالث:مشاكل طرق الحج وتأمينها.

المبحث الأول :التداعيات الاقتصادية والاجتماعية:

تظهر أهمية رحلات المغاربة إلى الحجاز بتوضيح بصورة جلية أحوال المناطق في جميع جوانبها وخاصة الاقتصادية والاجتماعية ذهابا وإيابا ،حيث التمسوا أهم ما يحدث في هذه الفترة من خلال المعاملات التجارية وتبادل السلع بوجود الأسواق التي كانت بمثابة الوسط التجاري وواجهة لعرض مختلف المنتوجات وعرض أهم العادات والتقاليد التي كانت سائدة في مختلف المدن والقرى التي مروا عليها.

1-الجزائر:

كانت التجارة تنشط خلال فترة الحج عبر الطريق ذهابا وإيابا وذلك بعرض البضائع وتبادل السلع والبيع والشراء في أهم محطات نزول ركب الحج ،حيث أطلق عليها تجارة داخلية موسمية محلية[1].

فقد ذكر العياشي في رحلته عن بلاد توات التي اعتبرها مركزا اقتصاديا من خلال حجم المبادلات التي كانت بين توات وأهل تنبكتو والحجاج من خلال وضع سوق فيها مختلف السلع كالملابس والصوف وغيرها [2]،بحيث أبرز أيضا العياشي المناطق التي تشهد غلاء السلع مثل الأغواط ومقارنتها برخص البضائع في توات.

صنف العياشي سكان الجزائر إلى بدو وحضر، بحيث أن معظم سكان المناطق الصحراوية لهذه البلاد يعيشون على تربية المواشي والنخيل وغيرها[3] ،و عند مرور ابن مليح السراج بمنطقة توات قال :"..إنها بلدة طيبة كثيرة الزرع والثمار المختلفة بالحسن والنوع ،وبها كذلك سوق حافلة.." [4]،وهذا ما بين أن منطقة توات كانت مركزا اقتصاديا هاما للحجاج لقيامهم بتجارتهم وكذا الاستفادة من هذه المنطقة بتزويد الركب بكل ما يحتاجه.

---

[1]-عواطف بنت محمد يوسف النواب ،المرجع السابق،ص248.

[2]-أبي سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق،ص118.

[3]-مولاي بلحميسي ،المرجع السابق،ص27.

[4]-ابن مليح السراج ،المصدر السابق،ص29.

وتحدث الورتلاني عن الاقتصاد في الأماكن التي مر بها في طريقه إلى الحج فقد ذكر مدينة بسكرة وما بها من نخيل وزيتون وفواكه وخضر [1]،وأيضا مدينة قسنطينة التي أعجب بكثرة أسواقها ودكاكينها ،وكذا كثرة المزارع فيها كالقمح والتين بحيث تأتيها القوافل من كل النواحي[2].

كذلك ذكر أبو عبد الله أخبرنا عن قرية تاجموت التي تشتمل على بساتين وجنان فيها كل أنواع الثمرات وبعدها منطقة الأغواط التي تميزت بوجود أرضين واسعتين ومزارع كثيرة وفواكه متنوعة ،وقام بين أهلها وبين ركب الحجيج سوق كبيرة عرض فيها كل من الطرفين أنواع السلع والمنتوجات المغربية[3].

بيَن أيضا الناصر الدرعي في حديثه على عدة مدن مر بها وذكر مدينة بسكرة ولما فيها من آبار كثيرة عذبة ،وهذا ما جعلها غنية بالثروات، فهي تحتوي على جنات كما بها جبل مملوء بالملح وهذا ما زاد اقتصاد هذه المنطقة وذلك بتسويقه[4].

لقد بين لنا الرحالة المغاربة بعض عادات وتقاليد بعض المدن التي مروا بها ،فمثلا رصد لنا الحضيكي بعض منها فكانت منطقة عين ماضي ،بحيث تخرج النساء للتسوق والاختلاط بالرجال في التجارة ،ووصفهم أيضا بقلة الحياء ،وكانت النساء غير محجبات ويخرجن بزينتهن[5].

وكان أهل وراكلا إذا دخلوا إلى المسجد للصلاة تيمموا وكأنهم أعذار، وكان أهل هذه المنطقة أغلبهم طيبين ولا يؤذون أحدا[6]،أما في مدينة بسكرة فكانت عادات مجتمعها غير متنافية مع الأخلاق كقطع الميراث للنساء ،وإذا مات الرجل فإن إخوته يرثونه ،كما كانت العادات في الجاهلية[7].

---

[1]-الحسين الورتلاني ،المصدر السابق، مج1،ص87.

[2]-المصدر نفسه ،ص199.

[3]-أبوعبد الله ،المصدر السابق، ورقة 32 و.

[4]-أحمد بن محمد بن الناصر الدرعي ،المصدر السابق،ج1،ص141.

[5]-الحضيكي ،المصدر السابق، ص ص41- 42.

[6]-أبي سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق ،ص ص 112- 116.

[7]-الحسين الورتلاني ،المصدر السابق، مج1،ص ص 241- 243.

ومن عادات سكان الجزائر أيضا المنخرطين في الوظائف لا يجرؤون على السفر للحج إلا بإذن الداي[1]،وعند نزول المحلة بقصبة الكلاوي رأى ابن مليح السراج أن طباع سكانها سيئة كتميزهم بالنهب والقطع[2].

2-تونس:

عند مواصلة الركب طريقه وخصوصا عند دخوله لمدينة تونس فقد يصف الرحالة المشاهد والتفاصيل التي تحدث هناك من خلال المبادلات التجارية وثرواتهم التي تزخر بها هذه البلاد ،فعلى سبيل المثال ذكر العياشي منطقة نفزاوة التي هي عبارة عن قرى كبيرة تقارب ألف ،وهذه الأرض بها نخل كثيرة جدا ومياه عذبة[3].

وقد كان النشاط الاقتصادي في تونس ذات جودة عالية وزهد في أثمانها بحيث ذكر الورتلاني أنها كثيرة النخل والجنان ،وبها رخص خاصة في أسعار السمن واللحم ،أما التمر فكان ثمنه رخيصا جدا[4].

كذلك منطقة تحدث عنها الرحالة وهي حامة قابس التي بها من النخيل والمياه منافع عدة، وقابس بها نباتات وعيون جارية وثمار مختلفة الأنواع[5].

أما بالنسبة للصفات التي كانت سائدة في المجتمع التونسي في هذه الفترة فمعظمهم كانوا طيبي القلوب ،والبعض الآخر عكس ذلك ،وهذا ناتج عن غياب الوازع الديني في المنطقة.

ومن أهم المشاهد التي رآها الورتلاني واستنكرها، وجود حمام في حامة قابس، وخارجها نهر منه يجتمع فيه الرجال والنساء في غير سترة في وضح النهار ،بحيث قام الورتلاني بحمل الحجارة وصار يضرب بها كل من هؤلاء[6].

---

[1]-يوسف بتس ،المصدر السابق،ص21.

[2]-ابن مليح السراج ،المصدر السابق،ص26.

[3]-أبي سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق، ص ص 125- 126.

[4]-الحسين الورتلاني ،المصدر السابق، مج1،ص 261.

[5]-أبوعبد الله ،المصدر السابق، ورقة 34 و -35 ظ.

[6]-الورتلاني ،المصدر السابق، مج1،ص267.

يتصف أهل جربة بالطيبة والتواضع[1]،كما أشار العياشي إلى العادات الغريبة في هذه البلد ،فسكان نفزاوة يحرثون ببقرة واحدة والعجب عندما رأى إنسان يحرث بإنسان آخر يمسك أحدهما المحراث والآخر يجري[2].

3-طرابلس:

اختلف النشاط الاقتصادي في طرابلس وهذا ما أشار إليه الورتلاني وقال بأنها كثيرة الإنتاج وتنوعه وجودته ،وذكر أن بها أسواق حافلة كثيرة الثمر والخيرات ،وبها جنات جليلة وإبل أجود من غيرها ،و استعمالها يكون في كثير من الأعمال كالحراثة والتنقل[3].

وتعتبر فزان أيضا من أهم المحطات التي ينزل فيها الحجاج ويقضون فيها عدة أيام وذلك بوجود قصورها المختلفة ذات الجنان المملوءة بالخضر و الفواكه ،فمثلا قصر تمسه يعتبر أعلى قصور فزان ،فيها عيون كثيرة وخضر وفواكه ،وكذلك تمتاز فزان بوجود ماء يسمى "الكب" أو "لاكلي" يستخرج من النخيل ،أبيض شكله وحلو المذاق[4].

وكانت مدينة طرابلس ذات بناءات عالية ،وبها أسواق عظيمة وكذا حمامات التي يذهب إليها الحجاج للاستسقاء ،وهي كثيرة الثمار والخيرات من خلال البساتين الموجودة بها ،وكذلك وجود كومات من الملح لاقتصاد المنطقة ،وأكثر ما يميزهم وجود التمر بكثرة خاصة مدينة ودان.

وتمتاز هذه البلاد بوجود جبل نفوسة الذي به أشجار الزيتون وجنان كثيرة الفواكه بتنوعها ،ولديها إبل كثيرة ذات جودة عالية يستخدمونها في الحرث وحتى السقي ،و تعرف منتوجاتها في أغلب الأحيان ارتفاع في الأسعار مقارنة ببلاد المغرب[5]،ومن الجبال أيضا جبل النكازة ،حيث يقدم أهم منتوجاتها كجودة الزيت فيه ،بناءا على قول العياشي: "...وزيت هذا البلد من أطيب الزيوت مذاقا ...لا تكاد تميزه بينه وبين السمن... "[6]،وأيضا نوعية التمر

---

[1]-أبوعبد الله ،المصدر السابق، ورقة 41 و.

[2]-أبي سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق،ص126.

[3]-الحسين الورتلاني ،المصدر السابق، مج1،ص ص296، 299.

[4]-ابن مليح السراج ،المصدر السابق،ص35.

[5]-أحمد بن الناصر الدرعي ،المصدر السابق ،ج1،ص ص170- 171.

[6]-أبي سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق،ص180.

الرديء الموجد في (ساحل حامد)[1]،ويقول عنها أبو عبد الله :" نخل هذا الساحل رديء لا يدخر تمره ولا ييبس إلا عند إزالة النوى منه ،كما يمتاز هذا الساحل أيضا بكثرة زراعة الزيتون[2]،كانت تمر به بلدة (أبو كدية)و تمرها طيب المذاق[3].

وكانت التجارة في مسلاتة مقتصرة أسواقها على الشعير والدقيق والسمن والتمر والأغنام [4]،وكذا الحركة التجارية في بن غازي ،والتي تميزت في رخص أسعار السلع ،وبها كل ما يروق للمشتري من السمن والإبل والغنم ،وذلك لعدم خبرة أهلها بالبيع والشراء[5].

ومن عجائب هذه المدينة أن أهلها يركبون البقرة ويحملون البضائع عليها خاصة منطقة تدعى الجبل الآخر ،وكذا الأغنام بحيث يسير صاحبها وهي تتبعه ،وكذلك الصيد بالصقر [6]،وكان سكان طرابلس أهل خير وصلاح وعددهم كبير خاصة أهل الزاوية الغربية ذات الأحوال الصادقة [7]وأهل منطقة زوارات وجربة من الخوارج وكان مذهبهم فاسد[8].

4-مصر:

وحسب رحلة يوسف بتس فإن مصر كان لها اقتصاد وفير في بيع السمك بأنواعه ويوجد بكثرة في واد النيل والطيور كالإوز و البط البري ،وأهم بضائع ومنتجات المدينة تكمن في الأرز والكتان والسكر والجلود ،وخاصة جلود الأبقار والفواكه المتمثلة في التفاح والكرز والبطيخ والخيار،وكذلك الحليب ومشتقاته والزيتون... الخ ،وأسعار المواد المستهلكة بالقاهرة فهي رخيصة جدا ،فمثلا عشرين بيضة في هذه الفترة ببيار واحد .

ويستوردون الخشب ويبيعونها بالوزن[9] ،ومن المناطق أيضا السويس حيث فيها المرسى

---

[1]-المصدر نفسه ،ص282.

[2]-أبوعبد الله ،المصدر السابق، ورقة 45 و.

[3]-أبي سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق،ص194.

[4]-أبوعبد الله ،المصدر السابق، ورقة 46 ظ.

[5]-أبي سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق ،ص 201.

[6]-المصدر نفسه ،ص226.

[7]-الحسين الورتلاني ،المصدر السابق، مج 3،ص290.

[8]-عبد الهادي التازي ،المرجع السابق،ص116.

[9]-يوسف بتس ،المصدر السابق،ص30.

الذي يرسى فيه السفن من كل الأقطاب كمكة واليمن [1]،وتعتبر منطقة الطينة من أهم المدن التي تشتهر بالصيد البحري [2]،واشتهرت القاهرة بشراب البن (القهوة)،وكذلك روضة الحاج مسعود فيها من الخيرات والآبار والبساتين من كل الأنواع[3].

يتميز الينبع باحتوائه على مساحات واسعة من الخضروات والشعير والبطيخ والبذنجان وغيرها [4]،وبه سوق أسعارها مرتفعة غالية ،وقد وصف العياشي ميناء ينبع بأنه مرسى على البحر ترسوا فيه السفن المحملة بالأرزاق للمدينة المنورة [5]،وكذلك يمتاز الينبع بأنواع كثيرة من المأكولات لاحتوائه على مطاعم وأنواع السكر والحلويات ،وكان الفول والشعير يباع بأرخص سعر[6].

وقد وصف العياشي نهر النيل بأنه من أشهر الأنهار الأربعة الخارجة من الجنة وبه مزارع واسعة ،وأكثرها خصبة[7].

وكانت من عادة أهل مصر أنه عندما يستشعر الناس بالقحط والجوع اجتمعوا في نهر النيل ،وضنوا أن فرعون يتمرد عليهم فيقومون بالسجود له ،وهذا جهل من أهلها [8]وكذا الاحتفال الخاص بإعداد الكسوة يدل على أهمية هذا الحدث ،وقداسته بالنسبة للمجتمع المصري[9] ،وذكر أيضا الورتلاني عند تعرض الركب إلى المضايقة خاصة في بولاق حيث وصفهم بالشياطين والذئاب[10].

---

[1]-أبي سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق،ص274.

[2]-أبي سالم العياشي ،مج 2،المصدر السابق،ص470.

[3]-أبوعبد الله ،المصدر السابق، ورقة 56 و.

[4]-صادق باشا ،المصدر السابق ،ص 52.

[5]-أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،مج 1،ص140.

[6]-عواطف بنت محمد ،المرجع السابق،ص253.

[7]-أبوعبد الله ،المصدر السابق، ورقة 143و.

[8]-ابن مليح السراج ،المصدر السابق،ص42.

[9]-**عبد الرحمن عزي** ،التواصل القيمي في الرحلة الورتلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علماء التاريخ والأخبار ،مؤسسة الكيوز الحكمة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011م،ص42.

[10]-الحسين الورتلاني ،المصدر السابق، مج2،ص83.

وكان المجتمع المصري كثير الأصناف ففيهم التجار والفقهاء وحتى الفقراء[1] ،وأيضا عادات خروج النساء ليلة العيد إلى المقابر[2].

5-الحجاز:

كانت الحجاز تعرف تجارة كبيرة وأسواق مختلفة بفضل قوافل الحجاج التي تأتي من كل أقطاب الدول العربية خاصة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ،ومنى ،وقد بين الحضيكي بعض الملامح الاقتصادية كقضية العملة المحلية وتحويلها إلى ذهب ،وتبادل السلع والمقايضة في قوله:"ولك أن تصرف دراهمك بالذهب فهناك تبرا ومسكوكا "[3].

فقد تحدث الرحالة المغاربة عن تنوع البضائع وكثرتها في مكة المكرمة ومنى ،فهي تصب في هذه المناطق ومنهم تحمل إلى مختلف الأقطاب من خلال الحجاج ،إذ تتسع الأرزاق في الحجاز وخاصة عند وصول الركب الشامي[4].

وذكر الورتلاني النشاط الاقتصادي الذي تمتاز به بلاد الحجاز من خلال الأسواق التي بها مختلف أنواع المنتوجات من خضر وفواكه كسوق العقبة ونشاطها التجاري وتسويقها القوي من ثياب وأمتعة وأطعمة (الخبز والكعك)[5].

وسجل العياشي أيضا أهم الأنشطة التي تقوم بها مدن الحجاز كالمعاملة في البيع والشراء وكيف يتعاملون مع العملة المختلفة وكيفية تسميتها في قول العياشي: "يسمون الأربعين مائديا صرفا فيقولون عشرة أصرف وعشرين صرفا ،ويقولون للريال المسكوك من الفضة ريالا وقرشا... الخ"[6].

وكذلك وجود بندر المويلح الذي يستقطب التجار من كل أنحاء الدول العربية ،ويتميز هذا البندر بوجود الكروم بشكل كبير[7]، وبه آبار كثيرة وبساتين ونخل ،وبه حصن كبير يدخر

---

[1]-أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،مج 1،ص222.

[2]-المصدر نفسه،ص235.

[3]-الحضيكي،المصدر السابق،ص40.

[4]-عواطف بنت محمد ،المرجع السابق،ص250.

[5]الحسين الورتلاني ،المصدر السابق، مج2،ص ص326- 327.

[6]-أبي سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق،ص449.

[7]-أبوقاسم الزياني ،المصدر السابق،ص222.

فيه الميرة والفول [1]،وفي المدينة المنورة وجود محل متسع به بعض المحلات مزروعة تروى من الآبار التي بجانبها كآبار عثمان،وكذا بها سوق به دكاكين تحتوي على مختلف المنتوجات[2] ،وكلها اقتربت من العيون والآبار والحياة الزراعية في مختلف المناطق[3].

وفي مكة المكرمة تركزت الأسواق الدائمة حول المسجد الحرام ،وذلك بنظام محدد بوجود المحلات التي تعرض السلع ،ومن أشهر هذه الأسواق التي ذكرها المغاربة سوق "المسعى" ويختص هذا السوق ببيع المواد الغذائية من حبوب ولحم وتمر وسمن وفواكه وغيرها[4].

وكذلك أهم الأسواق هي سوق منى ،وكانت ملتقى العديد من الشعوب الإسلامية وخاصة في عيد الأضحى[5] ،وكان أكثر التجار يقولون أن من اشترى شيئا من منى وجعله في تجارته وجد بركته وظهرت له ثمرته[6].

وكانت البركة المنزلة لجميع الحجاج، هي أرض واسعة بها خيرات كثيرة يمر عليها ماء النيل العذب،وبها أسواق حافلة من طعام وشراب كالسمن والعسل والتمر والزبيب والتين والحليب ،وكذلك أنواع السلع والبضائع من الأثاث والحيوانات[7].

وإلى جانب التجارة عرفت مكة المكرمة اقتصادا،ككراء المنازل بأسعار مرتفعة[8]،كما وجد في المدينة المنورة أسواق لبيع الأزهار والريحان[9].

أما الأحوال الاجتماعية فعرفت مكة المكرمة والمدينة المنورة تنوعا في التركيبة السكانية وذلك لما لها من أهمية ومكانة دينية للمسلمين ،فقد كان منهم الأشراف ،"القريشيون ،الأغوات ،المجاورون "وغيرهم ،وكان هذا التنوع لأسباب ،إما للإقامة المجاورة ،أو لقصد التجارة والحج[10].

---

[1] -الحسين الورتلاني ،المصدر السابق، مج1،ص402.

[2] -أحمد صادق باشا ، المصدر السابق، ص ص 42، 43.

[3] -**أبوالقاسم سعد الله** ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج2،دار الغرب الإسلامي ،ط2،بيروت،1998م،ص397.

[4] -عواطف بنت محمد ،المرجع السابق ،ص ص 314- 315.

[5] -أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،مج 1،ص108.

[6] -أحمد بن ناصر الدرعي ،المصدر السابق،ج1،ص382.

[7] -أبوعبد الله ،المصدر السابق، ورقة 63 و.

[8] -أحمد بن ناصر الدرعي ،المصدر السابق،ج1،ص179.

[9] -أبي سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق،ص228.

[10] - عواطف بنت محمد ،المرجع السابق،ص 403.

ولقد وصف الرحالة المغاربة أخلاق سكان هذه المناطق فمنهم من مدحهم ،ومنهم من ذمهم ،و لقد كان العياشي من بين الذين ذمهم إذ قال عنهم :"يتكالبون سكانها على أخذ المال ولو كان من أغنى الأغنياء ولا يترفع عن ذلك إلا القلة"[1].

وقد مدح الحضيكي أهل مكة فقال عنهم:"هم أهل كرم و جود ،وجوههم مصفرة ضاحكة وألوانهم إلى الأدمة ناضرة ،ظهرت فيهم سيمة المجاورة" [2]،وهذا ما يدل على اختلاف الأجناس في هذه المناطق كما وصف القيسي أهل المدينة المنورة بحسن الشمائل[3].

ومن عادات أهل المدينة المنورة الإكثار من الثياب الثقيلة عندما يبرد الهواء صباحا ومساءا ،وذلك لعدم تعود أبدانهم على البرد وإصابتهم بالمرض ،وكذلك سجل العياشي أهل هذه المنطقة وقال: لهم ولعا وغراما شديدا بأكل اللحم ،وهذا يتسبب في ترطيب أجسامهم[4].

المبحث الثاني: التداعيات الثقافية:

[1]- أبي سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق،ص502.

[2]-الحضيكي ،المصدر السابق ،ص ص 40- 42.

[3]- ابن مليح السراج ،المصدر السابق،ص92.

[4]- عواطف بنت محمد ،المرجع السابق،ص443.

لا يوجد في تاريخ الإنسانية موقع جغرافي حج إليه ملايين البشر في كل جيل مثل الجزيرة العربية ،ولا يوجد موطن استقطب خمس الإنسانية في طموحاتها الفكرية وتطلعاتها الروحية مثل الحجاز ،الوطن الروحي الأول لكل مؤمن كما تعتبر منطلق الحضارات على الرافدين ونهري باردا والبحر المتوسط ،فلا بدع إذا أن تستكمل الجزيرة العربية مسارها الحضاري في تاريخ المستقبل لأنها هي المنبع الوحيد الذي يفيض ليغمر تواريخ الإنسانية في كل مكان ،وخاصة في المعمور الذي رفرفت عليه راية الإسلام[1].

وعليه سينصرف مبحثنا هذا جليا إن شاء الله تعالى إلى تتبع الطريق إلى الحجاز،والتي كانت تحفل بها مجالس العلم في لقاء المشايخ ببعضهم قصد تحقيق الأهداف التي من بينها :الإسهام في تاريخ الحياة العلمية والأدبية ،في غرب العالم عامة ،وفي الحجاز خاصة وذلك لكون أن هذه المجالس كانت تقع في الحجاز ،وبعضها في الطريق إلى الحجاز ،فمن المعروف أن أقلاما حررت آلاف الصفحات في تاريخ الحرمين الشريفين وفي غيرهما من الأقطار التي تقع في طريق الحج.

كما أنه من المعروف كذلك أن البحث في تراثنا كثيرا ما يجزئ العالم الإسلامي لاعتبارات أكاديمية أو غيرها، فينظر الباحث في كل قطر في حدود ما انتهى إليه التوزيع السياسي والجغرافي ،وقد فوت علينا هذه النظرة الشاملة التي تتخطي الحدود الجغرافية [2]،وعليه تكمن أهمية الرحلات في كونها تمثل مظهرا من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية فبثت الآفاق المعرفية ،واستقصت العادات البشرية ،وطرقت أبواب الطرق الدينية ،ورسمت حدود الخرائط الجغرافية لمختلف الأقطار الإسلامية ،ويغلب على أساليب كتب الرحلات و موضوعاتها أن يكون مبناها عرض خط السير وتسجيل معالم الطريق وأحداث المسير التي من بينها المجالس الأدبية والعلمية[3] ،مما يتيح لهم الفرصة للاحتكاك بعلماء تلك المناطق.

---

[1]-عبد العزيز بن عبد الله ،المرجع السابق ،ص45.

[2]-**عبد السلام بن المختار الشاقور**، المناظرات والانشادات في رحلات المغاربة الحجازية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة الملك السعدي المملكة المغربية، تيطوان،1462 ،ص94.

[3]-محمد إفرخاس ونادية صلاح محمد الصديق ،المرجع السابق ،ص06.

تميز القرنان الحادي والثاني عشر هجريين (17م و18م)بظهور حركة فكرية كثيفة عبر الطريق المؤدي إلى الحجاز من طرف العلماء والأدباء الذين شدوا الرحال إلى البقاع المقدسة،بحيث كانت الحجاز منطقة جامعة مفتوحة للمسلمين في تمازج الثقافات وانتقال الكتب والمؤلفات فيما بينهم[1].

1-الجزائر:

التقى أبو عبد الله بالفقيه والعالم الحاج عبد الرحمان الفجيجي وولده الفقيه إسماعيل،حيث تناول معهم رسائل متنوعة في الفنون العلمية وإعطائهم سؤال يتضمن بحث عن روايات في الطهارة في البول ،واستكشاف عدة من الكبائر في البخاري[2].

كما اجتمع الورتلاني عند وصوله إلى مدينة قسنطينة بعدد من الصلحاء كالسيد أحمد الزين وقاضي الجماعة عبد القادر الراشدي وغيرهم ،وتبادل العلم معهم[3]،وفي بسكرة أثنى بذكره أسرة أولاد سيدي ناجي بالخنقة ،ومن علمائها محمد بن طيب وأحمد بن ناصر[4].

وذكر العياشي أيضا الزوايا التي كانت موجودة ولها أهمية في دور العلم والفكر كالسيد عمر بن محمد الصالح الخزرجي الشامي[5] ،وقد تحدث أيضا عن المساجد وعن بنائها ،ولكن أشار إلى انعدام مستوى التعليم فيها ،وعند حضوره للأحد خطبهم ،فقد وجد بعض من التحريف والخطأ، وكذلك التقى ابن مليح السراج في بلاد توات ،وخاصة منطقة تدعى الدغامشة بسيدي علي بودربالة وقام بمجالسته.[6]

---

[1]-**سعيد الفاضلي**، في مقدمة تحقيق برحلة العياشي، الرحلة العياشية 1661- 1663،تح:سعيد الفاضلي ،سليمان القرشي ،دار السويدي للنشر والتوزيع، ابوظبي ،ط1، 2006،ص26.

-أبوعبد الله ،المصدر السابق، ورقة 32 و.[2]

-حسين الورتلاني ،المصدر السابق، مج2،ص364.[3]

-المصدر نفسه ،ص254.[4]

-أبي سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق ،ص ص 80- 81.[5]

-ابن مليح السراج ،المصدر السابق،ص48.[6]

2-تونس:

ذكر العياشي مجموعة من الزوايا الموجودة في تونس منها زاوية جمنة وزاوية عبد الله بن عبد العزيز[1] بن يحي بن عبد الرحمان بن جابر ،وزاوية أبي هلال السوداني [2]،وأشار الورتلاني أيضا إلى كثرة علماء تونس ومساجدها وذلك باهتمام السلاطين التونسيين بالعلم والعلماء ،ومن أهم العلماء الذين اجتمع بهم الشيخ ابن محجوبة وولده السيد محمد والشيخ عبد القادر الفاسي.

وتحدث أيضا عن مدينة قابس وعلى مدارسها ومساجدها بعهد حمودة باشا ،وكيفية بنائهم وإتقانهم لها ،وكان فيها طلبة لهم أجر كل واحد منهم عندهم ريالان [3]،وصادف أيضا أبو عبد الله مجموعة من الشيوخ والعلماء.

3-ليبيا:

تحدث أبو عبد الله عن الجامع الموجود في طرابلس والمسمى بجامع الترك، وإعجابه ببنائه، وحضر خطبة الجمعة التي قام بها الشيخ أبو محمد القادري ،وشاركه العالم والفقيه أبو عبد الله محمد بن علي ،كما وقعت بين هذا الأخير مجالسة بالتعرف على أنواع العلوم[4]،كما شارك مع الفقيه أبو محمد بن العزيز في أنواع المعقولات،الذي عجزوا عن تحصيل مباحثه الأصلية والفرعية والمقولات[5].

التقى العياشي في طرابلس بالشيخ المفتي محمد بن أحمد بن المساهل[6] ،وأيضا التقى

---

[1]-أبي سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق،ص126.

[2]-المصدر نفسه ،ص128.

[3]-الحسين الورتلاني ،المصدر السابق، مج1،ص ص269-270.

[4]-أبوعبد الله ،المصدر السابق، ورقة 43 و.

[5]-المصدر نفسه ، ورقة 43 ظ.

[6]-أحمد بن مساهل (1078هـ/1667م) ذا أخلاق حميدة ،شارك في العلوم وحسن اطلاعه على فروع المذهب والفتوى في بلده ،ثم لازم بيته ومسجده للتدريس .**محمد الأفراني** ،صفوة من انتشر في أخبار القرن الحادي عشر ،تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي،ط1، المغرب،2004م ،ص ص 171- 172.

بمحمد المكي [1]،وكان لهذا الشيخ مكتبة فاستعان منه العياشي المطول لسعد الدين والعضد على مختصر ابن الحاجب.

4-مصر:

كان العياشي أكثر اهتماما بالأخص عن العلماء والفقهاء خلال فترة تواجده بالقاهرة بحضوره لدروس علماء الأزهر ومجالسهم ،ومن العلماء الذين جالسهم وأخذ عنهم الشيخ بلقاعر ورئيس أهل التجويد الشيخ السلطان الذي انتفع بمعارفه[2].

كما جالس العياشي قاضي المالكية عمر الفكون[3] الذي أخذ عنه أخبار وحكايات عن المجتمع المصري وعاداته ،و تبادل أبيات الشعر بمناسبة عيد الفطر وحضر قراءات للشيخ الميموني ومع بعض الطلبة الأتراك في تفسير البيضاوي [4]،كما حضر العياشي قراءة الميموني لمختصر السعد ،وسمع منه حكايات كثيرة عن أخبار الشيخ الغنمي ،واستغل العياشي هذه الجلسة للاستفسار عن وقت انقطاع الخلافة العباسية من مصر[5].

وفي طريق العودة من الحج نزل الناصري بمصر وجالس الشيخ محمد بن عبد الباقي الإسكندراني المالكي والشيخ الإدريسي بن أحمد الصعادي الشافعي ،والشيخ عبد الكريم الهندي[6].

كان جامع الأزهر من بين الجوامع المشهورة في أقطاب العالم العربي إذ يمتاز بأنواع العلوم والتفسير ،وأحاديث بتعاطى العلم من أهل المغاربة والمشارقة ،ويحتوي على مكتبات تحوي على كتب مختلفة[7].

---

[1]-محمد مكي (ت 1099هـ/1687م) من بيت علم وتصوف ولي الخطابة والتدريس والإفتاء بمدينة طرابلس. القادري ،نشر المثاني، ج2،ص59.

-ابو سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق،ص229.[2]

[3]-عمر الفكرون:تونسي الأصل قاضي المالكية بالقاهرة ،له شرح مختصر للشيخ خليل في 42،مجلدات، أبي سالم العياشي ،مج1،ص 233.

[4]-تفسير البضاوي :هو كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير للقاضي الإمام ناصر الدين أبي السعيد عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي .المصدر نفسه ، ص246.

-المصدر نفسه ،ص ص 232، 246.[5]

-أحمد بن ناصر الدرعي،ج1 ،المصدر السابق،ص293.[6]

-ابن مليح السراج ، المصدر السابق،ص56.[7]

وقد ذكر الورتلاني اجتماعه مع علماء من الأزهر الشريف وتحدث على بعض المسائل الفقهية والمكروهات ،فمثلا التقى بمحمد الحفناوي [1]،ومن علماء مصر الذين ذكرهم العياشي أبو الحسن علي من نجباء طلبة الجامع الأزهر خاصة في فن القراءات[2].

5-الحجاز:

يعتبر الحجاز مركزا هاما للاستقطاب المسلمين على مدار التاريخ الإسلامي ،فكل مسلم يكون على أهبة الاستعداد لتحمل المشاق في سبيل الوصول إلى المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، ونتيجة لذلك ظهر بما يسمى بالرحلات الحجازية ،والتي هي وسيلة من وسائل التواصل بين المسلمين.

فعلى الرغم من بعد القطرين فإن ما بينهما من أرض فهي أرض إسلام ،ونجد الرحالة المغاربة يشيرون إلى علاقة الناس بالحجاز في المغرب خلال المدة التي ارتادوا فيها الحجاز[3].

كان علماء المغاربة يهتمون خلال تواجدهم بالمشرق بالاتصال بالفقهاء والأدباء والقراءة عليهم لتصحيح سمعهم ،ومن أبرز علماء المشرق المتواجدين بالمراكز العلمية كالأزهر والحرمين الشريفين الحسن بن محمد بن شرحبيل الدرعي ،كان متمكنا في العلوم العملية والنفسية ،وقرأ على الشيخ أبو العباس الهشتوكي واستفاد منه[4].

يمثل المسجد الحرام والمسجد النبوي الأماكن المثالية للتدريس ،وطلب العلم[5] وقد رأى الرحالة المغاربة السابقون في المكتبات العامة كتبا لعلماء مكة والمدينة ،كما وجدت كتبا ربما كتبها الرحالة المغاربة السابقون في مكة المكرمة، إضافة إلى العديد من الكتب من كل علم وفن سواء كانت هذه الكتب موجودة في مكتبات الوقف ،والتي وضعت في المسجد المكي[6].

---

[1] الحسين الورتلاني ،المصدر السابق، مج2،ص ص84-88.

[2] -أبي سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق،ص256.

[3] -عواطف بنت محمد ،المرجع السابق،ص26.

[4] -**عبد الحي الكتاني** ،فهرس الفهارس لإثبات معجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، بيروت: دار الغرب الإسلامي ،ط 2، 1972،ج2،ص229.

[5] -أبي سالم العياشي ، ،المصدر السابق،مج 1،ص152.

[6] -عواطف بنت محمد ، المرجع السابق،ص487.

لم توجد في معظم الرحلات المغاربية عن المدارس الموجودة في المدينة المنورة ومكة المكرمة إلا العياشي الذي أشار إلى مدرسة الداودية وتقع بالقرب من باب العمرة[1] ،ولكن اجتماع معظم العلماء والرحالة في مسجد عرفة أو مسجد جبق ،أما فيما يخص حلقات العلم كانت تعقد معظمها في المسجد الحرام[2].

ومن أهم كتب الحديث التي اعتنى بها الناصر الدرعي مسند الإمام أحمد بن خنبل[3].

[1]-أبي سالم العياشي ،مج 1،المصدر السابق،ص158.

[2]-عواطف بنت محمد ،المرجع السابق،ص495.

[3]-أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق،ج1 ،ص208.

المبحث الثالث:مشاكل طرق الحج و تأمينها.

جابت بلدان المغرب العربي خلال العهد العثماني مناطق عديدة وباتجاهات مختلفة ومنها إلى مكة والمدينة المنورة بقصد الحج والعمرة ،أو بعبارة أخرى الرحلة الدينية والدنيوية والتي تنطلق كلها من بلاد المغرب بقيادة أشراف المغاربة [1]،ومن هنا نتساءل هل كانت هذه القوافل باختلاف أنواعها في مأمن في طريقها إلى الحج ؟[2].

لقد كان الحج منذ زمن بعيد رحلة صعبة محفوفة بالمخاطر العظيمات مليئة بالعقبات حيث من دخل الحجاز فهو في حكم المفقود ومن خرج منه فهو مولود ،ويكفي تصويرا لتلك المخاطر أن عددا من العلماء المسلمين أفتى بسقوط الحج عن المسلمين الذين يمرون بتلك البوادي المهلكة والأعراب المفسدة ،حيث الطريق غير مأمونة والمسالك فيه أقرب إلى الهلاك منه إلى سلامة الوصول [3].

كما سطر الكثير من العلماء الذين حجوا ما وجدوه في تلك المسالك ووصفوا ما وقفوا عليه من الصعوبات والمهالك منها الأمنية والسياسية والطبيعية والصحية [4].

1-المشاكل الأمنية (ظاهرة اللصوصية):

أ-بين المغرب والجزائر :

إذا ما تتبعنا ظاهرة اللصوصية في الطريق بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني فهي لم تكن بالجديدة عليها، فبين المغرب و الجزائر تعود إلى القرن السادس عشر (16م) حسبما أكده لنا حسن الوزان في وصفه للطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان قائلا:قلما ينجو التجار من شرهم لا سيما في فصل الشتاء[5].

وحتى ركب الحج لم يسلم من ذلك رغم القدسية والهيبة التي يحملها ،فقد ورد في رحلة أبي سالم العياشي بأن اللصوصية كانت تنشر الرعب في أواسط الحجاج ،إذ حصل للركب في

---

[1]-**محمد العربي الزبيري** ،التجارة الخارجية للشرق الجزائري ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1972 ، ،ص 183.

-**حفيان رشيد** ،أمن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني ،مجلة كان ، ع 27،مارس 2015، ص18.[2]

-محمد بن حسن موسى الشريف ،المرجع السابق، مج 1،ص6.[3]

-محمد علي فهيم البيومي ،المرجع السابق ،ص 37.[4]

-حسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2، ص 11.[5]

طريق الذهاب روعة أخبروه أن قوم من العرب يردون الإغارة فشمر الناس للقتال وأخرجوا عدتهم للحرب وهيئوا آلة حربهم فلم يلقوا كيدا وتبين بعد ذلك أن الخبر لا أصل له[1].

وكما وردفي رحلة أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي الحجازية فيما رأى أحمد السوسي في وصفه لمحطة فجيج كمحطة من محطات الطريق من المغرب إلى الجزائر كثيرا ما كانوا يتعرضون للصوصية فيها ،قائلا : "وهذه أول بلاد اللصوص لما صلينا العشاء تداعت علينا اللصوص تداعي الذئاب وتخطف اختطاف الثعالب فلم نزل معهم بالبارود والصياح حتى الصباح"[2]

ب–بين الجزائر وتونس :

وبين الجزائر وتونس لم تنجو الركاب العابرة بينها من قطاع الطرق والملثمين أو القبائل ومنها قبيلة ورغمة البربرية التونسية العربية ،حيث أن هذه القبيلة منهمكة في القيام بأعمال قطع الطريق وهم من رعية باشا تونس[3] ،وعلى غرار هذه المحطة هناك محطة أخرى اشتهرت باللصوصية في البلاد التونسية منها توزر التي ورد ذكرها في العديد من نصوص الرحلات ،حيث وصفها الدرعي بأنها أكثر بلاد الله سرقة وخطفا حيث يقول :"...فإنهم يسرقون بالليل ويخطفون بالنهار ،قلَ من سلم منهم من الحجاج.."[4]،ويشير الورتلاني بدوره في رحلته إلى اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا يعترضون الحجاج في طريقهم ،وتحديدا في منطقة نفزاوة بوادي ريغ خارج ولاية تونس :" أنه جماعة من المسلحين وأفراد العصابات قد هجموا علينا ونهبوا فرشا ....وقد داروا بنا كالحلقة وكثر الرصاص بأن ينزل علينا كالمطر....."، ويضيف إلى ذلك مدينة قابس ويقول عنها توزر وقابس محل الخطفة بل توزر أعظم فكل من غفل عن حاجة في يده إلا وخطفوها ويحذر من الغفلة فيهما[5].

---

[1]–أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،مج1 ،ص 112.

[2]–حفيان رشيد ، المرجع السابق،ص19.

[3]–ابن الدين الأغواطي ،المصدر السابق، ص 102.

[4]–أحمد بن ناصر الدرعي ،المصدر السابق،ج1،ص162.

[5]–حسين الورتلاني ،المصدر السابق، مج 1ص154.

ج- طربلس :

أما طربلس وسائر عمالتها يذكر العياشي أنها أكثر البلاد سرقة وأعرابها أعلم الناس باستعمال الحيل في ذلك مع إقدام وهجوم بالليل ،حيث يبيت الحجاج فيها طوال ليلتهم في ضجيج وعجيج[1].

كما أن طريق السروال هذا المتواجد في صحراء طرابلس نجده عند لسان أغلب الرحالة ويذكرون مساوئه أكثر من محاسنه ،حيث يقولون أنه طريق خطير وموحش رغم أنه طريق مختصر إلا أنه لا يمكن لأي راكب أن يسلكها ،إلا إذا كان ركبا مثل ركب الأمير أو الأميرة الذي يتوفر على جيش قوي مدجج بالسلاح [2]،وفي نفس البلاد المذكورة يروي لنا ابن مليح السراج في رحلته المسماة "أنيس الساري و السارب"، وفي الكثير من المحطات ما عاناه من ظاهرة النهب والقطع ويقول[3]،أحد الحجيج عنها :"..احذروا من السرقة بالليل من هناك إلى برقة ولا تأمنوا في الإخلاء ولا في العمارة و تناوبوا على الحراسة ولا يغرنكم أن تتوالى عليكم ذوات ليالي أمن فإن الشر والعياذ بالله بغتة ،ومن الأمثال القديمة من مأمنه يؤتي الحذر "[4].

فالطريق البري كان محفوف بالمخاطر ،إذ كان الحجاج يتعرضون لغارات الأعراب فيستعدون للقتال تارة ويفكرون في تغيير الطريق والمشي ليلا تارة أخرى[5].

أما أبي سالم العياش فيقول :"..والليلة التي خرجنا في صبيحتها من مدينة طرابلس، تمكن الحجيج الذين يبيتون في الركب ويحرسون الإبل والأمتعة من سارق دخل عليهم ليلا في الخباء فأوثقوه إلى الصباح فجاء أصحاب الأمير فعرفوه وأخذوه وكان مشهورا بالتلصص والسرقة ،طالما رامو القبض عليه فلم يتمكنوا منه ،إلى أن أخذه الله على أيدي الحجاج فأمر الأمير بخنقه على باب المدينة وتركه هناك نكالا لغيره..."[6].

---

[1]-أبي سالم العياشي ،مج 1،ص112.

[2]-عبد الهادي التازي ،المصدر السابق ،ص 61.

[3]-ابن مليح السراج ،المصدر السابق ،ص 26.

[4]-عبد الله حمادي الادريسي ،المرجع السابق، ص 82.

[5]-مولاي بلحميسي ،المرجع السابق،ص25.

[6]-أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،مج1 ،ص177.

د– مصر :

أما مصر كانت هي الأخرى أكثر المناطق المعروفة بهذه الظاهرة ،حيث يتأسف جوزيف بتس على المصاعب التي واجهها الحجاج في النيل من السرقة فاللصوص يكثرون في هذا الوقت لعلمهم أن الحجيج يحتفظون معهم ببعض الأموال ،ويقول في ذلك:"...لا يخلوا نهر النيل من اللصوص الذين ينهبون القوارب وهم يكثرون في هذا الوقت من العام لكثرة الحجاج الذين يتخذون طريقهم مبحرين في النيل من رشيد إلى القاهرة، ويعلم اللصوص أن الحجيج معهم مبالغ مالية وقد اعترانا الخوف من مهاجمتهم لنا وعندما أطلقنا النار من أسلحتهم ولوا هاربين..."[1].

هـ- الحجاز:

رغم قدسية مكة المكرمة وما فيها من مشاعر مقدسة وبيت الله الحرام والمدينة المنورة التي ينام فيها أشرف الخلق على وجه الأرض في قبره صلى الله عليه وسلم ،إلا أن حرمته لم تمنعه من اختلال الأمن فيها على مر الأزمنة ،ونجد في هذا الشأن العديد من الرحالة من تعرضوا إلى السرقة خاصة أيام موسم الحج ، والحجاز عامة عانى من الإضطربات الأمنية، التي ذهب ضحيتها الحجاج أثناء سيرهم في درب الحجاز، فقد كانت مخاطرة بالنفس لمن يخرج بمفرده خارج مكة لأهم سوف يتعرضون لقطع الطرق.

والرحلة إلى المدينة المنورة أشد خطرا ومغامرة للقوافل، وبالرغم من تجمعات القوافل وما يرافقها من الحرس الخاص الحكومي فكثير ما يعترضها رجال القبائل ويفرضون عليها الإتاوة التي ترضيهم وإلا نهبوا القافلة[2].

كما تعرض العياشي لحالة الأمن في مكة المكرمة ومعاناته فيها حيث تكلم عن اللصوص وهجومهم على ركب الحجاج الذي كان مرافقا لهم بالليل في موضع رحلهم في الحجون.

---

[1]-جوزيف يوسف بتس ،المصدر السابق ،ص ص14،29.

[2]-محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف ،المرجع السابق ،ص ص 1364- 1365.

أما عن أماكن وجود اللصوص، ففي العادة يتمركزون عند أبواب مكة المكرمة حيث أشار اليوسي أن اللصوص تمركزوا بالقرب من باب الشبيكة وكان لا يسلم أحد من التعرض للسرقة بالرغم من شدة الحيطة والحذر[1].

فبالرغم من تفاقم مشكل اللصوصية وما يترتب عنه من قتل وسلب الأموال إلا أن الحجاج حاولوا بكل الطرق تفادي هذا المشكل إما بتغير الطريق أو الحراسة ليلا ودفع خفارة ، أو استعمال الطريق البحري على كل من أرغمته الحاجة إلى السفر .

2-المشاكل طبيعية :

الصعوبات التي كانت تقف أمام الحجاج للوصول لمكة المكرمة أنذاك ليست فقط الخوف وانعدام الأمن ،بل هناك المسالك والطرق ووسائل النقل[2]،و فيما يواجه الحجاج مخاطر الجوع والعطش في سفرهم ويتعرضون لبعض الكوارث الطبيعية ،ومن ذلك العواصف والبرد القارص والأمطار الغزيرة والسيول الجارفة والرياح وفي هذا السياق نجد الكثير من الرحالة المغاربة يسردوا لنا معاناتهم وهم في طريقهم إلى مكة ، وفي مقدمتهم أبي سالم العياشي وهو يشير إلى البرد الشديد وصعوبة التدفئة اللذان لقياه بقوله: "...وسرنا يومنا وصادفنا فيه الريح الباردة كأنه من نفس جهنم وارد،قد جمع إلى برده عصفا لا أكاد أستطيع له وصفا ولم نبت إلى المغرب ولم يجد الناس وقودا إلا أخضر صلاعها في بعض تلاعها....".

والملاحظ في جل الرحلات الحجية ورودها كلمة وعرة ،التي تدل على الصعوبة في المسالك منها الجبال والعقبات والأراضي الحرشة والوديان ومن أمثلة تلك العبارات : "... الأرض حرشة وعرة "، "يغنى عن وصفها مالها من شهرة ، لا خصبة فيها ولا ماء "،" وقفنا في عقبة صعبة الهبوط جدا وكادت الأكباد أن يعتريها الانصداع""وقطعنا رمالا كثيرة يحار النظر في كثرتها وصعوبتها وقاسينا منها شدة ولقيت الإبل أضعاف ما لقينا "[3].

---

[1]-عواطف بنت محمد يوسف نواب ، المرجع السابق ،ص ص212 -213.

[2]-محمد بن حسن موسى الشريف ، المرجع السابق ،ص 358.

[3]-أبي سالم العياشي ، المصدر السابق ،مج 1،ص76.

وهذه العبارات المتداولة بين كتب الرحالة لدليل واضح على حقيقة الميدان الذي كان يسير عليه الحجاج مشيا على الأقدام تارة وعلى الإبل تارة أخرى، حيث لم تكن بالأمر الهين ،حيث الحر والعطش وندرة الماء .

ومن الصعوبات أيضا التي كانت تقف أمام الحجاج نقص الماء، حيث كان يشكل قلقا بالنسبة للرحالة طوال طريقهم ،بحيث نجدهم مهتمين بتتبع الأماكن التي توجد بها الآبار والعيون والأنهار ، وهذا ما نجده جليا فيما رواه الورتلاني حول ندرة الماء وما يصحبه من الحرارة الشديدة ،بقوله :"...فدخلنا التيه الذي تاه فيه بنو إسرائيل ، ما أوحشه من موقع وأصعبه من كثرة حره وشدة أمره ، مع انعدام الماء فيه وقد كثر فيه الهلاك من العطش زمن الحر... "[1].

وفي نفس السياق نجد ابن مليح السراج يصف معاناته مع الركب الذي كان فيه ،من افتقارهم الماء ببلاد سيوة ويقول :"...دخلنا الأرض سبخا يقال لها بحر ثمود ، تغوص فيها أخفاف الإبل ،كثيرة المياه المرة كماء البحر نفسه ،تاه فيه الدليل وظل عن المورد الذي يقال له (أبو الغرانق) كان المقصد إليه ولم يبقي للناس ماء واشتد العطش ، وهبت ريح حارة فبقى من الركب ثلاثة عشرة رجلا وهلكت كلها وأيقن الناس بالموت ،فحط الركب مكانه عشية النهار فركب من أهل فزان ووجلة خمسة نفر مع الدليل وانطلقوا في برية يطلبون الماء وتبعهم نحو مئة رحالة بقربها فتاهوا في الأرض إلى ثلث الليل فلقوا أثر آبار تعرف بشبيكة فحفروها وأخرجوا ماءها... "[2].

أما العياشي وصف لنا هذه الظاهرة في منطقة الثنية " فلم نصل إلى الأرض حتى اشتد الحر وقل الماء ومات الإبل وجعل الناس يعصرون ما في بطونهم الإبل من الفرث ويشربونه ..."[3].

وفي نفس السياق حكي لنا ما عاناه الركب في منطقة واد النار حيث قال :" ...شربنا والحر لا يزيد إلا شدة فأشفق الناس من ذلك لقلة الماء ،وهذا الوادي قد طابق الاسم فيه المسمى ،فلم تحلو سنة من شدة تقع للحجاج فيه بحر أو عطش أو محاربين ، وهو وادي كبير

---

[1]-الحسين الورتلاني ،المصدر السابق، مج 1،ص 70.

[2]-ابن مليح السراج ،المصدر السابق،ص26.

[3]-أبي سالم العياشي ،المصدر السابق، مج 1،ص162.

ضيق بين جبلين لاسعة فيه من (النبط)إلا إلى (حصيرة) ، فإذا متع النهار واشتد الحر حجبت الجبال عنه الهواء البحري فينعكس غربا أو شرقا صاعدا من الوادي منهبطا فيصير سموما محرقا ولا ماء هناك من النبط إلى الينبوع ، فربما أتلف الناس فيه عطش مهلك بالإضافة إلى قبح الهواء مع حرارة الشديدة فتموت آلاف من الخلق في أسرع مدة ويأخذ الرجل الماء فلا يضعه من يده حتى يموت... "[1]

ومما زاد الطينة بلة ،كلما نوى الحجاج أن يحفروا الآبار لاستخراج الماء منه وكان الماء يخرج غير صافي مما يدعو إلى استخدام بعض القماش لتنقيته[2].

والمشاكل الطبيعية لا تقتصر على الطريق البري فقط، بل الطريق البحري أيضا وما تصحبه من مشاكل ولا ربما فاقت المشاكل البر بكثير ،حيث راح البعض يصف أهوال البحر و الخوف الشديد منه في أبيات شعرية :

ومن العجائب أني *** في لج البحر صرت راكبا
وأموت من الضمأ ولـ *** كن عادة البحر العجائب

وغيره قال :

كم في البحر المحيط أوظما *** بغلته والماء جري وراكد
فلا تحبس كل المياه شريعة *** يبل الصدا منها وتولى المزاود.[3]

وعن البحر وأهواله يحدثنا العياشي أنه الشيخ سيدي بن مساهل في الرحلة التي سبقت رحلته أخبره أنهم سمعوا صوتا هائلا في البحر كصوت المدافع الكبار من قرب الضحى إلى الليل قال:"...وظننته سفن المسلمين تلاقت مع سفن النصارى ، وكما سمعنا ذلك صوت سمعه أهل هذا الساحل إلى أهل مسراتة وسمعه حتى أهل (فزارة) والإسكندرية وسمعه من الناحية الغربية أهل جربة وسوسة وتونس وكل يضن قريب منه، وبعد شهر أو شهرين قدمت مراكب من برا ،وأخبروا أن ذلك الصوت الأمر هائل حيث أن جزيرة من جزر الترك خرجت في بعض نواحها

[1]-المصدر نفسه،ص296.
[2]-محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف،مج1،ص1359.
[3]-محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي ،المصدر السابق ،ص 131.

حجارة تطلع من البحر ، حتى إذا ارتفعت من الماء وعلت في الهواء تصدعت يخرج منها نار ويسمع لها ذلك الصوت ....."[1].

وحتى جوزيف بتس يلخص صعوبة الركوب في البحر قائلا ، والإبحار في البحر الأحمر غيرا من الليل وذلك بسبب كثرة الصخور التي لا نكاد ننهي من رؤية بعضها حتى نرى بعضها الآخر ولم ألاحظ أن الخرائط تعطي معلومات عنها وأحيانا تكون قريبة من السطح حتى يمكنك إلقاء حصاة عليها وبعض هذه الصخور أضخم من غيرها وبعضها يبدو كجزيرة ،وبعضها يبرز بالفعل فوق سطح الماء بقليل ،لذا فقد كنا نرسو كل مساء باتجاه الريح عند صخرة أو أخرى[2].

3 –المشاكل الصحية:

لقد كان الحج قديما رغم قدسيته مأساة إنسانية لمن كتب لهم أداء تلك الفريضة،فكثيرا ما تهددهم الأوبئة الجائحة والأمراض السارية[3]، على غرار مشكل اللصوصية ومشكل الماء والمشاكل السياسية وغيرها إلا أن أخطر الوباء فاق ذلك بكثير،إذ فتك بحياة العديد منهم وهو داء الطاعون الذي عجز الأطباء في تلك الفترة في التغلب عليه حتى قيل أنه قد قضي على ستة آلاف خلال أسبوعين ،ويقول العياشي أنه قد أخبره أحد أصحابه أن الوباء وقع بمصر مرة فكثر الموت حتى كان يدفن في اليوم الواحد أربعون ألف ،فهم الباشا وأتباعه بالخروج من مصر والفرار لما شاهدوه من كثرة الموت[4].

وقد روى لنا يوسف بتس في رحلته الحجية عن الطاعون وأبدي تخوفه من هذا الوباء الذي اجتاح الإسكندرية حيث يقول: "...لقد كان الطاعون مستقرا في الإسكندرية في ذلك الوقت وقد صعد إلى ظهر السفينة بعض الأشخاص المصابين به، فسرى الطاعون بينهم وقد شفي البعض ممن أصيبوا به وألقينا في البحر عشرين جثة ممن ماتوا بسببه، حقيقة فقد اعتراني الرعب ورحت آمل أن أسترد عافيتي في الجزائر معتقدا أني لو عشت حتى أصل إلى الجزائر فقد أهرب من الإصابة به ،لكن بمجرد وصولنا لسواحل الجزائر حاصرني الطاعون لكنني نجوت من الموت

---

[1]-أبي سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج 1،ص141.

[2]-جوزيف بيتس ،المصدر السابق ،ص 41.

[3]-محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف ،المرجع السابق،ص1363.

[4]-أبي سالم العياشي ،المصدر السابق، مج 1،ص 27.

بفضل عناية الله ولقد ظهر الطاعون تحت ذراعي وظهرت البثور المصاحبة له على ساقي وبعد ذلك تورمت قدماي جد ....."[1]

وقد اهتم بخطورته كل من المؤرخين والرحالين و تناقلوا أخباره في مؤلفاتهم و حولياتهم وكان الرحالون أشهر الناس إحساسا بهذه الحالات، إذ كان الحجاج يصطدمون عند الوصول لمكان عامر باستنكار أهله خوفا من الوباء[2].

حتى أبي سالم العياشي اهتم بتدوين انتشار هذا الداء في طيات صفحات رحلته،وفي عدة مناطق من طريق الحج ونقل لنا أخباره عند رجوعه من الحجاز كيف وجد الوباء قد قتل سبعين ألف نفس في بسكرة ووصف حالة سكان البلاد عزمهم على مغادرتها إذ قال:"وقد دخلنا المدينة فوجدنا أكثر حومتها خاليا ومساجده داثرة "[3]

وكذلك الدرعي أخبرنا عن هذا الوباء الذي هو متفشي في مصر، وقال عنها أنها قلما تخلو من مرض وموت وفي رجعته من الحرمين الشريفين عام سبعة وتسعين وجد لها وباء متفشيا ،مات به جملة من أصحابه[4].

وهذا الطاعون الفتاك قد اجتاح العديد من البلدان العربية في الفترة الحديثة وخاصة المغرب العربي ،حيث أخطار العدوى ظلت كامنة منذ عام 1782م،وكان الوباء متفشيا في الإسكندرية على أبواب البحر الأبيض المتوسط وفي السنة نقله الحجاج والتجار إلى تونس، ولم ينقطع أثره منها إلا بعد زهاء 17 شهرا ،وبعد أن فتك بثلث السكان حسب البعض وبالسدس حسب البعض الآخر ،ثم انتقلت العدوى من تونس إلي الجزائر على الرغم من الاحتياطات التي اتخذها داي قسنطينة ،وبقيت سارية بها إلى سنة 1787م،وقدر ضحاياها ب16121ضحية في نفس السنة التي أصيبت تونس والجزائر وكاد المغرب أن يصاب بدوره

---

[1]-جوزيف بيتس ،المصدر السابق ،ص ص 75- 76.

[2]-مولاي بلحميسي ،المرجع السابق،ص26.

[3]- أبي سالم العياشي ،المصدر السابق،مج 2،ص540.

[4]-أحمد بن ناصر الدرعي ،المصدر السابق،مج1،ص263.

بعد وصول سفينة محملة إلى طنجة وعلى متنها الحجاج المغاربة ،ومن المشرق تسرب الطاعون إلى الجزائر سنة 1792م[1].

4-المشاكل السياسية:

إنه لمن العادة أن يصطدم الحجاج المغاربة في طريقهم بالطوارئ السياسية التي تقع بالبلدان التي يمرون بها، ويواجهون مالا يتوقعونه من مشاكل كبيرة قبل أن ينالوا مقصدهم الشريف .

ومنها ما حدث للركب الحجازي المغربي وتحديدا في السنة التي وقعت فيها مصر فريسة الحملة الفرنسية سنة 1213هـ ،وقد تحدث عن هذه الحادثة الجبراني : في أحداث ذي القعدة سنة1213هـ وفيه حضر مغاربة الحجاج إلى بر الجيزة[2]بضواحي القاهرة وتحدث الناس عنه وكثر لغطهم ،ونقول بأنهم عشرون ألف حضروا لينقذوا مصر من الفرنسيين ،فأرسل إليهم الفرنسيين للكشف عن أمرهم ،فوجدوا طائفة من قرى فاس مثل الفلاحين ،فأذنوا لهم بدخول أنفار منهم إلى القاهرة لقضاء أشغالهم ، فحضر شخص منهم إلى الفرنسيين ووشي إليهم أنهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم وأنهم اشتروا الخيل والسلاح وقصدهم إثارة الفتنة فأرسل الفرنسيون إليهم جماعة ينضرون في أمرهم فذهبوا إليهم وتكلموا معهم ومع كبيرهم الذين نقل عنهم فقالوا:"إنما جئنا بقصد الحج لا غيره ...."ثم رجعوا وفي صحبتهم كبير المغاربة فعقدوا معه جلسة و أحضروا الرجل المصري الذي وشي بهم ،فتذكره المغربي وفضح للفرنسيين أمره حيث قال لهم أن هذا المصري حرامي، أمسكناه وضربناه،فحمله الحقد على ذلك .....ثم اتفقوا معه أن يبقي هو رهينة عنده ومعه السلاح حتى يعبر الحجاج المغاربة إلى منطقة (العادلية) مما جعل الفرنسيين يضطرون إلى تأجيل خروجهم إلى اليوم التالي[3].

ومشاق الحجاج تتواصل مع الحكام ليس الفرنسيين فقط وإنما مع حكام العرب وظلمهم ،و في هذا السياق يروي لنا الورتلاني ما سمعه من الشيخ الحفناوي عن مصر وأحوالها

---

[1]-**محمد الأمين البزاز** ،تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر (18م و19م)،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المغرب ،1992، ،ص87.

-الجيزة :هي محافظة تقع غرب الجيزة تقع غرب القاهرة حاليا.[2]

[3]-**عبد الرحمان بن حسن الجبرتي** ،عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،تح: عبد الرحمان عبد الرحيم ،ج3،مطبعة دار الكتب المصرية ،1998،القاهرة ،ص93.

حيث قال:"....دمرها الله وغيرها بسب الفسوق والعصيان على أنها الآن فكثر فيها الظلم ،حيث أنه وصل كل جنس من الأجناس الأميين حتى بلغ ظلم الحجاج المغربي والعلماء ،والطلبة والفقراء ،و الأشياخ والصناع والتجار المجاورين وسائر الناس قاطبة ،ولذلك ابتلاهم الله بالمشقاق والفتنة فكانت مصر لمن غلب .....فإذا علمت هذا أن والي بولاق قد تعدى على ركبنا أهلكه الله وأخلي منه الأرض .....يمسك جماعة بعد جماعة من الحجاج ويلقهم في السجن فإنما أخذ منهم شيئا من الدراهم سرح لهم من غير أن يدعوهم أحد للشريعة ،عدو نفسه إلا أنه لا يقدر أن يربط من الركب وغيره من الولاة وإنما يربطهم من الأسواق "[1].

5-تأمينات الطريق :

كان يقال قديما :السفر ثلاث غيبات :العزم ثم أخذ الأهبة ثم المسير ،والعزم أصعبها.[2]

والهشتوكي في رحلته ينقل عن ابن خلدون وهو ينبه الحجاج لحقيقة يجب أن تضل أمام أعينهم وهي التضرع إلى الله والتحلي بالصبر حيث يقول : "وأعلم أن كل ما تحتاج إليه من تلك الطريق فأنت تحتاج إلى أضعاف أضعافه من الصبر وجعله سندا فإنه كنز لا يفنى

والحضيكي يخبرنا في رحلته أنه قال أحد العلماء :"يستحب للحجاج أن يتجر في طريقه ،وعليك أيها الأخ بمكارم الأخلاق ،وحسن المعاشرة والصبر ،وتحمل الأذى في طريقك مع الحجاج والخدام والجمالين ،فإن هذا الطريق طويل ينال فيه المشقة القوى والضعيف : يحتاج إلى زيادة الصبر واحتمال لاسيما مع البداوة الجمالين ،فإنهم يحرصون على استخراج أدنى شيء منك ،وأروع دينك وصنف عرضك ومالك ،وحفظ مروءتك ،ولا تتعاط معهم المساوئ فإنهم أشحاء على الخير وألسنتهم حدد ووف إليهم كراهم ،ثم أحسن إليهم ولو بالقليل من طعامك تفز بالأجر من الله ومن رحمة منهم ولا تغلظ"[3].

والصبر أمر مفروغ منه لدى الرحالة ويظهر جليا في رحلاتهم ،وهذا الجانب الروحي أول خطوة لبلوغ المرام والأمان والوقوف أمام الشدائد .

---

[1]-الحسين الورتلاني ،المصدر السابق،مج 1،ص 375.

[2]-**أبو منصور الثعالبي** ،زاد سفر الملوك ،تح:إبراهيم الصالح ،دار الكتب الوطنية ،ط1، 2009،الإمارات ،ص39.

[3]-محمد بن أحمد الحضيكي، المصدر السابق،ص89

وبما أن بلاد المغرب محطة لالتقاء حجاج إفريقيا ،فهناك يجتمعون مع الحجاج المغاربة ثم يسرون في موكب واحد إلى ليبيا ومنها إلى مصر ثم يتوجهون إلى الحجاز ،وقد أولى الحكام المغاربة الركب الإفريقي عناية تامة حيث أصدر سلطان المغرب أوامره لحراسة موكب السلطان، حتى اجتياز الصحراء .[1]

وقد أولت الدولة المملوكية في مصر اهتماما بطرق الحج التي تصل بين مكة ومصر،والتي كانت تسلكها قوافل التجار والحجاج فاهتموا بتمهيدها وتعبيدها خاصة أيام السلطان الناصر بن قلاوون[2] (هـ693-741هـ/1292م-1341م)الذي أمر بحفر الآبار وإقامة المحلات والمساجد وتوفير سبل الراحة .

كما اهتم المماليك بتأمين هذه الطريق من خطر الأعراب المقيمين بالصحراء واللصوص ولذلك نظموا الحراسة لتطوف ليلا ونهارا للحد من العمليات النهب والقتل التي كانوا يقومون بها، والتي أصبحت سارية المفعول إلى بداية العصر الحديث وكان لقبيلة كنتة دور مهم في حماية قوافل التجار والحجاج في إفريقيا فقد تطوع بعض رجالها كل عام لمرافقة ركب الحجاج إلي مكة وهذا ما أدى إلى انضمام حجاج الشمال الإفريقي إلى قافلة الحجاج التي تحرسها قبيلة (كنتة) والذي سمي بركب شنقيط وكان أكثر ما تميز به هذه القبيلة هو حرصها على العلم وتعليمه للناس وتعمير الأرض بإصلاحها وحفر الآبار كما اختصت بتيسير القوافل وإكرام الضيف .

وتأمين المحمل المصري كان بطريقة خاصة ،حيث يتعين للخروج طوائف من العسكر ينزلون في نواحي الطريق من مصر إلى البركة ليلا يذهب أحد أو يغار عليه ،لإيصال المارة من مصر إلى القاهرة ،ليلا ونهارا ولا ترجع العساكر من هناك حتى ترحل الأركاب كلها.

ومما سبق ذكره من المشاكل التي تمس الحجاج في طريقهم إلى البقاع المقدسة من سلب ونهب وقطع الطريق من طرف الأعراب بالإضافة إلى قساوة الطبيعة وكوارثها صيفا وشتاءا حرا وبردا والمشاكل الصحية من الأمراض والوباء وما يترتب عنه من وفيات، وليس هذا فحسب

---

[1]-**شوقي الله** ، الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا سماتها و دور المغرب فيها،مجلة المناهل المغربية ،ع7،ذو القعدة 1976هـ/1976م ، ص145.

[2]-الناصر بن قلاوون السلطان العاشر في دولة المماليك البحرية ، ولد يوم السبت 16 محرم 684هـ بقلعة الجبل ووالده الملك المنصور قلاوون و أمه خواند أشلون بنت الأمير نكاي ، ينظر : **منال أحمد خليل أبو بكر** ، صورة السلطان محمد بن قلاوون (693هـ-741م)في أدب العصر المملوكي الأول أطروحة ماجيستر ،فلسطين ،ص6

وحتى المشاكل السياسية التي كانت تقع في المحطات التي ينزلون بها وغيرها من المشاكل التي لا تعد ولا تحصي كإضافة الطريق وموت الإبل والالتقاء بالحيوانات المفترسة والسامة كالعقارب والأفاعي ،لكن يبقى عامل الإيمان في قلوب الحجاج أقوي حاجز للوقوف في وجه الصعاب وكلهم عزم على مواصلة الطريق شوقا لرؤية بيته الحرام وزيارة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .

و في الأخير يمكن أن نضيف أن الطريق رغم صعوبته و مشاكله المصحوبة معها إلا أنه لا يخلو من الإيجابيات التي رواها لنا الرحالة، المتمثلة في التزود بنقل الثقافة من البلدان التي زاروها إلى ذويهم ناهيك عن التعرف على عادات المجتمعات و تقاليدهم حتى تصبح بذلك قاموس ينتفع بها أنفسهم و من يأتي من بعدهم .

الخاتمة

إن الإشكالية التي قمنا بتحليلها في بحثنا هذا هي إشكالية معقدة ومنفتحة على كل الإنزلاقات التاريخية والجغرافية وحتى الثقافية ولكن بمقدار ما تشكل هذه الصعوبات عوامل مضبطة للباحث بصفة عامة، فإنها من جهة أخرى تشكل عامل تشويق وإثارة، فنستطيع القول أنها مغامرة، فما قيمتها إذا كانت النتائج مضمونة ومرتبة ترتيبا، وهذا ما نطمح إليه في كل أعمالنا.

بعيدا عن أجواء المغامرة والتشويق، نقول أننا حاولنا في هذا البحث ومن خلال فصوله أن نجمع ما بيد لنا شتاتا، للخروج بتصور واضح وصريح عن مشروع طرق الحج الذي يمكن أن نفهمه من خلال عرضنا للمفاهيم الجغرافية والتاريخية للطريق المتضمنة في الرحلة.

إن المغرب الذي ارتبط بالمشرق باسم الدعوة الإسلامية، وامتداد إشعاعه الثقافي والحضاري لم يفقد صلاته بدار الإسلام سواءًا لحظة عزمه عن بناء ذاته المستقلة عن دولة الخلافة أو حين تفككت وحدته التاريخية، فمن مظاهر التواصل الروحي ركائب الحجاج الوافدة من المغرب باتجاه المشرق والحجاز بغرض أداء واجب الانتماء إلى أمة القرآن والإسلام، وهو وصال يصعب أن نحضره في أبعاده الدينية والروحية فقط، بل يفترض أن نستحضر أيضا مضامينه الجغرافية والتاريخية، إذ الدين والبشر والطبيعة عوامل متباعدة المفاهيم،لكنها متقاربة المضامين، حيث مضمون الطبيعة يفرض وجود العامل البشري ، ووجود العامل البشري يفرض وجود العامل الديني، وكل هذا سنجده جليا في كتب الرحلات بشكل عام وكتب الرحلات الحجازية بشكل خاص.

وموضوعنا، أعطانا فرصة للتطلع على هذه الكتب كرحلة أبي سالم العياشي، والورتلاني، والحضيكي، وابن مليح السراج، كسبيل للمثال لا الحصر، حيث تعتبر رحلاتهم المدونة من أوفى المصادر وأوثقها في دراسة كثير من أحوال البلدان العربية ابتداءاً من المغرب الأقصى حتى الحرمين الشريفين ومن بحثنا هذا استخلصنا جملة من الاستنتاجات يمكن حصرها في ما يلي:

إن الرحلة تعتبر من أهم المصادر كونها تقدم واقعا ،عن الطريق المشاهدة و المعاينة للحدث في الزمان والمكان حيث لم تقتصر فائدتها على أصحابها أو من جاءوا من بعدهم وإنما

ظلت إلى يومنا هذا مصدراً لمعرفة الكثير من الحقائق الجغرافية ولو أن الجانب الثقافي غلب عليها كثيراً.

والجدير بالذكر أن هذه الرحلات قدمت لنا معلومات خاصة بالفترة الحديثة، وأعطت صورة واضحة عن طرق الحج الرئيسية منها والثانوية، وأسباب اختيار الطرق منوطة بجملة من التنظيمات التي تعود في الأساس إلى ركب الحج،حيث أن هذا الأخير إما أن يتبع الطريق البحري عبر البحر المتوسط فالبحر الأحمر، وإما الطريق البري من المغرب إلى الحجاز.

عصارة الكلام عن طريق الحاج في الفترة الحديثة ومن خلال ما بينه لنا الرحالة تهدف أساسا إلى تبيان المحطات والأماكن من وديان وقرى وجبال وصحاري وبحار وأنهار على أنها طرق متفق عليها بالإجماع مع عامة الناس أو الحجاج مع وجود بعض الاختلافات البسيطة والنادرة حيث قلما نجد حاج يسلك طريق غير متعارف عليه.

والملاحظ أثناء دراستنا لطرق الحج و من خلال رصدنا لها في خريطة موجزة للطريق البحري و الطرق الصحراوية و الطرق الداخلية الساحلية أن هذه الأخيرة كانت تمر بالمغرب والجزائر وتونس عبر المناطق الصحراوية الداخلية الشمالية حتى سواحل تونس الشرقية يتغير الطريق بالمرور عبر السواحل التونسية والليبية والمصرية بمحاذاة البحر المتوسط .

أما الطريق المنطلق من فاس فلاحظنا من خلال الخريطة أنه كان مطابقا نوعا ما لطريق عودة الطريق المنطلقة من سجلماسة.

إذن بعد هذا المشوار الطويل من الطريق سنجد أنفسنا قطعنا نصف الطريق وليس كلها،إذ النصف الآخر يتضح بعد الوصول إلى الأراضي المصرية ،حيث الحجاج والقوافل والركاب تجتمع هناك من أجل مواصلة الطريق إلى الحجاز ويذهبون في مواكب مليئة بجو من الاحتفالات ولا ننسى أن الرحلات جلها تعطي لهذا العرس الديني نصيبها من الحديث في سطور على متن كتاباتهم وهي بذلك تعد من الوثائق الأشمل.

كما أن هذه الرحلات زودتنا بمعلومات عن قرى ووديان ومدن غير معروفة ولا توجد في القاموس والمعاجم، إذن أضحت الرحلة بذلك موسوعة جغرافية لا يضاهيها الموسوعات الأخرى في التعريف بالبلدان والبلاد والعباد في مختلف البلدان العربية المذكورة آنفاً، كالعياشي، ووصفها للمدن كالمغرب والجزائر وتونس وليبيا، ومصر وبلاد الحجاز، وليست الرحلة الحجازية

موسوعة جغرافية فحسب وإنما موسوعة دينية أيضا فهي قدمت معلومات هائلة عن الحرمين والمناسك ووصفت لنا المشاعر المقدسة ومسالكها.

ساهمت نصوص الرحلة وعلى طول الطريق من المنطلق ذهابا و إيابا ، في إبراز الجانب الثقافي والاقتصادي والاجتماعي في الرحلة، والطريق هذه تتيح للأفراد التنقل بين الفينة والأخرى وتبادل الثقافة من خلال المجالس العلمية المنعقدة في المساجد والمدارس والزوايا التي يزورونها الحجاج، والتعرف على عادات المجتمعات وتقاليدهم وتدخلهم في محيطهم أحيانا وإسماعهم صوتهم، أما اقتصاديا فكان الحج فرصة سنوية لممارسة التجارة على طول الطريق المؤدية إلى البقاع المقدسة، لما يقع من بيع وشراء لما يحملون من بضائع يتم جمعها من مختلف المواضع والمحطات التي مروا بها.

طرق الحج في الفترة الحديثة بصفة عامة رحلة شاقة، والدافع الغريزي في الإنسان وشوقه لرؤية بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف، من كان الحافز في التحدي هذا فالناس لا يمنعهم عن الحج مانع، رغم ما كان الحاج يتعرض له من الكبد والمشقة، حيث كانت رحلاتهم تكتنفها المشاق والأخطار ولم تكن من اليسر والسهولة في طرق مواصلاتها كما هو الحال الآن فقد كانوا يواجهون الكثير من الشدائد، سواء من الحر في الصيف أو البرد في الشتاء أو جفاف الماء في الصحاري التي كانوا يسلكونها ،إلى جانب ما كان يداهمهم فيها من السيول وأهوال البحر أو اللصوص ، والأمراض كالطاعون هذا المرض الخبيث الفتاك المميت.

إن القيام برحلة شاقة و صعبة المسار مثل هذه يفرض عليها الاستعداد والجاهزية التامة لمواجهة صعوبات الطريق الوعرة، فهي في الأساس تستوجب تجهيز العدة من مأكل ومشرب، والاعتماد على دليل تكون له خبرة في معرفة الطريق والمسالك الخالية من المخاطر، تفاديا للعراقيل التي يمكن أن تواجههم.

وفي الأخير يمكننا أن نقول، وعلى الرغم من نقل الرحالة على بعضهم سطوراً تكاد تتشابه بنسبة كبيرة، إلا أن رحلة العياشي تعتبر المرجع والدليل الأساسين الذين يتبعهما الرحالة الذين جاءوا من بعده حيث صاروا يسلكون طريقه، وينقلون كلماته على صفحاتهم وحتى نحن كباحثين اعتبرناه مصدراً مهما في بحثنا هذا حيث اشتمل على جل مواصفات الطريق.

ونحن في العالم العربي، لا يسعنا سوى الانفتاح على هكذا مشاريع، نظراً لغناها وتنوع إنتجاتها، ومن جهة أخرى مواكبة لأسئلة الإنسان المعاصر حول جغرافية الأرض والعرق الذي ينتمي إليه، فما أحوجنا اليوم إلى الإنكباب على إنتاجات القرون الماضية، لتثبيتها وتعميقها.

الملاحق

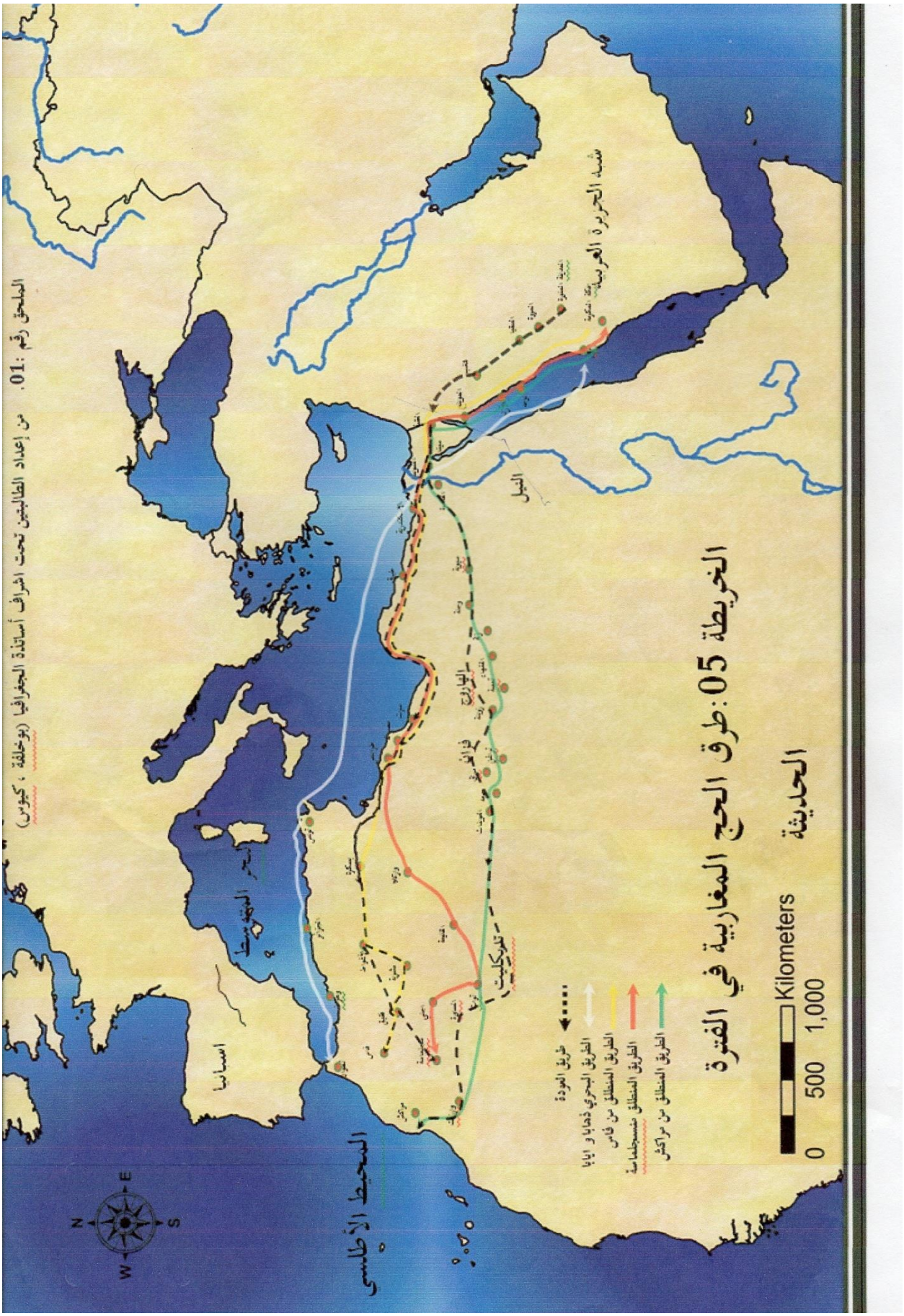
الملحق رقم :01. من إعداد الطالبين تحت اشراف أساتذة الجغرافيا (بوخلفة ، كيوس)
الخريطة 05:طرق الحج المغاربية في الفترة الحديثة
شبه الجزيرة العربية
النيل
البحر المتوسط
المحيط الأطلسي
اسبانيا
تلمسان
تونس
القاهرة
مكة
المدينة
طريق العودة
الطريق البحري ذهابا و ايابا
الطريق المنطلق من فاس
الطريق المنطلق ضمنطمانية
الطريق المنطلق من مراكش
0 500 1,000 Kilometers
N
S
W
E

الملحق رقم 02: الصفحة الأولى من مخطوط أبو عبد الله الطيب نور الله

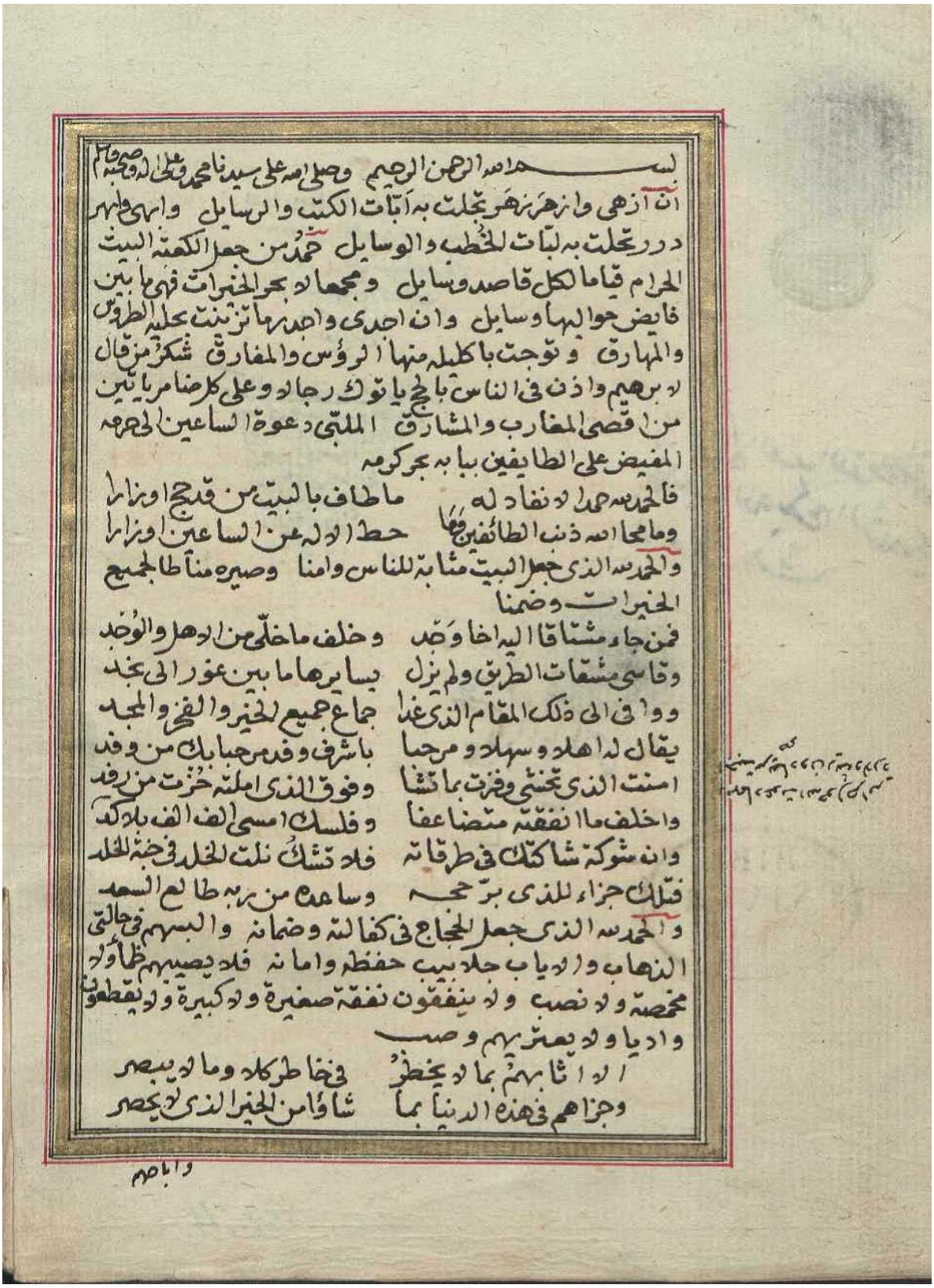

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
ان ازهى وازهر زهر تجلت به آيات الكتب والرسايل وابهى وابهر
درر تحلت به لبات الخطب والوسايل حمد من جعل الكعبة البيت
الحرام قياما للكل قاصد وسايل ومجمعا لبحر الخيرات فهي ما بين
فايض حوالبها وسايل وان اجدى واجدرها تزينت بحلية الطروس
والمهارق وتوجت باكليله منها الرؤس والمفارق شكرا من قال
لربهم واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين
من فجاج المغارب والمشارق الملبي دعوة الساعين الى حرمه
المفيض على الطايفين ببابه بحر كرمه

فالحمد لله حمدا لا نفاد له ما طاف بالبيت من قدح اوزار
وما محا الله ذنب الطائفين بها حط الاله عن الساعين اوزارا
والحمد لله الذي جعل البيت مثابة للناس وامنا وصيره منا طا لجميع
الخيرات وضمنا

فمن جاءه مشتاقا اليه اخا وجد وخلف ما خلفي من اهل والوجد
وقاسى مشقات الطريق ولم يزل يساير ها ما بين غور الى نجد
ووافى الى ذلك المقام الذي غدا جماع جميع الخير والفخر والمجد
يقال له اهلا وسهلا ومرحبا باشرف وفد مرحبا بك من وفد
امنت الذي تخشى وفزت بما تشا وفوق الذي املته خرجت من رفد
واخلف ما انفقته متضاعفا وفلسك امسى الف الف بلا كد
وان شوكة شاكتك في طرقاته فلا تشك نلت الخلد في جنة الخلد
فذلك جزاء للذي بر حجه وساعة من ربه طالع السعد

والحمد لله الذي جعل الحجاج في كفالته وضمانه والبسهم في حالتي
الذهاب والاياب جلابيب حفظه وامانه فلا يصيبهم ظمأ ولا
مخمصة ولا نصب ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون
واديا ولا يعترضهم وصب

الا اثابهم بما لا يخطر في خاطر كلا وما لا يبصر
وجزاهم في هذه الدنيا بما شاؤا من الخير الذي لا يحصر

وآباءهم

الملحق رقم 03:الصفحة الأخيرة من مخطوط أبو عبد الله الطيب نور الله

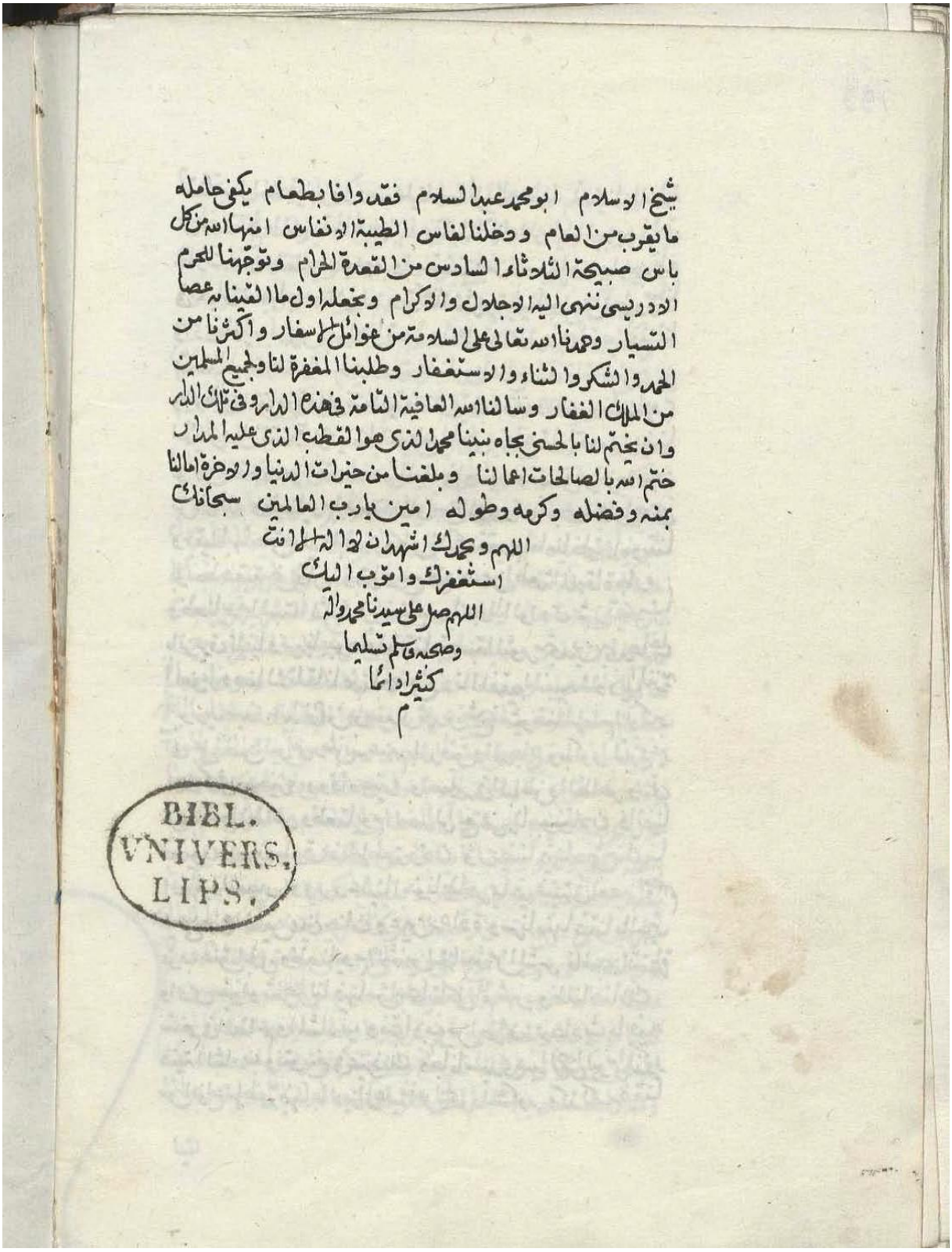

شيخ الاسلام ابو محمد عبد السلام فقد وافا بطعام يكفي حامله
ما يقرب من العام ودخلنا لفاس الطيبة الونفاس امنها الله من كل
باس صبيحة الثلاثاء السادس من القعدة الحرام وتوجهنا للحرم
الاد ريسي ننهي اليه الاجلال والاكرام ونجعله اول ما الفينا به عصا
التسيار وحمدنا الله تعالى على السلامة من عوائل الاسفار واكثرنا من
الحمد والشكر والثناء والاستغفار وطلبنا المغفرة لنا ولجميع المسلمين
من الملك الغفار وسالنا الله العافية التامة في هذه الدار وفي تلك الدار
وان يختم لنا بالحسنى بجاه نبينا محمد الذي هو القطب الذي عليه المدار
ختم الله بالصالحات اعمالنا وبلغنا من خيرات الدنيا والاخرة امالنا
بمنه وفضله وكرمه وطوله امين يارب العالمين سبحانك
اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك
اللهم صل على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما
كثيرا دائما
م

BIBL.
UNIVERS.
LIPS.

الملحق رقم 04: موكب المحمل الشريف ، ينظر : محمد همام فكري ،الرحلات الحجازية

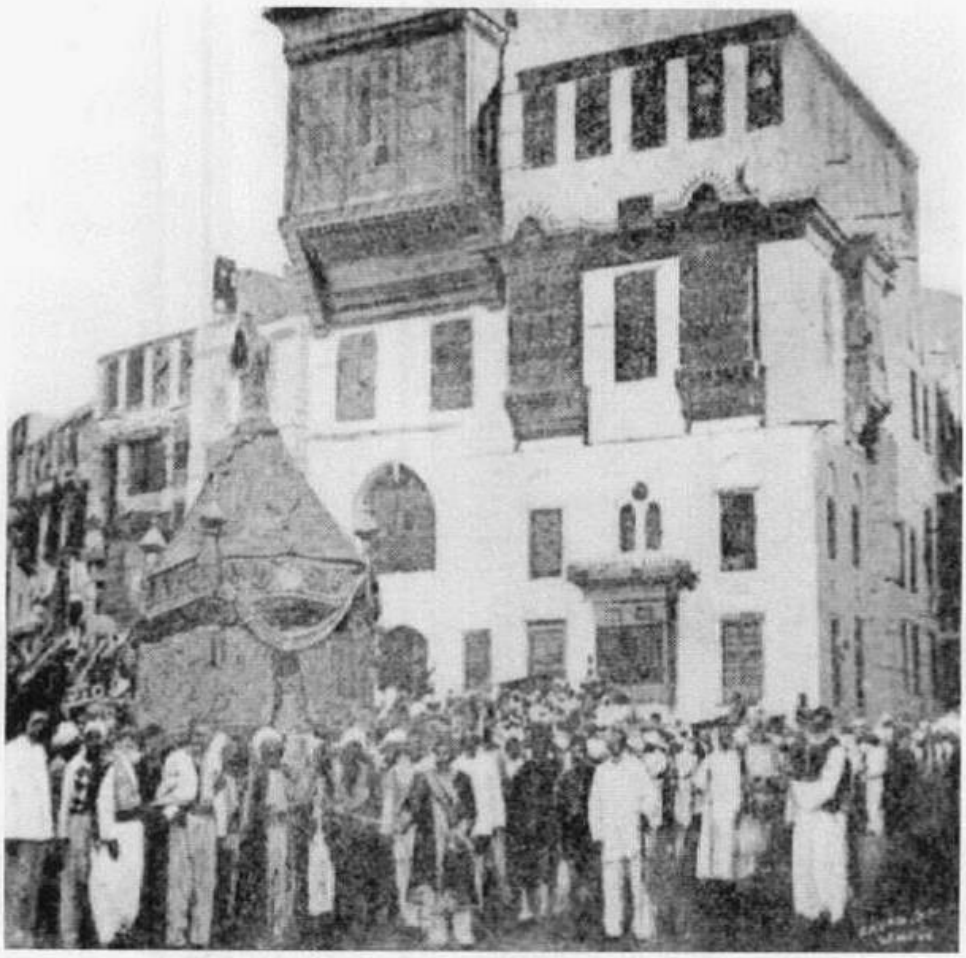

موكب المحمل بمكة

الملحق رقم 05: شكل المحل الشريف، ينظر : يوسف جاغلار ، المحمل المصري

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم برواية ورش.

الحديث الشريف برواية مسلم.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا:المصادر:

1. ابن جبير ،رحلة ابن جبير ،دار صادر ،بيروت ،د ت.
2. ابن خلدون عبد الرحمان ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج7، القسم 13، دار الكتائب اللبناني، لبنان، 1983م.
3. ابن منظور، لسان العرب ،ج11،دار صادر ،ط3، بيروت، بيروت، 1994.
4. إدن رودس ،المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي المواجهة المغربية الإمبريالية الفرنسية 1981 1992،تح أحمد بوحسن ، مطبعة المعارف الجديدة ،الرباط ،2006.
5. الأغواطي، رحلة الأغواطي ،تح :سعد الله أبو قاسم المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ،الجزائر،2011.
6. الأفراني محمد ،صفوة من انتشر في أخبار القرن الحادي عشر ،تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي،ط1، المغرب،2004م.
7. بتس جوزيف يوسف، رحلة جوزيف بتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، تح وتر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995.
8. البزاز محمد الأمين ،تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر (18م و19م)،كلية الآداب والعلوم الانسانية ، المغرب ،1992.
9. التيجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد ، الرحلة التيجانية، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، د.ط، تونس، 1981م.
10. الثعالبي أبو منصور ،زاد سفر الملوك ،تح:ابراهيم الصالح ،دار الكتب الوطنية ،ط1،الامارات، 2009.
11. الجبرتي عبد الرحمان بن حسن ،عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،تح: عبد الرحمان عبد الرحيم ،ج3،مطبعة دار الكتب المصرية ،1998.

12. الحسين بن محمد الورتلاني ،الرحلة الورتلانية الموسومة ب(نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار)،مج1،مج2،مج3،مكتبة الثقافة الدينية،ط1،القاهرة ،2006.

13. الحضيكي أبي عبد الله محمد بن أحمد السوسي(1189هـ)، الرحلة الحجازية، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، تع: عبد العالي لمدبر، ط1، المغرب، 2011م.

14. الحموي ياقوت، معجم البلدان ج 1، ج 2، ج3، ج 4، ج 5،دار صادر ، بيروت ،1977.

15. الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار،تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984م.

16. الزهري أبي عبد الله محمد بن بكر ، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.

17. الزياني أبو قاسم ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا و بحرا (1734م-1833م) ،تح:عبد الكريم الفيلالي،دار المعرفة للنشر و التوزيع،الرباط،1991م.

18. الزياني أبو قاسم ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا و بحرا (1734م-1833م) ،تح:عبد الكريم الفيلالي،دار المعرفة للنشر و التوزيع،الرباط،1991م.

19. سجلماسي أبي العباس الهلالي ، التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبر عليه الصلاة والسلام 1114هـ/1175م، تح: محمد بوزيان بن علي، تراث فجيج، ط1، 2012.

20. السراج ابن مليح ، أنس السارس و السارب من أقطار المغارب إلى منتهى المآرب سيد الأعاجم و الأعارب1040هـ-1042هـ/1630م-1633م،تق :محمد الفاسي، فاس، 1968م.

21. السملالي العباس بن إبراهيم ، الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ج5،ن الرباط، المطبعة الملكية، ط2، 1413هـ/1993 م.

22. الطالب أبي عبد الله ، محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1401هـ/1981م.

23. الطيب نور الله أبو عبد الله ،رحلة عبد الله ،مخطوط ملك خاص الحمادى الادريسي ،أستاذ بجامعة وهران.

24. العبدري البلنسي، الرحلة العبدرية،تق سعد بوفلاقة ،منشورات بونة ،الجزائر ،2007م.

25. العثماني محمد بن غازي ، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، ط1، الرباط، 1988م.

26. العريان محمد عبد المنعم ،رحلة ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،ج1،ط 1،دار احياء العلوم ،بيروت ،1987م.

27. العياشي أبي سالم ، رحلة العياشي الصغرى، تح: عبد الله حمادي الإدرسي، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، 2013م.

28. العياشي أبي سالم ،الرحلة العياشية1661م،1663م،مج1،تح: سعيد الفاضلي ،سليمان القرشي، السويدي للنشر ،ط1،الإمارات :2006م.

29. الفاضلي سعيد ، في مقدمة تحقيق برحلة العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663،تح:سعيد الفاضلي ،سليمان القرشي ،دار السويدي للنشر والتوزيع، ابوظبي ،ط1، 2006.

30. الفهري أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشد السبتي ،ملئ العيبة بما جمع بطون الغيبة في الوجهة والوجيهة ،ج2،الدار التونسية للنشر،تونس،1932.

31. القادري محمد بن الطيب ،نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر، ج 2 ، تح :محمد حجي،مكتبة الطالب ،الرياض،1982م.

32. القزويني زكريا بن محمد بن محمود ، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، د.ط، د.ت، بيروت.

33. القلقشدي أبي العباس أحمد ، صبح الأعشى، ج5، دار الكتب الخديوية، د.ط، القاهرة ،1915م.

34. الكتاني عبد الحي ،فهرس الفهارس لإثبات معجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات،ج2 ، دار الغرب الاسلامي ،ط2،بيروت، 1972.

35. المجاجي، رحلة المجاجي1063هـ/1652م، درا ،وتح: سيد الشيخ سعاد، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008م.

36. المراكشي إبن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، تح: كولان، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983م.

37. المراكشي عبد الواحد ،المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،تح :محمد سعيد الغربان ،لجنة إحياء التراث الإسلامي ،د ط ،د.ت،ص443.

38. المكناسي محمد عبد الوهاب ، رحلة المكناسي "إحراز المحلى والرقيب في حج بيت الله الحرام و زيارة القدس الشريف و الخليل و التبرك بقبر الحبيب، 1785م " ، تح : محمد بو كبوط ، دار السويدي للنشر،ط1، أبو ضبي ،2003م .

39. الموسوي محمد بن عبد الله الحسيني ، رحلة الشتاء والصيف، تح: محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط2، 1835هـ.

40. الناصري محمد أبوراس الجزائري ، فتح الإله ومنته في التحدث في فضل ربي ونعمته"حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، تحقيق محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت.

41. الناصري محمد بن عبد السلام بن عبد الله ، المزايا فيما أحدث من البدع بأمر الزوايا، الزاوية الناصرية، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2003م.

42. الوزان حسن ،وصف إفريقيا ،ج2،تر :محمد حجي ،ط2،دار الغرب الإسلامي ،لبنان.

ثانيا:المراجع:

أ–بالعربية:

1. أبو القاسم سعد الله ، مع العياشي في رحلته إلى القدس، جامعة آل البيت، الأردن، د ت .

2. أبو مروان محمد الثقفي ،الكعبة المشرفة ،الصادر من الموقع الثقافي ،منتدى الرحلات ،2007م.

3. الأنصاري ناصر ، المجمل في تاريخ مصر" النظم السياسية والإدارية"، دار الشرق، ط2، القاهرة، 1997م.

4. البزاز محمد الأمين ،تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر (18م و19م)،كلية الآداب والعلوم الانسانية ، المغرب ،1992.

5. البلادي عاتق بن غيث،معالم مكة التاريخية والأثرية ،دار مكة للنشر ،ط1، 1980.

6. البلادي عاتق بن غيث،معجم معالم الحجاز ،دار مكة للنشر والتوزيع ،ط2 ،2010.

7. بن عبد الله عبد العزيز،الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ ،دار النشر للمعرفة ،ط1، الرباط،2001.

8. البيومي محمد علي فهيم ، المغاربة في المدينة المنورة، القاهرة، مدرسة التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأزهر بالقاهرة،شارع محمد فريد، ط1،2006 .

9. جغلار يوسف و صالح كولن ،المحمل الشريف و رحلته إلى الحرمين الشريفين ،تر:حازم سعيد منتصر ،دار النيل للنشر ،ط1 ،القاهرة ،2015م.

10. الحدادي أحمد ،رحلة ابن رشد السبتي ،وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ،2003.

11. حسين علي حسين، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخنائجي، ط1،مصر، 1980.

12. الحضراوي أحمد بن محمد بن أحمد المكي الشافعي ، الجواهر المعدة في فضاء جدة، تحقيق علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ،ط2006،1.

13. حوتية محمد صالح ، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر هجريين، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج1، دار الكتاب الغربي، الجزائر، 2007.

14. حوتية محمد صالح ، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر هجريين، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج1، دار الكتاب الغربي، الجزائر، 2007.

15. داود محمد ، تاريخ تيطوان،مج1، معهد مولاي حسن،تيطوان، 1959.

16. الزبيري محمد العربي ،التجارة الخارجية للشرق الجزائري ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1972.

17. سالم عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،1993.

18. السامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث ،أطلس الحج ولعمرة ،تاريخا وفقها ،مكتبة العبيدي ،الرياض ،1431هـ.

19. سعد الله أبو القاسم ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج2،دار الغرب الإسلامي ،ط2،بيروت،1998م.

20. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ،مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة ،مكتبة فهد الوطنية للنشر،ط1،ط،2010

21. سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية، "دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 2000.

22. الشاقور عبد السلام بن المختار ، المناظرات والانشادات في رحلات المغاربة الحجازية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ،جامعة الملك السعدي المملكة المغربية، تيطوان،1462.

23. صبان سهيل ،المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ،مكتبة الملك فهد الوطنية ،مرا: عبد الرزاق محمد حسن بركات ،الرياض ،2000.

24. الصديق بن العربي ،كتاب المغرب ،ط3، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1948.

25. ضيف شوقي ،الرحلات ،ط4، دار المعارف ،القاهرة ،د ت .

26. عبد الوهاب ابن منصور، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس ، المطبعة المالكية،ط2، الرباط، 1411هـ/ 1991م.

27. عزي عبد الرحمن ،التواصل القيمي في الرحلة الورتلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علماء التاريخ والأخبار ،مؤسسة الكيوز الحكمة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011م.

28. علوي حسن حافظ ،سجلماسة وأقاليمها في القرن 18هـ/ 14م، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، د.ط، المغرب، 1418هـ/1997م.

29. عمر أحمد مختار ، المكنز الكبير، معجم شامل للمجالات والترادفات والمتضادات، سطور للنشر، ط1، 2000م.

30. الفيل محمد رشيد ،أثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة والجغرافيا عند العرب، مراسلات الجمعية الجغرافية الكويتية الخالدية ،1989.

31. كحالة عمر رضا ، معجم المؤلفين" تراجم مصنفي الكتب العربية"،ج2، مؤسسة الرسالة، ط1،بيروت، 1993.

32. الكيلاني جمال الدين فالح ،الرحلات والرحالة في التاريخ الاسلامي ،دار الزنبقة ،القاهرة ،2014.

33. لاروس،أطلس بلدان العالم ،عويدات للنشر و الطباعة ،بيروت ،2013.

34. لطفي عبد الله عبد الفتاح ،جغرافية الوطن "تحليل أبعاد الجغرافية للوطن العربي" دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ،ط1 ،عمان،2006.

35. مصطفى عبد الله الغاشي، طرق الحج خلال القرن التاسع عشر 19م من الصحراء الى بو غاز جبل طارق، تيطوان.

36. موسوعة أطلس العالم ،شبكة المهاجرون الإسلامية.

37. النواب عواطف بنت محمد بن يوسف ،الرحلات المغربية الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز القرنين 7و8هجريين دراسة تحليلية ومقارنة ،مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض،1992.

38. نواب عواطف بنت محمد يوسف ، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11هـ/12هـ،دارة الملك عبد العزيز د.ط، الرياض،2008م.

39. الوقاد محاسن محمد، المحمل المصري في العصر المملوكي الأول 648هـ-784هـ/1250م-1382م،دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ،الجزيرة العربية من القرن الخامس حتى نهاية القرن السابع هجري ،د.ت.

ب-المراجع باللغة الأجنبية:

1. D .Motylinshi, Tripoli et l'egypte "extraits des relation de voyage d'el abderi et El Aiachi, Moulay AH'med El ourtilani", imprimerie typographique et lithograhpique s. lE'on, 1900, Alger.

ثالثا:الجرائد والمجلات:

1. أبو بكر منال أحمد خليل ، صورة السلطان محمد بن قلاوون (693هـ-741م)في أدب العصر المملوكي الأول أطروحة ماجيستر ،فلسطين.

2. بكوش فاقة ،أبو عبد الله المقري(759هـ) ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ السياسي والثقافي لدول المغرب الإسلامي، تلمسان، 2012.

3. بوسليم بن قايد عمر ،الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية، من خلال كتب الرحلات المغربية ،العدد 21،العلوم الانسانية والاجتماعية ،ديسمبر 2015.

4. تاوشيخت لحسن ،سجلماسة من المدينة إلى القصور، مجلة كان التاريخية، ع28، دار ناشر للنشر الإلكتروني، الكويت، 2015م.

5. حفيان رشيد ،أمن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني ،مجلة كان ،ع 27،مارس 2015.

6. حلمي ابراهيم ،كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج ،مؤسسة أخبار اليوم ،كتاب اليوم ،العدد320،تر:جمال الغيطاني.

7. زروقي أزهر حسين ،الرحلة في التراث الغربي الاسلامي ودورها في رصد المعرفة الجغرافية ،مجلة،مج19،جامعة تكريت،كليةالتربية،قسم الجغرافية،2010م.

8. شوقي الله ، الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا سماتها و دور المغرب فيها،مجلة المناهل المغربية ، ع7،ذو القعدة 1976هـ/1976م.

رابعا:الرسائل والأطروحات:

1. الطاهر بن دومة محمد ، أخبار وأيام وادي ريغ(1403-1336هـ) (1918-1982م)، تح: محمد الحاكم بن عون، مذكرة ماجستير في التاريخ، تخصص علم المخطوط، قسنطينة، 2011.

9. الغالي بن لباد ، الزوايا في الغرب الجزائري "التيجانية و العلوية و القادرية ،دراسة أنثروبولوجية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا ،2009م.

10. غويني ليلى ، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، الجزائر، 2011.

11. لزغم فوزية ، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925-1246هـ/ 1520-1830م)أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، وهران، 2014م.

خامسا:المواقع الالكترونية:

1. www.almosafr.com/forum/t68269.html

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

- البسملة
- لإهداء
- الشكر وتقدير
- قائمة المختصرات
- مقدمة.....أ-ح
- مدخل.....8

الفصل الأول: الطرق البرية والصحراوية.

المبحث الأول: الطريق البري المنطلق من سجلماسة 17

- 1-1الموقع.....17
- 1-2-التسمية 18
- 1-3-الموقع الجغرافي والطبيعي 18
- 1-3-الجانب السياسي.....19
- 2-أهم محطات الطريق 21
- 2-1-محطة الانطلاق 21
- 2-2محطات العبور 23
- 3-طريق العودة 33

المبحث الثاني: الطريق البري المنطلق من مراكش 37

- 1-جوانب تاريخية من مدينة مراكش 37
- أصل التسمية.....37
- الوسط الطبيعي 38
- الوضعية السياسية 38

- 2-أهم محطات الطريق 39
- محطة الانطلاق 39
- محطات العبور 43
- 3-طريق العودة 46

- الفصل الثاني:الطرق البحرية والداخلية الساحلية

المبحث الأول:الطريق البحري 51
- محطة الانطلاق 52
- الدخول إلى الإسكندرية 55
المبحث الثاني:الطريق الداخلي الساحلي المنطلق من فاس..... 60
- 1-الجوانب التاريخية من مدينة فاس.....58
- 1-1-أصل التسمية.....58
- 1-2-الموقع الجغرافي.....58
- 1-3-الوضع السياسي 59
- 2-أهم محطات الطريق 60
- محطة الانطلاق 60
- 2-1-محطة الانطلاق 61
- محطات العبور 64
- 3-طريق العودة 70
-

– الفصل الثالث:الطريق المشترك البحري والبري المنطلق من مصر

المبحث الأول :استعدادات واحتفالات الحجاج للسفر.....75
- 1-استعداد المغاربة للسفر من القاهرة 75
- 2-الاحتفال بخروج المحمل المصري 77
المبحث الثاني :خروج الركاب المغاربية من القاهرة نحو الحجاز 82
-

– الفصل الرابع:تداعيات طرق الحج وصعوباتها

المبحث الأول :التداعيات الاقتصادية والاجتماعية.....96
- 1-الجزائر.....96
- 2-تونس 98
- 3-طرابلس 99
- 4-مصر.....100
- 5-الحجاز 102
المبحث الثاني: التداعيات الثقافية.....105
- 1-الجزائر.....106
- 2-تونس 107
- 3-ليبيا.....107
- 4-مصر.....108
- 5-الحجاز 109
المبحث الثالث:مشاكل طرق الحج و تأمينها.....111
- 1-المشاكل الأمنية (ظاهرة اللصوصية): 111

- 2-المشاكل طبيعية..... 115
- 3 –المشاكل الصحية 118
- 4-المشاكل السياسية 120
- 5-تأمينات الطريق..... 121
-
-خاتمة.....125
-الملاحق.....130
-قائمة المصادر والمراجع.....136
-فهرس الموضوعات.....146